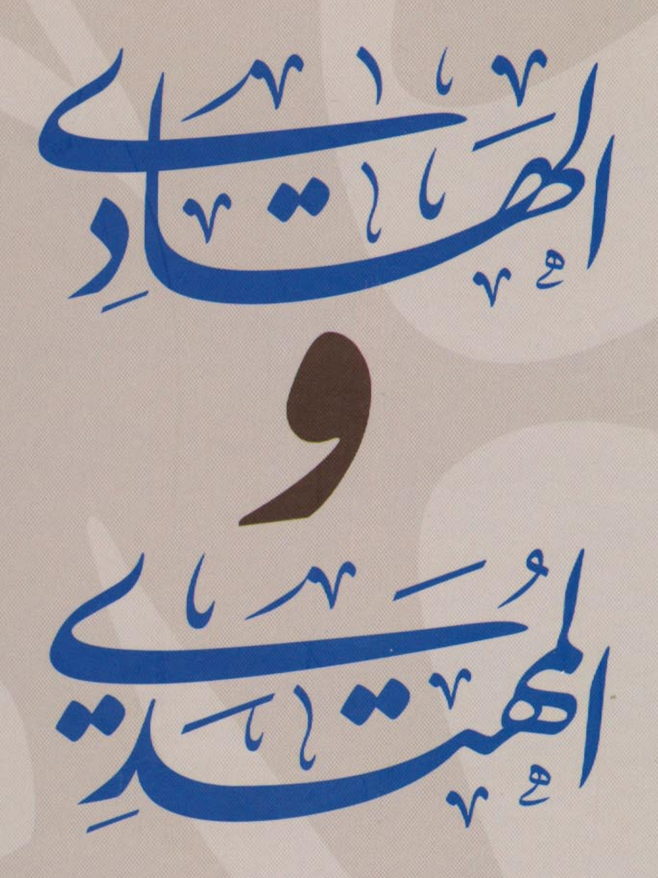


تأليف

الدكتور

مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني



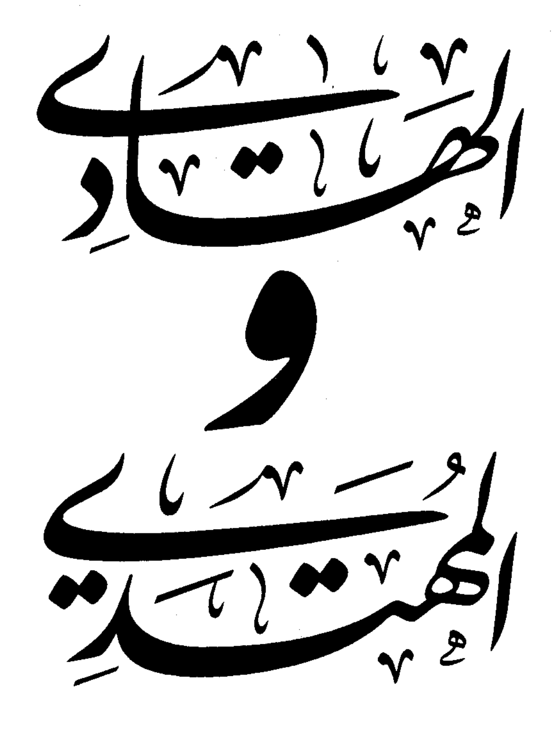
طبع على نفقة رجل الأعمال

الشيخ جمعان بن حسن الزهراني

أثابه الله

الطبعة الأولى

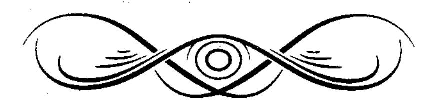
١٤٣٧ هـ . ٢٠١٥ م



تأليف

الدكتور

مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني



طبع على نفقة رجل الأعمال

الشيخ جمعان بن حسن الزهراني

أثابه الله

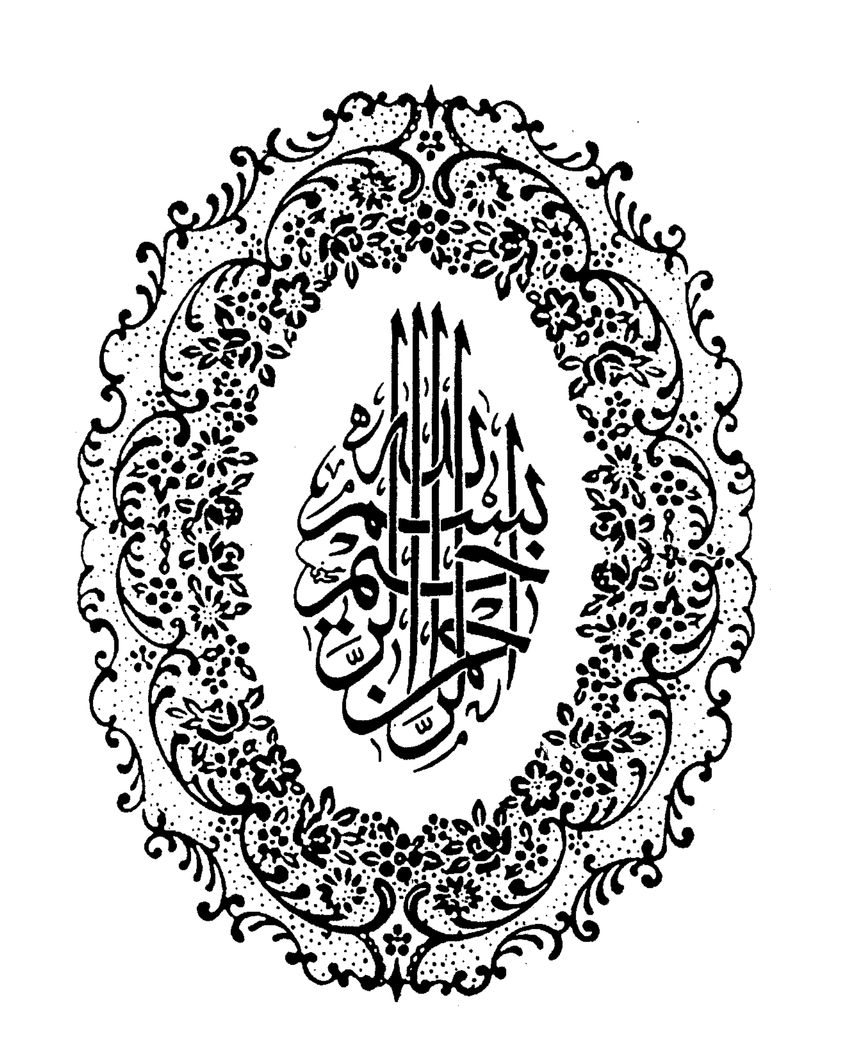
الطبعة الأولى — ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م

ح مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني ، ١٤٣٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني ، مرزوق هياس آل مرزوق
الهادي والمهتدي / مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني
مكة المكرمة ، ١٤٣٦ هـ
٢١٩ ص ؛ .. سم
ردمك :٣ ـ ٨٨٥٤ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ـ السيرة النبوية أ, العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٦ / ٧٥٣٠

رقم الإيداع : ٧٥٣٠ / ١٤٣٦
ردمك : ٣ ـ ٨٨٥٤ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــداء

إلى صانع عاصفة الحزم خادم الحرمين الشريفين؛ الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود أيده الله بنصره وتوفيقه، وأعز به البلاد والعباد، فلم يكن لنا عز إلا بالله ثم به وبجنوده البواسل، وشعبه الصادق الوفي، فنبارك جهوده في خدمة دينه وطنه وشعبه والأمة الإسلامية، لقد طرق بابا بَزّ فيه الأقران اليوم بقيادة المملكة العربية السعودية لعاصفة الجزم، وأرسى نواة مباركة في وحدة الصف العربي الإسلامي، وجدد الآمال في النفوس الأبية بنجدة جار طلب الغوث لحمايته من دمار شامل، ولحماية حدود أرض الحرمين مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين فلا يطالها عبث أذناب الأعداء، فله مني ومن أبنائي ومن الشعب السعودي تحية ولاء وإكبار على هذا الإنجاز العظيم، إنجاز لا يصنعه إلا العظماء، والتحية موصولة لقادة التحالف العشري الميمون، شكر الله لهم المسعى، وبارك في الجهود، وخيب الله كيد الأعداء وأطماع الطامعين.

المؤلف

الدكتور/ مرزوق بن هيّاس الزهراني



المقدمة

منذ بدء الخلق اقتضت إرادة الله ﷻ أن لا يُعبد سواه، فكانت دعوة الرسل متفقة على توحيد الله ﷻ، وعبادته وحده لا شريك له، وعلى هذا أطبقت دعوات الرسل عليهم السلام، فما من رسول إلا دعا أمته إلى توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وقد كان كل نبي يُبعث في قومه خاصة، ولما أراد الله ﷻ أن يكون نبيه محمد ﷺ رسولا إلى الناس كافة، معززاً الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، أرسله إلى الناس كافة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1]، ولم تكن رسالة نبينا محمد ﷺ قاصرة على بني آدم، بل تشمل الجن قال تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾[2]، وقد ثبت أنه ﷺ اجتمع بالجن ودعاهم إلى الإسلام، فلا يسع أحدا من الجن والإنس سمع به منذ نبوته ﷺ إلى قيام الساعة إلا الإيمان به ومن لم يؤمن به ﷺ ويتبع الحق الذي جاء به كتابا وسنة فهو من الخاسرين، وقد قال الله تعالى في شأن تكليف الجن باتباع نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[3]، قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: "كَانُوا سَبْعَة من جن نَصيبين فجعلهم رَسُول الله ﷺ رسلا إِلَى قَومهم" وفي قَوله: فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إِلَى قَومهم دليل على أنه كَلمهم بعد ذَلك[4]، ولَهذَا ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[5]، وكان سبب صرفهم إليه ﷺ

---

١) الآية (٢٨) من سورة سبأ.

٢) الآيتان (١، ٢) من سورة الجن.

٣) الآية (٢٩) من سورة الأحقاف .

٤) آكام المرجان في أحكام الجان ٦٩/١.

٥) الآيتان (٣٠، ٣١) من سورة الأحقاف .

منعهم من استراق السمع، وقد قرأ عليهم رسول الله ﷺ بِالْحَجُونِ، وفي رواية بوادي نخلة قرب الطائف، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: "إن النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ من جن نَصيبِينَ[1]، أتوه وهو بِنَخلَةَ"، ومن هنا نقول: لن يحصل اجتماع الأمة المحمدية إلا على منهج الكتاب والسنة، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2]، ولا خلاص للأمة من نكباتها والمخاطر المحيطة بها إلا بالوحدة على منهج الكتاب والسنة، اعتقادا بوحدة المعبود ﷻ، وعملا بوحدة المتبوع ﷺ، ووحدة المنهج وذلك بالعمل بالكتاب والسنة، هذه الأسس الثلاثة لا تقوم وحدة الأمة المحمدية إلا عليها، ومن رام غير هذا فإنما يبحث عن سراب، ومن هنا وسمنا كتابنا هذا بـــ "**الهادي والمهتدي**" فالهادي رسول الله ﷺ، ولا نقصد هداية التوفيق فهذه خاصة برب العزة والجلال، يمنحها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[3]، فالهداية المنفية عنه ﷺ هي هداية التوفيق، والذي نقصده هداية الدلالة والإرشاد وقد أثبتها له ربنا جل وعلا، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[4]، ولا نشك في أن رحمة الله بهذه الأمة هي السمة البارزة في هذا الدين، فقد جاء الرحمة المهداة نبينا محمد ﷺ، رسولا للعالمين ورحمة لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[5]، أثنى على ربه ﷻ، فقال ﷺ: « **كلكم أثنى على ربه، وأنا مثن على ربي قال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس، بشيرا ونذيرا، وأنزل عليَّ الفرقان فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي وسطا، وجعل أمتي هم الأولون وهم**

---

١) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام (معجم البلـــدان ٢٨٨/٥) وانظر: الطبري ١٧٠/١٢.

٢) من الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

٣) الآية (٥٦) من سورة القصص.

٤) من الآية (٥٢) من سورة الشورى.

٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.

الآخرون، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحا خاتما »١، ومن رحمة الله للأمة المحمدية، أن أذاب الفوارق بين المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾٢، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾٣، وقال ﷺ: « **يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى** »٤، ولئن كان التفاضل بين الناس عربا وغير عرب مزية اجتماعية يحسب لها حسابها، فقد مقتها الإسلام في الأمة المحمدية، وأرسى قاعدة « **كلكم لآدم** » كما في الحديث السابق، ومن رحمة الله للأمة المحمدية أن رحمته سبقت سخطه، قال رسول الله ﷺ: « **إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي** »٥، ومن رحمة الله بالأمة المحمدية أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، لأن العبد مهما عمل من الخير، ومهما عُمّر في ذلك، فلن يوازي شكر نعمة واحدة من نعم الله عليه، والله غني عن ذلك كله، فكانت رحمته أوسع لعباده، قال رسول الله ﷺ: « **لن يُدخِل أحداً عملُه الجنة** » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « **لا، ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله بفضل ورحمة، فسدِّدوا وقاربوا** »٦، ومن رحمة الله بالأمة المحمدية أن الشريعة الإسلامية بنيت على اليسر، ورفع الحرج يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾٧، ويقول رسول الله ﷺ: « **إن الله يحب الرفق في الأمر كله** » ٨، ويقول ﷺ: « **دعوني ما تركتكم،**

---

١) الطبري ٤٣٧/١٤.

٢) من الآية (١٠) من سورة الحجرات.

٣) الآية (١٣) من سورة الحجرات.

٤) أحمد حديث (٢٣٤٨٩).

٥) أخرجه البخاري، حديث (٧٤٢٢).

٦) أخرجه البخاري، حديث (٥٦٧٣).

٧) الآية (١٨٥) من سورة البقرة.

٨) أخرجه البخاري، حديث (٦٠٢٤).

إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »[1]، وكلما أتاه مستفتٍ يوم النحر في منى قال: « **افعل ولا حرج** » قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "إن النبي ﷺ بينما هو يخطب يوم النحر إذ قام إليه رجل فقال: كنت أحسب ــ يا رسول الله ــ كذا وكذا قبل كذا وكذا، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، كنت أحسب كذا وكذا، لهؤلاء الثلاث"، فقال النبي ﷺ: « **افعل ولا حرج** »[2]، لهنَّ كلِّهنَّ يومئذ، فما سئل يومئذ عن شيء إلا قال: « **افعل ولا حرج** » والنصوص في هذا الباب كثيرة يكفي منها ما ذكرنا، كل هذا من أجل الرفق بالأمة المحمدية، وتجنيبها الغلو في العبادة، فضلا عن الغلو في الأشخاص، مهما كان فضلهم وصلاحهم.

أما المهتدي: فقد قصدنا به كل من آمن بالله ربا فوحَّده في العبادة، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا فوحَّده في الاتباع، وبالإسلام دينا فوحَّد الكتاب والسنة وجعلهما أُسَّ العمل في كل شؤن الحياة، من عهد رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وأول هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يخرجوا عن العمل بكتاب الله ﷻ وسنة معلمهم الهدى ﷺ، وقصدنا ضمنا الباحث عن الحق الراغب في الاهتداء.

المؤلف

---

١) أخرجه البخاري، حديث (٧٢٨٨) ومسلم، حديث (١٣٣٧).

٢) أخرجه البخاري، حديث (٦٦٦٥).

القســـم الأول

خطــوات الـــوحـدة الإســـلامية

الاصطفاء للرسالة:

كانت أول خطوة لوحدة الأمة اصطفاء نبينا محمد ﷺ للرسالة، وحمل أمانة البلاغ لكل صغيرة وكبيرة تتعلق بالدين الإسلامي، وإعلام الأمة بها من غير زيادة ولا نقص، لمّا بلغ رسول الله ﷺ أشده وبلغ أربعين سنة، أنزل عليه ربه الوحي، بعد أن هيأه لذلك، وكانت هذه المرحلة من أشق المراحل على رسول الله ﷺ فقد كان وحيدا في قومه مفطورا على الخير، والعفة والنزاهة، والصدق والأمانة، وحسن الخلق، وجاءه أمر عظيم تنوء بحمله الجبال الرواسي، ألم يقل الله ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ﴾[1] إنه أمر له تبعات عظيمة، لا يقوى عليها إلا من أعده الله ﷻ لذلك، وكان له ناصرا ومعينا، وقد تحقق كل ذلك لنبينا محمد ﷺ، بدءا من قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[2]، وختما بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

نـــــزول الـــوحـي

إنه تشريع من حكيم حميد، فالمشرِّع هو الله ﷻ، وناقل التشريع هو روح القدس جبريل عليه السلام، والرسول إلى الناس كافة هو محمد بن عبد الله ﷺ، والوحي المنزل هو القرآن كلام الله ﷻ.

أمر الله ﷻ عبده ورسوله نبينا محمداً ﷺ بإبلاغ عباد الله تعالى إنساً وجناً ما أوحى الله ﷻ إليه من العلم والحكمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا

---

١) الآية (٢١) من سورة الحشر.

٢) الآية (١) من سورة العلق.

٣) من الآية (٣) من سورة المائدة.

﴿بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾١، تلقى المصطفى أمر ربه، مؤمنا مصدقا بعظمة الخالق ﷻ لكل شيء، وعزَم على حمل الأمانة، والقيام بمسؤولية هداية الثقلين، هداية دلالة وإرشاد وتوجيه، فاصطفى الله ﷻ له من شاء من عباده، لنصرته ومؤازرته.

العهد النبوي

لن نتعرض لنشأة رسول الله نبينا محمد ﷺ وسنتجاوز المرحلة الأولى مرحلة العهد المكي؛ لأن ذلك لا يجهله أحد من المسلمين، وإن وجد من يجهله منهم فهم الغثاء من الأمة المحمدية، الذين أخبر عنهم النبي ﷺ أنهم من الكائنين في آخر الزمان، وسنبدأ من العهد المدني الذي تحقق فيه إعلاء كلمة الله ﷻ، وكانت وقعة بدر يوما مشهودا في بداية انتصار الحق على الباطل، وما تلاها من انتصارات أسست شأن الأمة المحمدية، في جزيرة العرب أولا، وكان يوم الفتح العظيم في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، دخل الناس في دين الله أفواجا، ولئن كان خروج رسول الله ﷺ من مكة سرا متخفيا ليلا من أسفلها، فقد أبا اللهُ ﷻ إلا أن يعود نهارا عيانا بيانا من أعلاها، خاشعا لربه متواضعا شاكرا حامدا، أعزه الله ﷻ في يوم أذل فيه قريشا بأجمعها، وكانت الرحمة المهداة غير متخلفة عن قريش الذين آذوا رسوله وطردوه، فلما تمكن منهم لم يظنوا به إلا خيرا لِما عرفوا من سيرته ﷺ، وعفوه ورحمته، سألهم « **يا أهل مكة، ما ترون أني فاعل بكم؟** » قالوا: خيرا أخ كريم، وابن أخ كريم، ثم قال: « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** »٢، ارتبطت مكة بطيبة بعد هذا اليوم، واتجه رسول الله ﷺ إلى نشر توحيد الله ﷻ، والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتطهير جزيرة العرب من الأوثان، فبعث البعوث، واستقبل الوفود، وشرّع للناس ما يتعلق بعبادة ربهم، وسياسة دنياهم، أحاط به الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار ﷺ، وكانت المعجزات تتفجر في حياة رسول الله ﷺ تأييدا

١) الآية (٦٧) من سورة المائدة.

٢) السيرة لابن حبان ٣١٥/١.

من الله ﷻ لصدق نبوته ﷺ، وتثبيتا لقلوب المؤمنين به، فما زادهم ذلك إلا إيمانا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، لقد كانت حياة رسول الله ﷺ بينهم، نورا وسعادة وشفاء، بصَّر من العمى، وهدى من الضلال، وانتشر الإخاء بين بني آدم، وجمع الله به قلوب المؤمنين على المحبة والإخاء، والعمل بما جاء به ﷺ، فاستظل الناس بعدله، وكمال خلقه وتواضعه ﷺ وكان رحمة من الله ﷻ للأمة المحمدية ولا يزال كذلك حتى تقوم الساعة، وبعد قيام الساعة فهو شفيع الأمة المحمدية، لقد أشرق كل شيء في طيبة حين وصل إليها رسول الله ﷺ، وأظلم كل شيء فيها حين لحق بالرفيق الأعلى ﷻ، كما في حديث أنس ﷺ[١]، لكنه ربى جيلا هم خيار الناس على الإطلاق، الأمثل منهم فالأمثل، رضي الله عنهم أجمعين، على أن العهد النبوي لم يسلم من كيد أعداء الإسلام، كمحاولة يهود بني النظير قتله ﷺ، وما جرى في فتوحاته من منازلة الأعداء، ولكن الله ﷻ كتب له ولأصحابه ﷺ النصر والتمكين، إعلاء لكلمته ﷻ، ورحمة بالأمة من عبادة غير الله ﷻ، كان العهد النبوي رحمة للعالمين، لم تكن رحمته ﷺ قاصرة على العرب بني جنسه ومحتده، بل كل من آمن به من بني آدم، وعمل بما جاء به من الهدى، فاز في الدنيا والآخرة، فهو المبعوث إلى الناس كافة، ولقد تعدى خيره وبركته إلى غير المؤمنين به، من أهل الذمة، بما أبرم لهم من حقوق يلتزم بها المسلمون، فقد حفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم، فلا يجوز الاعتداء عليهم بغير حق قال ﷺ: « **من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما** »[٢]، وكان المؤمنون به أمة واحدة، كما وصفهم رب العزة والجلال ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[٣]، المراد أمة نبينا محمد ﷺ، وهم كل من صدقه وآمن به من جميع بني آدم على اختلاف لغاتهم، وألوانهم، وتعدد قبائلهم وشعوبهم وأعراقهم، هذه الخيرية جاءت من إيمانهم بالله ﷻ ورسوله ﷺ،

---

١) الترمذي حديث (٣٦١٨).

٢) البخاري حديث (٦٤٠٣).

٣) من الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

واتباعهم ما جاء به من الحق والهدى، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم كما وصفهم رسول الله ﷺ « **المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم** »[1]، وضرب لهم مثلا في كمال التلاحم والتآزر، وصدق الإحساس والشعور بالمسؤولية فقال ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[2]، وقد أذاب الإسلام كل الفوارق بين بني الإنسان، فكلهم أبناء آدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3]، وما دام الأمر كذلك فالتفاخر والتفاضل بينهم منفي إلا فيما يرضي الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: « **أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود، إلا بالتقوى** »[4]، وبسبب هذا الكمال في العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، قامت للأمة الإسلامية وحدة لم تعرف الدنيا مثيلا لها، ولم تكن حضارة على وجه الأرض أطهر وأنقى ولا أعدل وأكمل منها، كل ذلك بفضل امتزاج الدين الخالص بالحياة، وهيمنته على القلوب، فاحتوى العربيَّ وغيره، والأسود والأبيض، والغني والفقير، والمالك والمملوك، وأصبح الضاعن رجلا أو امرأة يسير من أقصى الدنيا قاصدا بيت الله الحرام لا يخشى على نفسه، آمنا مطمئنا في ظل الإسلام الوارف، وكان لسان حال كل مسلم يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

هذه هي الدائرة الأولى، وهي الأساس في بناء الحضارة الإسلامية التي أخبر باتساعها فيما بعد رسول الله ﷺ، بقوله: « **زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكنزين: الأصفر، أو الأحمر، والأبيض يعني الذهب والفضة**

---

1) أبو داود حديث (٢٧٥١).

2) مسلم حديث (٤٦٨٥).

3) الآية (١٣) من سورة الحجرات .

4) إتحاف الخيرة المهرة حديث (٢٦١٤) .

وقيل لي: **إن ملكك إلى حيث زوي لك** »[1]، والمراد ملك الأمة، فهو نبي وليس ملكا، وتنبأ به هرقل في حواره مع أبي سفيان حول رسول الله ﷺ، ومساءلته لأبي سفيان، ولم يكن أبو سفيان مسلما في ذلك الوقت، وبعد سماع هرقل لإجابة أبي سفيان على كل سؤال سأله قال:"فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"، وملكت ذلك الأمة بعد موته ﷺ في عهد عمر ﷺ، وفي حديث أنس بن مالك ﷺ: حدثتني أم حرام بنت ملحان: "أن النبي ﷺ قال[2]، في بيتها يوما، فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما أضحكك؟، قال: « **رأيت قوما من أمتي يركبون ظهر هذا البحر، كالملوك على الأسرة** » قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم نام أيضا فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله، ما أضحكك؟، قال: « **رأيت قوما من أمتي يركبون ظهر هذا البحر، كالملوك على الأسرة** » قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: « **أنت من الأولين** » قال: فتزوجها عبادة بن الصامت، فغزا في البحر فحملها معه، فلما قدموا قُرِّبت لها بغلة لتركبها، فصرعتها فدقت عنقها فماتت"[3]، وقد تحقق ذلك كله، لأمة محمد ﷺ، حين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد كانت كتبه ﷺ إلى الآفاق بدايةَ اتساع ديار الإسلام، ودعوةَ الناس كافة للدخول في دين الله ﷻ، وكان ركوب البحر في عهد معاوية ﷺ، وقد كان الناس قبل بعثة نبينا محمد ﷺ أمما في معتقداتهم، وعاداتهم ومناهج حياتهم، جَعلت العاداتُ لكل منهم شرعة ومنهاجا، منهم من كان على جهل ببقايا ما جاءت به الرسل، ومنهم من اتخذ له إلها كما يهوى ويحب، وكان من العرب من بقي يتأمل شيئا من دين إبراهيم ﵇، وغالبهم يعبدون الأوثان، وهكذا غيرهم من المجوس والذين أشركوا، وليس بخاف على أحد دين اليهود والنصارى وما أوقعوا فيه من تحريف وضلال، فكان مبعث نبينا محمد ﷺ رحمة مهداة لهذه

---

[1]) أخرجه ابن ماجة حديث (٣٩٥٢).

[2]) من القيلولة، وهو النوم في وسط النهار.

[3]) أخرجه البخاري حديث (٢٧٨٨) ومسلم حديث (١٩١٢).

الأمة بكل أجناسها وقبائلها عربها وعجمها على حد سواء، ولم يكن لشعب دون شعب، بل كان للناس كافة، فقامت وحدة لم يسبق لها مثيل بالصفة التي أقامها رسول الله ﷺ، صفة استمدها من الوحيين الذين مَنَّ الله بهما عليه، وعلى أمته ﷺ.

ركائز وحدة الأمة

نستخلص من العهد النبوي أن ركائز وحدة الأمة خمس، دورها في وحدة الأمة كدور أركان الإسلام في بنائه، وهي:

الركيزة الأولى: الوحدة في الإيمان:

إن الإيمان بأن لهذا الكون خالقا يدبر أمره في كل ذرة منه، يقود إلى أن للإنسان ربا يستحق منه العبادة والتقديس، فإنه لا يكون في العبادة حق لغير الخالق، فلا يكون حينئذ لمقولة الدهريين قبول، لأنها مجرد هراء قادت إليه أفكار شيطانية، فقالت الألسنة الشريرة: "لا إله، والحياة مادة، وإنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر"، وأصحاب هذه المقولات هاجت بهم جنون الأفكار حتى ألقتهم في جهنم وبئس المصير، وأكثر منهم عقلا وإيمانا ذلك الأعرابي حين سئل كيف عرفت ربك؟ فقال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير؟"[١]، مقولة محفوظة معلومة، لأنها في بساطتها ذاتَ دلالة قاطعة على أن هذا الخلق العظيم لا يمكن أن يكون بدون خالق مدبر، فالإيمان الركيزة الأولى، وهي أساس الركائز الأربع التالية، وقد أُسست أركان الإيمان في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، لا يُرى عليه أثر سفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه"، ثم قال: « **يا محمد أخبرني عن الإسلام، قال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال:**

---

١) البيهقي وموقف من الإلهيات ٣٨/١.

صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله: خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها ــ يعني علاماتها ــ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة: رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال: ثم انطلق فلبثت ثلاثا، ثم قال: « **يا عمر أتدري من السائل؟** » قلت: الله ورسوله أعلم، **قال:** « **فإنه جبريل** ﷺ **جاءكم يعلمكم دينكم** »[١].

تضمن هذا الحديث تحديدا لأركان الإيمان وهي ستة: قوله ﷺ: « **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله: خيره وشره** » وما من ركيزة من الركائز الأربع التالية لها إلا وهذه الركيزة محورها، وقد يقول قائل: لِمَ ذكر أركان الإسلام إذاً؟ فالجواب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد، إذا اجتمعا افترقا في تفسير كل منهما، وأن الإسلام الإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وأن الإيمان الاعتقاد بالقلب، وإذا افترقا أغنى كل منهما عن ذكر الآخر، لدخوله فيه ضمنا، فارتبط الظاهر بالباطن، والتحمت ركائز الوحدة الإسلامية، ولذلك قال ﷺ: « **ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا** »[٢]، لاحتواء الإيمان الركائز الثلاث التالية له، لأن المسلم تحصَّل له بالإيمان العلم بالله ﷻ فرضي به ربا، وحصلت له معرفة بالإسلام فرضيه منهجا، وحصل له الإقرار بنبوة محمد ﷺ فرضيه نبيا ورسولا، وليُعلم أن مسمى الإيمان ليس محصورا في الأركان الستة ومعها أركان الإسلام الخمسة، بل هو أوسع من ذلك فقد قال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان** »[٣]، ورواية مسلم « **بضع وسبعون شعبة** »[٤]، فما ورد في حديث

---

١) مسلم حديث (٨).

٢) مسلم حديث (٤٩).

٣) البخاري حديث (٩).

٤) البخاري حديث (١٦١).

جبريل عليه السلام هو أصول الإيمان التي لا يصح إيمان عبد إلا باجتماعها، وقد ورد في الكتاب العزيز تناول مسمى الإيمان لأكثر مما في حديث جبريل، قال تعالى:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[١]، هنا تكامل لعناصر الإيمان، وقد يؤخذ من حديث الصحيحين السابق أن أول الإيمان الإقرار، وآخره إماطة الأذى عن الطريق، صحيح أن الإيمان الاعتقاد بالقلب، ولكنه لا يُعلم إلا بالإقرار، فالنطق يكشف خبايا القلب، فكان الإقرار أول ما يُعلم به إيمان المرء، ولهذا فالمسلمون يتفاضلون في الإيمان على قدر ما يحوزون من تعظيم الله ﷻ ورسوله ﷺ، وتعظيم كتابه تعالى وسنة نبيه ﷺ، وعلى قدر التطبيق العملي لذلك .

الركيزة الثانية: الوحدة في المعبود:

المعبود بحق هو الله ﷻ وحده لا شريك له، وعلى هذا أطبقت الأديان السماوية، وجاء القرآن الكريم داعيا إلى ذلك، آمراً النبي وأمته بالعلم بذلك، وأن يُتْبَعَ العلم بالعمل قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٢]، وقال ﷺ « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله** »[٣]، ولا عصمة لأحد بغير ذلك، وبها وبما بعدها صار الإسلام دين الله في الأرض لا يقبل سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٤]، هذا الدين العظيم الذي اتسع لكل البشر بالحرية والعدل والمساواة، قوامه الكتاب والسنة، وركائز وحدة الناس عليه أولها الإيمان بالله ﷻ، وثانيها عبادة الله وحده لا شريك

---

١) الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

٢) من الآية (١٩) من سورة محمد.

٣) البخاري حديث (٢٥) ومسلم حديث (١٣٣).

٤) من الآية (٨٥) من سورة آل عمران.

له، فليس من العدل أن تعبد غير الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك، فلا أصنام ولا أوثان ولا غير ذلك إلا الخالق البارئ المصور، من له الأسماء الحسنى، وسبحان الله عما يشركون، وعلى هذا المنوال كانت عبادة المؤمنين في العهد النبوي الكريم، وعصر الخلافة الراشدة.



الركيزة الثالثة: الوحدة في المتبوع:

المتبوع الذي خاطب الله به البشر جميعا وأمرهم أن يؤمنوا به هو نبينا محمد ﷺ لذلك أمر ﷺ بقتال من لم ينطق بالشهادتين: شطرها الأول لوحدة المعبود، وشطرها الثاني لوحدة المتبوع ﷺ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد احتفظ الإسلام بفضل الأنبياء وحافظ على مكانتهم في نفوس الناس، وجعل الإيمان بهم وبما جاؤوا به ركنا من أركان الإيمان، ولكن كانت إرادة الله ﷻ فيما مضى أن يبعث في كل أمة رسولا، وكان ذلك، وكانت دعوتهم إلى توحيد الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، فلما وقع التحريف والتبديل فيما جاؤوا به، كانت رحمة الله لمن بعدهم أن لا يعذبهم بما اقترف غيرهم من تحريف الكتب المنزلة ولاسيما على موسى وعيسى عليهما السلام، فوعد تعالى بعدم العذاب فقال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2]، وإن كان هذا عاما في الأمم فهو يتناول أمة محمد ﷺ، هذا من جانب، ومن جانب آخر اقتضت إرادة الله ﷻ أن يكون المبعوث رحمة للعالمين كافة وبشرع موحَّد، جعل فيه من اليسر والتخفيف مالم يكن فيما سبقه من الأديان، بيّن ذلك تعالى بقوله: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، وهذا يشمل التخفيف عن بني إسرائيل بنبوة عيسى عليه السلام، وعن أمة محمد ﷺ بنبوته، وأمرهم بوحدة الاتباع فلا يجوز لبشر على وجه الأرض يسمع بنبوة محمد ﷺ ولا يُقبل عليها ويتبين أمرها ليعلم الحق من الباطل، وقد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه وراه ينظر في التوراة: « **لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي** »[4]، فتوحد المؤمنون على اتباع محمد ﷺ، ولم يخرجوا عن ذلك قيد أنملة، وهم الرعيل الأول من المؤمنين رضي الله عنهم، وقد عجبت ممن يتصدر

---

١) من الآية (٣٦) من سورة النحل.

٢) من الآية (١٥) من سورة الإسراء.

٣) من الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

٤) شعب الإيمان للبيهقي حديث (١٧٦).

لتوجيه الناس، ويزعم أن كل أحد مخير فيما يدين ويعتقد ويستدل بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1]، وقد غفل عن تأمله أول الآية، وكذلك لو تأمل آخرها لما وقع في هذه الطامة، ولفهم أنها للتهديد والوعيد لمن لم يؤمن، هذا هو الحق، وأن من كفر فهو ظالم وموعود بالنار قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ أي قل يا محمد إن ما جئت به هو الحق من ربكم ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[2]، فالآية ليس فيها تخيير البتة بل وعيد شديد يا أولي الألباب.

الركيزة الرابعة: الوحدة في المنهج:

جعل الله لهذه الأمة منهجا فريدا تلتقي عليه وحدتهم المصيرية في أمر الدين خاصة، وفي أمور الدنيا عامة، فقال عن كلامه المنزل على نبينا محمد ﷺ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، ولو حاول الراغب في التحريف فإنه يبوء بالفشل في الدنيا، والخسران في الآخرة، لأن القرآن الكريم مصون محفوظ من رب العزة والجلال، وها هو يطوي القرن الخامس عشر وهو محفوظ كما أقرأه رسول الله ﷺ أصحابَه ﷺ، وقد خسيء كل من أراد النيل منه لفظا أو معنى، فإن الكثيرين من صغار المسلمين تحويه صدورهم فضلا عن كبارهم، كيف لا وهو المنهج الذي استقام عليه أمر الرعيل الأول في عهد النبوة، وعهد الخلافة الراشدة، إن هذه الركائز الثلاث هي التي تغلغلت في نفوس المؤمنين بالله ربا لا شريك له في العبادة، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا إلى الناس كافة، لا شريك له في الاتباع، لأن الله تعالى أمرهم بالركيزة الأولى بوحدة الإيمان فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ

---

١) من الآية (٢٩) من سورة الكهف.

٢) من الآية (٢٩) من سورة الكهف.

٣) الآية (٩) من سورة الحجر.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ١، وفي الركيزة الثانية بوحدة المعبود، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ٢، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾٣، وفي الثالثة بوحدة الاتباع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾٤، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ٥، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾٦، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾٧، وقال عن الركيزة الرابعة٨، وحدة المنهج: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾٩، وحبل الله هو القرآن الكريم، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ ١٠، فلا مرجعية لهم سوى الكتاب والسنة النبوية، عملا بوصية نبينا محمد ﷺ « **تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله** »١١.

---

١) من الآية (١٣٦) من سورة النساء.

٢) من الآية (٣٦) من سورة النساء.

٣) من الآية (٦٠) من سورة غافر.

٤) الآية (٣١) من سورة آل عمران.

٥) من الآية (٧) من سورة الحشر.

٦) من الآية (٧) من سورة النور.

٧) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.

٨) من الآية (٢٩) من سورة الكهف.

٩) من الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

١٠) الآية (٦٥) من سورة النساء.

١١) مسلم حديث (١٢١٨).

ومع هذا يخرج بعض المغرورين فيزعم أن من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر على التخيير، ويرى بهذا الفهم السقيم أنه جاء بالفتح في هذا العصر، نعم فتح باب الضلال للضعفاء من المسلمين.

الركيزة الخامسة: حماية الركائز الأربع:

قال رسول الله ﷺ: « **لكل شيء حمى، وحمى الله محارمه** »[1]، فكل شيء في هذه الحياة لابد له من قوة، تصونه وتحميه من العوادي، ومكاسب الأمة كلها تتلخص في وحدتها على الركائز الخمس التي قام عليها الإسلام، فلا بد لكل ركيزة منها من وجود حماية تصونها من العبث، والزيادة، والنقص، فالله ﷻ صان القرآن وهو الذكر من العبث، والزيادة، والنقص، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[3]، ومن الباطل محاولة تحريفه لفظا أو معنى، وهذا ضمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكذلك السنة النبوية، توعد رسول الله ﷺ من كذب عليه فقال: « **من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار** »[4]، وكذلك من عمل عملا لا يوافق أمره، قال ﷺ: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد** »[5]، وهذا من حماية السنة، ومن ذلك جهود العلماء في نقد الأسانيد، والمتون، وقمع البدع، وبيان خطرها على الأمة، وقد بشرنا رسول الله ﷺ أن للعلم بالكتاب والسنة حُماته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال ﷺ: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين** »[6].

---

١) مستخرج أبي عوانة حديث (٥٤٧٥).
٢) الآية (٩) من سورة الحجر.
٣) الآية (٤٢) من سورة فصلت.
٤) البخاري حديث (١٠٧).
٥) البخاري حديث (٢٠).
٦) ذم الكلام للهروي ٤/١٩٩.

حماية الركيزة الأولى:

الركيزة الأولى تصان من أفكار الطبائعيين، والدهريين، الذين يزعمون أن لا إله، وأن الطبيعة هي الفاعلة في الحياة، حتى زعموا أن الإنسان كان أصله قردا، فتطور بالطبيعة شيئا فشيئا حتى وصل إلى ما هو عليه، ولكن نسألهم وهم الخاسرون، لِمَ لم تتطور الشمس، وكذلك القمر وغيرهما من الكواكب؟، ولِمَ لم تتطور مياه الأنهار والبحار، فتكون زيتا، فتستغني عنا دول العالم، أو تكون لبنا خالصا؟، أو عسلا مصفى، ولِمَ لم يتطور الإنسان عن صورته هذه، منذ أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة ؟!، والعجب أنهم لم يتنبهوا إلى عجز الطبيعة، وحاجتها إلى خالقها، ولم يوفقوا إلى العلم بعجز الطبيعة أن تصنع لقمة طعام لمريض لا حول له ولا قوة، إن تلك الأفكار وما شابهها أو قاربها كانت تدميرا لفطرة الإيمان في النفوس، وفطرة الإنسان تقضي بحاجته إلى معبود يلجأ إليه في أزماته الفكرية والنفسية، والصحية والمعاشية، وكل ما تتطلبه حياته، وبعد موته أيضا، فكانت هذه الحاجة ملجئة إلى تنوع في المعبودات، وإلى صنع الآلهة الباطلة، والحق الصارخ الذي لا مرية فيه أن الخالق هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وليس إلا الله خالقا لهذا الكون وما فيه، فوجب على كل مسلم أن يحمي إيمانه من كل فكر لا يساوق الكتاب والسنة، فقد أوصى بذلك ربنا فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[1]، وأكد على أنه الخالق وحده، وأن لا إله معه سبحانه فقال: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟

---

[1]) من الآية (١٩) من سورة محمد.

﴿ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[١]، فوجب على كل إنسان أن يعلم أنه لا إله إلا الله، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إن ناسا يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ﷻ"[٢]، وأخشى أن يلتحق بركب الطبائعيين في زمننا المروجون لأفكار هدامة نسمعها اليوم هنا وهناك ولا رادع لها بزعم حرية الرأي، ولا أشك في أن أصحابها هم نابتة سوء في المجتمع المسلم.

حماية الركيزة الثانية:

تصان هذه الركيزة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فلا يُعبد الله إلا بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٣]، وتوعد من صرف العبادة لغيره تعالى فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٤]، وثبت في الحديث القدسي فيما يرويه الرسول ﷺ، عن ربه ﷻ أنه قال: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه** »[٥]، والنصوص من الكتاب والسنة النبوية كثيرة في الدلالة على وجوب إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا من أعظم ما يجب على المسلمين حمايته وصيانته من الدَّخَل، حتى في مجرد الألفاظ فما يوحي بالمشاركة مع الله ﷻ لا يجوز التلفظ به، هذا رسول الله يسمع رجلا يقول: ما شاء الله وشئت فينكر عليه ذلك ويقول: « **أَمِثْلان؟! قل ما شاء الله ثم شئت** »[٦]، وفي رواية

---

١) الآيات (٦٠ ــ ٦٤) من سورة النمل .

٢) الشريعة١/٥٤.

٣) الآية (٤٨) من سورة النساء.

٤) من الآية (٧٢) من سورة المائدة.

٥) مسلم حديث (٢٩٨٥).

٦) معرفة السنن والآثار حديث (٦٤٩٨).

« **جعلتني عِدلا، قل ما شاء الله** »[١]، فطهارة المسلم من الشرك تجب اعتقادا ولفظا وعملا، فلا يُعتقد أن مع الله من يُصرف له أيُّ نوع من العبادة مهما كانت تسميتها، لا وسطاء، ولا شفعاء، ولا يُتلفظ بما فيه تعظيم لا يستحقه إلا الله ﷻ ولا ما يشعر بعبادة لغير الله ﷻ، كطلب قضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وغير ذلك، ولا يُقام بعمل فيه لله شريك أو شركاء، فلا يُنذر لغير الله، ولا يُذبح لغير الله، كالأضحية، والهدي والفدية، وغير ذلك مما هو قربة، يرجا بها جلب نفع أو دفع ضرر، ولا يُسأل غير الله فيما لا يقدر عليه أحد سواه، وعلى هذا كانت حماية الركيزة الأولى في العهد النبوي.

فالركائز الخمس دوائر مغلقة يرتبط بعضها ببعض، لو كسرة واحدة منهن أذهبت قوة الكل.

حماية الركيزة الثالثة :

إن الركيزة الثالثة جزء لا يتجزأ من الركيزة الثانية، ولذلك كانت الشهادتان: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله تكوّنان الركن الأول من أركان الإسلام، فلابد في توحيد المعبود من توحيد المتبوع، والعكس كذلك إذ لا تُغني أحداهما عن الأخرى، وحماية وحدة المتبوع تكون بالتبرؤ من كل قول لا يتفق مع ما جاء به ﷺ لذلك قال ﷺ: « **من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار** »[٢]، لأنه الناقل عن الله ﷻ، ولأن قوله بأمر أو نهي شرع ألزمنا الله ﷻ به، ولذلك قال حسان بن عطية رحمة الله علينا وعليه: "كان جبريل ينزل بالسنة على رسول الله ﷺ كما ينزل عليه بالقرآن" [٣]، لكونه وحي قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[٤]، لذلك قال ﷺ: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا ، فهو رد** »[٥]، وفي

---

١) المعجم الكبير للطبراني حديث (١٣٠٠٦).

٢) البخاري حديث (١٠٧).

٣) الإبانة الكبرى حديث (٢٢٠).

٤) الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم.

٥) البخاري حديث (٢٠).

رواية « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد** »[1]، ومِنْ الحماية عدم الغلو في شخص رسول الله ﷺ وقد وقع في هذا المحذور أمة من الناس، مخالفين بذلك قوله ﷺ: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله** »[2]، وإذا كان الغلو في شخص رسول الله ﷺ منهي عنه حماية لوحدة المعبود، فكذلك الغلو في أشخاص العلماء والصالحين منهي عنه، حماية لوحدة المتبوع ﷺ، هذا هو دين الإسلام، دين الوسطية لا إفراط ولا تفريط؛ لذلك حذر رسول الله ﷺ من الإحداث في الدين، واعتبر ذلك من الضلال، كان ﷺ في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: « **من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار** »[3]، ألا يكفي هذا لتنبيه الغافلين، وتحذير الغالين من الخسران المبين ؟!، فتصان الوحدة في الاتباع من اقتحام البدع، وسيطرة الأهواء، فلا يكون الاتباع إلا خالصا لرسول الله ﷺ، لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[4]، وقد ربط الله محبته باتباع عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[5]، وقال ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لا يزيغ عنه** »[6]، فلا يجوز ترك قول الرسول ﷺ واتباع ما يخالفه، من الأقوال كائنا من كان قائلها، وقد فهم هذا الأئمة الأعلام وكل مسلم يجب أن يقول كما قال الأئمة رحمهم الله: قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إذا جاء القول عن رسول الله ﷺ فعلى

---

١) البخاري حديث (٢٦٩٧).
٢) البخاري حديث (٣٤٤٥).
٣) النسائي حديث (١٥٧٨).
٤) من الآية (٧) من سورة الحشر.
٥) الآية (٣١) من سورة آل عمران.
٦) السنة لابن أبي عاصم ١٥.

الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال؛ لأنه رحمه الله كان من أتباع التابعين، وتتلمذ على التابعين، فأبو حنيفة هو أقدم الأئمة الأربعة رحمهم الله[1]، والإمام مالك رحمه الله قال: كلنا رادّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر – يعني رسول الله ﷺ – ويقول رحمه الله: أوَ كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟!، ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي، ويقول رحمه الله: إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله، واضربوا بقولي عرض[2] الحائط، ويقول رحمه الله: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنا من كان، والإمام أحمد رحمه الله يقول: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، هذه أقوال أئمة الإسلام رحمهم الله فكل الأقوال تذوب أمام قول رسول الله ﷺ، وهذا ما جرى عليه أمر الرعيل الأول، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: « **يوشِك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!** »[3]، إن إخلاص العبادة لله وحده، وخلوص الاتباع لرسول الله ﷺ هو معنى الشهادتين سواء بسواء، ولهذا ورد ما يدل على وجوب حماية هاتين الركيزتين في قول رسول الله ﷺ: « **قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك** »[4]، **وقوله ﷺ**: « **إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض** »[5]، وهذا هو مسار الرعيل الأول.

---

1) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢/١١١.

2) بسكون الراء الموحدة المراد العرض ضد والطول، وهذا عندي أبلغ في الرفض، وبضم العين المراد به الناحية، أي ناحية الجدار، وهو عندي أقل بلاغة، وكلاهما يصح.

3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢/١٠٨.

4) ابن ماجه حديث (٤٣).

5) المستدرك حديث (٣١٩).

حماية الركيزة الرابعة:

هذا هو الرصيد الأمني للأمة الإسلامية مبنيا على الركائز الثلاث السابقة؛ لكون الركيزة الرابعة هي الوحدة في المنهج، والمنهج هو العمل بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فكتاب الله مضمون الصلاحية لكل زمان ومكان؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، والسنة النبوية الصحيحة، كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ؛ فهي محفوظة بما قام به علماء الأمة رحمهم الله من أعمال عظيمة قنّنت حمايتها من الزور والكذب على رسول الله ﷺ، فكل من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فهو من أهل النار لقول رسول الله ﷺ: « **من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار** »[1]، بل توعد الناقلين فقال ﷺ: « **من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين** »[2]، ومن هنا وجب على الأمة مدافعة الأفكار الهدامة، وهي التي لا تمت إلى الكتاب والسنة بصلة، وما أكثرها من زمن قديم، ولكنها في هذا العصر أكثر انتشارا، تحت شعارات براقة تخدع البسطاء من الناس كثيرا، وتستميل أصحاب الأهواء كثيرا، ولكن المعيار الدقيق لكشفها وبيان زيفها عرضها على الكتاب والسنة، فما كان موافقا قبلناه وما كان مخالفا رددناه، ونحن مع الكتاب والسنة على البيضاء طريق الحق المبين، وهو منهج الرعيل الأول أصحاب رسول الله ﷺ، فالرسول ﷺ هو الهادي، وأصحابه هم المهتدون، وقد بشرنا رسول الله ﷺ أن للعلم بالكتاب والسنة حُماته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال ﷺ: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[3]، فمن الأهمية أن نعرف من هم أصحاب رسول الله ﷺ، ولماذا سموا أصحابا، وبم نعرف الصحابي من غيره.

الذي عليه جمهور أهل الحديث: أن الصحابي كل مسلم رآه النبي ﷺ ولو لحظة، وعقل منه شيئاً، فهو صحابي، سواء عقل قليلاً أو كثيراً[4]، مثال ذلك قول محمود

---

١) البخاري حديث (١٠٧).

٢) أحمد حديث (١٨٢٣٦).

٣) ذم الكلام للهروي ٤/١٩٩.

٤) تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ١/٣٠.

بن الربيع الأنصاري ﷺ: "عقلت مجّة مجّها رسول الله ﷺ في وجهي من دلو معلقة في دارنا"١.

ولمعرفة من هو الصحابي طرق معلومة عند العلماء وهي:

أولا: التواتر المفيد للعلم القطعي بالصحبة، وهذا لا يختص بالعشرة المشهود لهم بالجنة وأمثالهم، بل يدخل فيه أيضاً كل من تواترت الرواية عنه من الصحابة المكثرين الذين بلغ الرواة عنهم العدد المفيد للتواتر كالمكثرين الرواية عنه ﷺ وهم مرتبون حسب عدد ما رووا من كلام رسول الله ﷺ.

١ ــ أبو هريرة ﷺ روى (٥٣٧٤) حديثا.

٢ ــ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، روى (٢٦٣٠) حديثا.

٣ ــ أنس بن مالك ﷺ، روى (٢٢٨٦) حديثا.

٤ ــ عائشة رضي الله عنها، روت (٢٢١٠) أحاديث.

٥ ــ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، روى (١٦٦٠) حديثا.

٦ ــ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، روى (١٥٤٠) حديثا.

٧ ــ أبو سعيد الخدري ﷺ، روى (١١٧٠) حديثا، وغيرهم كعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ وأمثالهم، وكذلك من اتفقت الأمة على صحة حديثه، وتلقته بالقبول وإن لم تكثر الرواية عنه كأبي قتادة ﷺ، وأبي مسعود البدري: عقبة بن عامر مشهور بكنيته ﷺ ونحوهما، فإن من لوازم ذلك اتفاقهم على كونه صحابياً، ويندرج في هذا عدد كثير من الصحابة المتفق على صحة أحاديثهم.

ثانيا: أن تكون صحبته ثابتة بالاشتهار القاصر عن رتبة التواتر، وهو يفيد العلم النظري عند كثير من العلماء، ويلتحق بهذه الرتبة من اتفقت كتب السير والمغازي والتاريخ على ذكره في الصحابة، ويندرج في هذا النوع خلق كثير من الصحابة ﷺ وإن كان فيهم من ليس له إلاّ الحديث الواحد أو الحديثان، وقد ألف العلماء في هؤلاء مؤلفات منها: المنفردات والوحدان.

---

١) اللطائف من دقائق المعارف لأبي موسى المديني ١/٢٥٥.

ثالثا: من لم يشتهر من جهة الرواية عنه ولكن ذكرته كتب السير، إما بالوفادة على النبي ﷺ، أو باللقاء اليسير، أو في أثناء قصة أو غزوة، فهذه مرتبة دون التي قبلها.

رابعا: من روى عنه أحد أئمة التابعين الذين لا يخفى عنهم مدعي الصحبة ممن هو متحقق بها، وأثبت له التابعيُّ الصحبة أو اللقاء، أو جزم بالرواية عنه عن النبي ﷺ غير معترض على ذلك، لما يلزم في روايته عنه على هذا الوجه من تصديقه فيما ذكر من الصحبة والرواية، سواء سماه في روايته عنه أو لم يسمه، بل قال: رجل من أصحاب النبي ﷺ، إذ لا تضر الجهالة بعين الصحابي بعد ثبوت صحبته.

خامسا: أن يقول من عرف بالعدالة والأمانة: سمعت رسول الله ﷺ أو رأيته يفعل كذا ونحو ذلك، ويكون سنه يحتمل ذلك، والسند إليه صحيح.

سادسا: أن يصح السند إلى رجل مستور لم تتحقق عدالته الباطنة، ولا ظهر فيها ما يقتضي جرحه، فيروي حديثاً يتضمن أنه صحابي.

سابعا: أن يثبت أنه تولى غزوة من غزوات رسول الله ﷺ أو شارك فيها.

ثامنا: أن يكون ممن أمَّره أحد الخلفاء في حروب الردة وفتوح الأمصار، فإنهم لا يقدمون على الصحابي غيره.

تاسعا: أن يكون ممن ثبت أن ابنه حنَّكه رسول الله ﷺ، أو مسح على رأسه، أو دعا له، فإنه كان لا يولد لأحد من الصحابة مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له.

عاشرا: أن يكون من يدعي صحبته ﷺ ممن كان بمكة أو الطائف سنة عشر من الهجرة؛ إذ من المعلوم عند المحدثين أن كل من كان بمكة أو الطائف سنة عشر قد أسلم، أو حج مع النبي ﷺ حجة الوداع؛ فالحجة معه ﷺ أمر يحرص عليه المسلمون القريبون من مكة، فيكون من حج من الصحابة.

حادي عشر: أن يكون مَنْ يدعي صحبته ﷺ من الأوس، أو الخزرج الذين كانوا بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ؛ فقد ثبت أنهم دخلوا في الإسلام جميعاً ﷺ، و لم يثبت عن أحد منهم أنه ارتد عن الإسلام.

ثاني عشر: أن يروي بعض صغار التابعين، ومن ليس من أهل المَيز منهم عن رجل مبهم ما يقتضي له صحبة، وهي أضعف المراتب وإن كان جماعة من الأئمة قبلوا مثل ذلك، وأثبتوا حديثهم في مسانيد الصحابة والرواة عنهم؛ ولعل ذلك والله أعلم لقرينة صدق ذلك الجيل الذي هو خير القرون، وأن مرتبة الصحبة الشريفة لم يدَّعِها أحد في ذلك العصر كذباً[١].

لماذا سموا أصحابا؟:

في أقصر تعبير نقول: لأنهم صحبوا رسول الله ﷺ، وأخلصوا له الصحبة في المنشط والمكره، فلم يكن لديهم أثمن من رسول الله ﷺ ومتابعته ونصرته، بالأموال نعم، بالأرواح نعم، بالأهلين نعم، بكل شيء نعم، ولم يقدر على هذا أحد سواهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

فضل أصحاب رسول الله ﷺ:

قبل الشروع في بيان التفاضل بين الصحابة ﷺ يجب أن نعلم أن التفاضل بين الأفراد والجماعات والأمم لا يلزم منه التفاضل من كل وجه، بل المراد منه التفاضل على سبيل الإجمال، فالتفاضل بين الخلفاء الأربعة بإجماع أهل السنة أنهم على الترتيب: أبو بكر ﷺ، ثم عمر ﷺ، ثم عثمان ﷺ، ثم علي ﷺ، وهذا على سبيل الإجمال، ولا يمنع أن يكون الواحد منهم أفضل من غيره في صفة معينة، وهكذا في الجماعات والأمم، ومن اعتقد غير هذا فقد شذ عن الإجماع وانتحل غلوا، لأن المردّ في ذلك إلى الله ورسوله: فالله الخالق يصطفي من الخلق ما يشاء، وفق حكمة أرادها سبحانه، وهو فعال لما يريد، ولا معقب لحكمه، وقد جعل لكل شيء قدرا، فقد ورد فضل الصحابة على سائر الأمة المحمدية على وجه العموم، للأسباب التالية:

١ــ أن الله اصطفاهم لنصرة نبيه محمد ﷺ.

٢ــ أنهم استجابوا لذلك مهاجرين وأنصارا، فمجرد الاستجابة والترحيب بذلك فضيلة.

---

١) تحقيق منيف الرتبة ص:٥٠ــ ٥٩.

٣ـ أنهم أكدوا استجابتهم عمليا، فكانوا مضرب الأمثال في الوفاء والتضحية في سبيل الله ورسوله، بالنفس والمال.

٤ـ أن الله شهد لهم في كتابه العزيز بالصدق قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾١، وهذا نص صريح في خروج المهاجرين ﷺ نصرة لله ورسوله، وفي صدقهم في ذلك، وأخبر تعالى بالرضا عنهم فيما صنعوا قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾٢، ولذلك أمرنا الله أن نكون معهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾٣، فقد شهد الله ﷻ بأنهم صدقوا في الإيمان والنصرة وهو الأمر الذي عاهدوا الله عليه، قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾٤، وهذا عام في المهاجرين والأنصار، وكل من صدق ما عاهد الله عليه، وكذلك صرح الرب ﷻ بالرضى عنهم فيما صنعوا في بيعة الرضوان، لعلمه بما في قلوبهم من صدق الإيمان والنصرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾٥، وكان عدد الذين بايعوا أربعمائة وألف رجل، قال البراء ﷺ: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها ثم

---

١) الآية (٨) من سورة الحشر.

٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

٣) الآية (١١٩) من سورة التوبة.

٤) الآية (٢٣) من سورة الأحزاب.

٥) الآية (١٨) من سورة الفتح.

دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا[1].

٥ـ أن الله أثنى على ثباتهم وشدتهم على أعداء الله، واتّصافهم بالرحمة فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[2]، ورغم ما هم فيه من انتماء عرقي قبلي، فلم يكن لذلك أثر في نفوسهم إلا عملا بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

فهم صفوة الخلق بعد رسول الله ﷺ، بسبب استجابتهم لذلك الحدث العظيم الذي جاء به محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، عدد خلقه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، ورضا نفسه، ذلك الحدث هو نزول القرآن الكريم، وما تلاه من حديث رسول الله ﷺ، فإذا أوردنا النصوص فإنما نعني قبول الصحابة لها، والعناية بها نصا وروحا، والعلم بها رواية ودراية، والعمل بها والدعوة إليها، فكانت حياتهم عملا بالوحيين في كل شيء ﷺ وأرضاهم.

المفاضلة بين الصحابة ﷺ:

أفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين أبو بكر ﷺ، وذلك على الإطلاق إجمالا وتفصيلا، فإنه لم يُسبق من الرجال إلى إيمان بالله ورسوله، ولم يُسبق إلى تصديق الله ورسوله، ولم يُسبق إلى خير بشهادة من أراد منافسته فلم يقدر عمر بن الخطاب ﷺ، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "مرَّ رسـول اللَّه ﷺ وأنا معه وأبو بكر، علَى ابن مسعود وهُو يقرأ، فقام يستمع قراءته، ثم ركع عبد اللَّه وسجد، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **مَن سره أن يقرأ القرآن كما أُنزِل فليقرأ**

---

١) البخاري حديث (٤١٥٠).

٢) من الآية (٢٩) من سورة افتح.

٣) الآية (١٣) من سورة الحجرات.

مِن ابنِ أُمِّ عَبْدٍ » قال: فأدلجت إلى ابنِ مسعود لأُبَشِّرَهُ بما قال رسول اللَّه ﷺ، فلما ضربت البَاب سمع صوتي، فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت أبشِّرُك بما قال رسول اللَّه ﷺ، قال: سبقك أبو بكر، قلت: إن يفعل فإنه سابق بالخيرات، ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقني إليه أبو بكر"١، ومن هنا يكون التفاضل على الإجمال فالأول بعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما، ثم عثمان ﷺ، ثم علي ﷺ، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء طلحة ﷺ، والزبير ﷺ، وسعد بن أبي وقــاص ﷺ، وسعيد بن زيد ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، وهؤلاء هم المبشرون بالجنة، وكلهم يصلح للخلافة، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلى القبلتين، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله ﷺ يوماً، أو شهراً، أو سنة، أو أقل من ذلك، أو أكثر، نترحم عليهم، ونذكر فضلهم، ونكف عن زللهم، ولا نذكر أحداً منهم إلا بالخير، لقول رسول الله ﷺ: « **إن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»٢، وقال سفيان بن عيينة: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى٣. قلت: وأصحاب الأهواء هم الزنادقة ولا شك.

أصــــل المفــاضـلة:

أصل المفاضلة مأخوذ من كلام الله ﷻ، وكلام رسول الله ﷺ، فقد أثنى الله علــى عباده وجعل منهم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس هذا خاصا بأمة محمد ﷺ فقد بعث في كل أمــة رســولا، وكــان مــنهم الصــديقون والشــهداء والصالحون، لكنه تعالى جعل خير الأنبياء والرسل محمد بن عبــد الله ﷺ وجعــل أصحابه خير الأصحاب، وجعل خير الأمة من عاش في القرون الثلاثــة، علــى الترتيب، قال ﷺ: « **خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلــونهم ثــم الــذين**

١) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير حديث (٨٣٤٣).

٢) البخاري حديث (٣٦٧٣) أخرجه مسلم حديث (٢٥٤٠).

٣) طبقات الحنابلة (١/١٨٠).

يلونهم »١، وجعل أمته ﷺ خير الأمم قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾٢، ولم تقف المفاضلة عند هذا الحد، بل خص بعض الجماعات بمناقب، وبعض الأفراد بصفات، فالأعمال الصالحة لها مسالك وأبواب، ولأوقاتها فضائل تميزها عن غيرها، قال ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾٣، شتان بين الأمرين قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾٤، وعلى هذا منهج السنة أيضا، فقد فاضلت السنة بين الصحابة ﷺ مع أنه قد يجتمع للواحد منهم أكثر من فضيلة، فالمبشرون بالجنة هم خير الصحابة ﷺ، وأهل بيعة العقبة الأولى والثانية تميزوا بفضلها عن غيرهم من الصحابة، وتميز أهل بدر عن غيرهم، لذلك قال رسول الله ﷺ في قصة حاطب: « **إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »٥، وبيعة الرضوان لأصحابها ميزة عمن لم يشهدها، وغير هذا كثير، وعلى هذا المنهج حصل فضل الصحابة على سائر الأمة، وفضل بعضهم على بعض جماعة وفرادى.

عدالة الصحابة ﷺ:

لقد اختار الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ واصطفاه وفضله على سائر الخلق، فاصطفى له أصحابا هم خيار الخلق بعده ﷺ، فكان شرف الصحبة موهبة إلهية لمن اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وجعل الله تعالى من لوازم هذه الموهبة: العدالة، والصدق والأمانة، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "**إن الله نظر في قلوب العباد،**

---

١) مسلم حديث (٢١٠).

٢) من الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

٣) من الآية (١٩) من سورة التوبة.

٤) من الآية (١٠) من سورة الحديد.

٥) البخاري حديث (٣٠٠٧) ومسلم حديث (٢٤٩٤).

فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيّء"[1]، فالذي عليه أهل السنة والجماعة أن العدالة ثابتة لجميع أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك أصل مستصحب في عدالتهم لثناء الله عليهم في كتابه العزيز ومدحه إياهم قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]، وقد أخبر برضاه تعالى عنهم فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[5]، وقد شهد لكثير منهم رسول الله ﷺ بالجنة، إما صراحة كالعشرة المبشرين بالجنة، أو ضمناً كقول رسول الله ﷺ في قصة حاطب رضي الله عنه: « **وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم** »[6]، وقد أخبر النبي ﷺ أنهم خير القرون من أمته وأفضلها،

---

١) المسند حديث (٣٦٠٠) وهو من الموقوف الذي له حكم الرفع، ومما لا يقال بالرأي.

٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة.

٣) من الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

٤) الآية (٢٩) من سورة الفتح.

٥) الآية (١٨) من سورة الفتح.

٦) البخاري حديث (٣٠٠٧).

فقال ﷺ: « **خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** »[١]، فالأول فيه الصحابة ﷺ: وهم الأخيار على الإطلاق، والثاني فيه الآخذون عن الصحابة: وهم التابعون رحمهم الله، والثالث فيه الآخذون عن التابعين: وهم أتباع التابعين رحمهم الله، فاقتضى أن الأول أفضل على الإطلاق، والثاني أفضل من الثالث، والثالث أفضل مما بعده إلى يوم القيامة. قال عمران: فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا[٢]، وتمام الحديث يوضح أنه لن يأتي بعدهم أفضل منهم، قال ﷺ: « **ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**»[٣]، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن نفقة الواحد من الصحابة في سبيل الله مهما قلّت لا يوازيها في الأجر نفقة من بعدهم مهما كثرت، قال ﷺ: « **إن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** »[٤]، فالويل لمن طعن في فضل وعدالة أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين، والحكم بعدالتهم ليس معناه عند أهل السنة والجماعة عصمتهم من الخطأ، واستحالة أن يقع أحدهم في خطأ أو معصية، فقد وقعت من بعضهم المعصية، وشهد له النبي ﷺ بعد توبته بالجنة، منهم ماعز بن مالك ﷺ، وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة، ولم يخالف فيه إلا مبتدع ضال، أو حاقد على دين الإسلام، جملة وتفصيلا، فالمستصحَب عند أهل السنة والجماعة ما كان عليه الصحابة في عهد رسول الله ﷺ، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ليس أحد من الناس نعلمه إلا أن يكون قليلا يمحض الطاعة، والمروءة حتى لا يخلطهما بمعصية، ولا يمحض المعصية، وترك المروءة حتى لا يخلطهما بشيء من الطاعة والمروءة، فإذا كان الأغلب على الرجل، والأظهر من أمره الطاعة والمروءة قبلت شهادته، وإذا كان الأغلب على الرجل والأظهر من أمره المعصية، وخلاف المروءة، ردت

١) البخاري حديث (٣٠٠٧).
٢) البخاري حديث (٣٦٥٠).
٣) البخاري حديث (٣٦٥٠).
٤) مسلم حديث (٢٥٤٠).

شهادته[1]، فالإنسان لا يمكنه أن ينجو من خطيئة وزلل، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[2]، دليل على اعتبار الأغلب، لأنه تعالى اعتبر الثقل والخفة، وإذا كنا اليوم نقبل من أهل الإسلام، من كان غالب حاله الصلاح، فكيف بمن ناصروا رسول الله، وشهد لهم الكتاب والسنة بجملة في الخير والعمل الصالح، الذي لم يدركه أحد بعدهم، فهم خيار الأمة المحمدية، إنهم أولى بذلك دون ريب، فلا ينازع فيه إلا مبتدع فارق أهل الحق والهدى، فنحن أهل السنة نثبت عدالة الصحابة بشدة، لأنهم الأمناء على ما أخذوا عن رسول الله ﷺ من علم الكتاب والسنة، سواء نصّ القرآن، أو نصوص السنة، وما نقلوا من تفسير لهما، يقول ابن مسعود ﷺ: **"والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"**[3]، ولو قبلنا ما زعم القادحون في الصحابة لهدمنا الإسلام من أصله، ولم يكن هناك إسلام إلا في عهد رسول الله ﷺ، فقط وليس لما بعده حظ منه، لأنه لم ينتشر إلا من طريق أصحابه ﷺ، نقل السيوطي رحمه الله عن إمام الحرمين رحمه الله، أنه قال: والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم: أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ، ولما استرسلت على سائر الأعصار[4].

كلام الله ﷻ:

هو القرآن الكريم، وهو صفة من صفات الله ﷻ، منزل غير مخلوق، أنزله على رسوله نبينا محمد ﷺ لا ريب فيه هدى للمتقين، تلقاه جبريل ﵇ عن رب العزة والجلال، وتلقاه نبينا محمد ﷺ عن جبريل، وتلقاه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ؛ ولذلك قال عبد الله بن مسعود ﷺ ما قال فيما تقدم من علمه بكتاب

---

١) الأم (٥٦/٧).

٢) الآيتان (٦، ٧) من سورة القارعة.

٣) أخرجه البخاري.

(٤) تدريب الراوي (٣٠٨/٢).

الله الآي منه والسور، وتقدم أن رسول اللّه ﷺ قال: « **من سره أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأ من ابن أم عبد** »[١]، ولم يكن هذا التنويه العظيم قاصرا على عبد الله بن مسعود ﷺ، بل تعداه إلى من تميز من أصحاب رسول الله ﷺ، قال ﷺ: « **خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالم مولى أبى حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبى بن كعب** »[٢]، ولا نقص في بقية أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن إشادة بمن تميز منهم، بحسن الصوت وقوة الأخذ والأداء، ولذلك كان يحب ﷺ، أن يسمع تلاوة القرآن من غيره، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "قال رسول الله ﷺ: « **اقْرَأْ عَلَيَّ** » قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟!، قال: « **إني أشتهي أن أسمعه من غيري** » قال: فقرأت عليه النساء حتى إذا بلغت ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾[٣]، قال لي: « **أمسك** » فإذا عيناه تذرفان"[٤]، واستمع ﷺ لقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ فقال له: « **يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود** »[٥]، وفي رواية قال له أبو موسى ﷺ: " لو علمت لحبَّرته لك تحبيرا "[٦]، ومنهم أبي بن كعب ﷺ قال رسول الله ﷺ: « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن** » قال أُبَي: آلله سماني لك ؟! قال: « **الله سماك لي** » فجعل أُبَيٌّ يبكى، قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾[٧]، وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلَّمَنا العلم والعمل"[٨]،

---

١) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير حديث (٨٣٤٣).

٢) البخاري حديث (٣٨٠٨) ومسلم حديث (٦٤٨٨).

٣) الآية (٤١) من سورة النساء.

٤) البخاري حديث (٤٥٨٣) .

٥) البخاري حديث (٥٠٤٨) ومسلم حديث (١٨٨٨).

٦) البيهقي في السنن الكبير (١٢/٣).

٧) سورة البينة.

٨) أخرجه أحمد المسند حديث (٣٨٥).

هؤلاء وأمثالهم من الجم الغفير من أصحاب رسول الله ﷺ هم نقلة القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ، وعنهم نقل العدول الأخيار من التابعين الأبرار، وعنهم أتباع التابعين، وهكذا يتواتر النقل إلى قيام الساعة، بنقل العدل عن مثله، وقد سمع القرآن من رسول الله ﷺ أبو هريرة، وقرأ أبو هريرة ﷺ: على أُبَي بن كعب ﷺ وعرض رسول الله ﷺ القرآن على أُبَي، وقال ﷺ: « **أمرني جبريل أن أعرض عليك القرآن** » وليعلم أن الرسول ﷺ حينما أمر أن يقرأ على أُبَي ﷺ لا من أجل أن يتعلم من أُبَي، بل ليتعلم أُبَي من رسول الله ﷺ حين يستمع إلى قراءته، فيحذوا أُبي حذو رسول الله ﷺ في القراءة، قال أُبَي ﷺ: "يقرأ عليَّ فأحذو ألفاظه" وقرأ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، على أبي هريرة ﷺ، وقرأ نافع بن أبي نعيم رحمه الله على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج رحمه الله[1].

فالصحابة أخذوا القرآن إما درسا لبعضهم، أو سماعا لتلاوته ﷺ في الصلاة وغيرها، أو استمع ﷺ لقراءة بعضهم وأقره عليها، بل أشاد بها كما تقدم سماعه لقراءة ابن مسعود، وقراءة أبي موسى الأشعري، وقراءة أُبَي وغيرهم ﷺ، وكان من حرص الصحابة على صحة السماع والنقل أن عمر ﷺ وهشام بن حكيم بن حزام ﷺ اختلفا في سورة الفرقان فقرأها هذا على وجه، وهذا على وجه فقال ﷺ « **لكليهما: هكذا أنزلت** »[2]، وقال ﷺ: « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » فالمراد به على سبع لغات في قول أبي بكر الصديق ﷺ.

ولهذا قال الشعبي: "الحروف واحدة لكن المختلف لغات[3]، القوم، وإنما هو كقولك هلم وأقبل وتعال".

والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أولهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه، على ما روي عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وعروة بن الزبير ﷺ،

---

1) السبعة في القراءات ١/٤٩، ٥٥.

٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ١/٣٥٩.

٣) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات ١/٣٦.

ومحمد بن المنكدر، وعمر بن عبد العزيز، وعامر الشعبي رحمهم الله[1]، فنتج عن ذلك ما أخذه القراء السبعة رحمهم الله، المجمع على صحة قراءاتهم وأولهم:

١ـ الإمام الذي قام بالقراءة بمدينة رسول الله ﷺ بعد التابعين أبو عبدالرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم.

وكان عالما بوجوه القراءات متبعا لآثار الأئمة الماضين ببلده أخذ القراءة عن جماعة من التابعين منهم: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وكان عبد الرحمن قد قرأ على أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وعلى قراءة نافع اجتمع الناس بالمدينة العامة منهم والخاصة.

توفي نافع رحمه الله سنة تسع وستين ومائة، وكانت وصيته لبنيه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

٢ـ كان الإمام الذي انتهت إليه القراءة بمكة وأتم به أهلها في عصره، عبد الله بن كثير، مولى عمرو بن علقمة الكناني، ويقال له: الداري، كان مقدما في عصره، قرأ على مجاهد بن جبر، وقرأ مجاهد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب ﷺ، ولم يخالف ابن كثير مجاهدا في شيء من قراءته، وقد أجمع أهل مكة على قراءته.

وعن ابن عيينة أنه توفي سنة عشرين ومائة، رحمه الله.

٣ـ وأما أهل الكوفة فكان الغالب على المتقدمين من أهلها قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه؛ لأنه هو الذي بعث به إليهم عمر بن الخطاب ﷺ ليعلمهم، فأخذت عنه قراءته قبل أن يجمع عثمان ﷺ الناس على حرف واحد، ثم لم تزل في صحابته من بعده يأخذها الناس عنهم؛ كعلقمة، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وزر بن حبيش، وأبي وائل، وأبي عمرو الشيباني، وعبيدة السلماني، وغيرهم.

---

١) السبعة في القراءات ١/٤٧، ٥٣، ٥٤، ٦٢، ٦٣.

٢) من الآية (١) من سورة الأنفال.

٤ــ أول من أقرأ بالكوفة القراءة التي جمع عثمان رضي الله تعالى عنه الناس عليها أبو عبد الرحمن السلمي: واسمه عبد الله بن حبيب؛ فجلس في المسجد الأعظم، ونصب نفسه لتعليم الناس القرآن، مكث يقرئ بها أربعين سنة، رحمه الله، وكان قد قرأ على علي رضي الله تعالى عنه[١].

الإمام أبو بكر عاصم بن أبي النجود:

وكان أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن، وعرض على زر بن حبيش.

٥ــ الإمام حمزة بن حبيب الزيات:

وكان الإمام حمزة ممن تجرد للقراءة ونصب نفسه لها، وكان ينحو نحو أصحاب عبد الله؛ لأن قراءة عبد الله انتهت بالكوفة إلى الأعمش، قيل: قرأ عليه، وقيل: سمع قراءته، وقرأ على ابن أبي ليلى، وقرأ ابن أبي ليلى على المنهال بن عمرو، وقرأ المنهال على سعيد بن جبير، وقرأ سعيد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب ﷺ، وقرأ أبي بن كعب على النبي ﷺ.

٦ــ الإمام علي بن حمزة الكسائي:

كان علي بن حمزة الكسائي قد قرأ على حمزة ونظر في وجوه القراءات وكانت العربية علمه وصناعته واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة وكان إمام الناس في القراءة في عصره وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم.

وأما البصرة فقام بالقراءة بها بعد التابعين جماعة منهم:

٧ــ الإمام أبو عمرو بن العلاء:

كان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو إمام أهل عصره في اللغة، وقد رأساً في القراءة، والتابعون أحياء وقرأ على جلة التابعين مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ويحيى بن يعمر وكان لا يقرأ بما لم يتقدمه فيه أحد.

توفي أبو عمرو وهو ابن ست وثماني سنة رحمه الله.

---

١) السبعة في القراءات ١/٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٨.

٨ــ الإمام عبد الله بن عامر اليحصبي، أهل الشام يسندون قراءتهم إليه، وكان قد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان ﷺ[١].

وليعلم أنه كما أخذ هؤلاء الأئمة كتاب الله مشافهة بأمانة نقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ فقد أخذه عن كل من ذكرنا مشافهة بأمانة نقل العدل عن العدل، لا نشك في صحة ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن شك أو شكك في حرف منه فهو زنديق مارق، لا حظ له في الإسلام.

إذاً هذه مراتب البلاغ: جبريل ﷺ، عن رب العزة والجلال، ومحمد ﷺ، عن جبريل ﷺ، والصحابة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، والتابعون رحمهم الله عن الصحابة ﷺ، وأتباع التابعين عن التابعين رحمهم الله جميعا، وهي مراتب بلاغ وصدق ووثوق في غاية الصحة والكمال، وهذا ما علِمه أصحاب رسول الله ﷺ، فتنافسوا في الأخذ عن رسول الله ﷺ، كل على قدر ما كتب له حتى تميز منهم عدد بدقة الأداء وجمال الصوت، فأدوا القرآن بالألفاظ التي تعلموها من رسول الله، وتلقاها التابعون، وعن التابعين تلقاها الأتباع، وعنهم أتباع الأتباع، وهلم جرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من دون زيادة ولا نقص عما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ.

مراتب بلاغ القرآن:

قد جعل الله ﷻ لبلاغ القرآن مراتب، يقوم بها من اصطفى من عباده، ولله أن يصطفي من خلقه ما يشاء، من الملائكة ومن البشر، وحتى من الأرض والبقاع، لا معقب لحكمه، ولا راد لما أراد سبحانه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢]، فاصطفى من الملائكة لبلاغ الرسالة روح القدس: جبريل ﷺ، ومن الناس الرسل عليهم السلام، خاتمهإن من يمعن النظر في كيفية وصول الشرع إلى الأمة يجد أنه وصل من خلال خمس مراتب، وهي أوثق ما

---

١) السبعة في القراءات ١/٤٧، ٤٨، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٣، ٨٥.

٢) من الآية (٧٥) من سورة الحج.

يكون، صدقا وأمانة والتزاما بحرفية النص، كما هو الحال في نقل القرآن الكريم، أو بالحرفية في نقل السنة، أو باللفظ المرادف الذي لا يحيل المعنى فيها عن مدلوله الصحيح.

المرتبة الأولى:

أمر الله ﷻ جبريل عليه السلام، بإنزال القرآن من اللوح المحفوظ، إما بالإيحاء إليه روحانيا، أو أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ، أو أنه نزل به مكتوبا، إلى الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، وهذه رتبة رفيعة لجبريل عليه السلام فهو روح القدس، وهو الأمين على وحي الله تعالى لجميع الرسل عليهم السلام، اصطفاه الله من الملائكة لما بيْنه تعالى وبيْن الأنبياء والرسل من أمر النبوات والرسالات، ولما شاء سبحانه، قال ﷻ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[1]، فالله الذي أنزله بدلالة هذه الآية: وبدلالة قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، منسوبا إلى ذاته سبحانه، والمراد بالحق: ما ورد فيه من أحكام، فذلك حق لا مرية فيه، نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة، وكان النازل به جبريل عليه السلام، فوضعه في بيت العزة، وأملاه على السفرة الكرام، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي بذلك الحق نزل من السماء الدنيا إلى النبي محمد ﷺ، ليحقق ما أراد الله في هذا الكون، من العدالة والأمن والاستقرار، ووحدة البشرية في العبادة والمعاملات.

قال ابن عباس: نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفَرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفَرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ عشرين سنة[4].

---

١) من الآية (١٠٥) من سورة الإسراء.

٢) من الآية (١٠٦) من سورة الإسراء.

٣) الآية (١٩٢) من سورة الشعراء.

٤) الإتقان في علوم القرآن ٤٥/١.

المرتبة الثانية:

نزل به جبريل عليه السلام، قال ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾١، وهنا نسب النزول به إلى جبريل عليه السلام لأنه نزل به أولا: من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وثانيا: من بيت العزة إلى السفرة الكرام منجما على قلب نبينا محمد ﷺ، وهذا شرف النبوة والرسالة الذي اصطفى الله له عبده ورسوله نبينا محمد الصادق الأمين ﷺ.

المرتبة الثالثة:

بلاغ رسول الله نبينا محمد ﷺ من آمن به، بلَّغ أصحابه رضي الله عنهم، وهو بلاغ للأمة كلها إذ خاطبه ربه فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾٢، وقد بلَّغ ﷺ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله عن أمته خير ما يجزَي نبيا عن أمته.

المرتبة الرابعة:

بلاغ الصحابة رضي الله عنهم، كل من صحب رسول الله ﷺ مؤمنا به؛ كان واعيا لكل كلمة سمعها من رسول الله ﷺ، لذلك نال شرف البلاغ عن رسول الله ﷺ حين أدَّاها كما سمعها، أو على معنى ما سمعها، لصحابي مثله، أو تابعي بعده، من غير زيادة ولا نقص، ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مفتخرا بالنقل عن رسول الله ﷺ: « **والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه** »٣، قال عبد الرحمن السلمي: "حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا:

---

١) الآية (١٩٣) من سورة الشعراء.

٢) الآية (٦٧) من سورة المائدة.

٣) أخرجه البخاري.

فعلمنا العلم والعمل"[1]، هؤلاء وأمثالهم من الجم الغفير من أصحاب رسول الله ﷺ هم نقلة القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ، وعنهم نقل العُدُول الأخيار من التابعين الأبرار، وعنهم تابعوهم من الأئمة الأعلام، وهكذا يتواتر النقل إلى قيام الساعة، بنقل العدل عن مثله، ومثل القرآن كان أصحاب رسول الله ﷺ، يلتقطون كلامه ﷺ في كل صغيرة وكبيرة.

كلام رسول الله ﷺ:

ومثل العناية بالقرآن كان أصحاب رسول الله ﷺ، يلتقطون كلامه ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، كما قيل لسلمان ﷺ: "قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة: فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"[2].

لقد اعتنى الصحابة ﷺ بالسماع من رسول الله ﷺ، ومنهم من انقطع عن الكسب ولازم رسول الله حتى أكثر الرواية عنه ﷺ وتقدم ذكر المكثرين: وهم سبعة ﷺ، تكلم رسول الله ﷺ بادئ ذي بدء بكلام رب العالمين، الذي نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[3]، فكلام رسول الله ﷺ أصدق الكلام وأبينه بعد كلام رب العزة والجلال، وإذا كان رسول الله ﷺ معروفا عند قريش قبل البعثة بالصادق الأمين، فقد قال عنه ربنا جل وعلا في القرآن: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4]، وقال تعالى آمراً بأخذ ما يأمر به ﷺ، والانتهاء عما نهى عنه ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5]، وذلك لكمال صدقه ﷺ ونصحه للأمة، وحذر تعالى من مخالفة

---

١) أخرجه أحمد المسند حديث (٢٣٥٢٩).

٢) مسلم حديث (٢٣٥٢٩).

٣) من الآية (٨٧) من سورة النساء.

٤) الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم.

٥) من الآية (٧) من سورة الحشر.

ذلك فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، وبين سبحانه أن مخالفة أمره ﷺ ونهيه ليست من صفات المؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2]، وقال ﷺ عن كلامه: « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم، فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم** »[3]، فأصبح التشريع الإسلامي كتابا وسنة: ما قال الله في كتابه العزيز، وما قال رسوله الصادق الأمين، فالحرام ما حرم الله ورسوله، والحلال ما أحل الله ورسوله، أضاف رسول الله ﷺ، ما سنه الخلفاء الراشدون، وهم صفوة الخلق بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ، والمراد ما اجتهد فيه كل واحد منهم مما لا نص فيه فإنه شرع يلزم الأمة المحمدية العمل به، قال ﷺ: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة**»[4].

بناء على هذا فإن التشريع الإسلامي كتابا وسنة من لدن حكيم حميد: هو الله ﷻ وحده لا شريك له، فما كان من حلال وحرام فهو بأمره تعالى، سواء ورد النص به في القرآن أو السنة النبوية، أو فيهما معا، وعلم الكتاب والسنة توارثه عن رسول الله ﷺ العلماء من أصحابه، وعنهم من بعدهم، قال رسول الله ﷺ: « **يرث**

---

١) من الآية (٧) من سورة النور.

٢) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.

٣) أبو داود حديث (٤٦٠٤).

٤) أحمد المسند حديث (١٧١٨٤).

هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالي »[1]، فقد ورث الصحابة من رسول الله ﷺ علم الكتاب والسنة، وهم خلفه ﷺ واجتهد الخلفاء الراشدون ﷺ فيما حدث في زمنهم من قضايا لم يرد فيها نص من كتاب ولا سنة، فكانوا خير الناس، وكان زمنهم خير الأزمان، إذ حفظوا للأمة المحمدية كل شيء عن رسول الله ﷺ فقامت دولة الخلافة الراشدة على أزكى ما يكون من العدل والمساواة، وسياسة الأمة بذلك في شئون الدنيا والآخرة، حتى لكأنك ترى رسول الله ﷺ وتسمع صوته، لكثرة ما يلتزم كل واحد منهم ﷺ بأداء ما سمع من رسول الله بكل صدق وأمانة وإخلاص، وكان يستوثق بعضهم بعضا فيما سمع حتى يروي الحديث الواحد العشرات منهم ﷺ، وجاء بعد الصحابة التابعون رحمهم الله.

ولم يكن حرص الصحابة ﷺ على السماع من رسول الله ﷺ قاصرا على النص القرآني الكريم، بل كانوا يرقبون ألفاظه وحركاته وسكناته، ليعلموا المراد من ذلك، الذكور منهم والإناث على حد سواء، فما أكثر ما تجد في السنة قول الصحابي سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، كقول النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الحلال بين والحرام بين ... »[2]، ولم يكتفوا بالسماع فما أكثر ما تجد في السنة قول الصحابي: سألت رسول الله ﷺ عن كذا وكذا، كقول عائشة رضي الله عنها: "سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة"[3]، ولم يكف ذلك بل كانوا يرصدون أفعاله، فما أكثر ما تجد الصحابي يقول: رأيت رسول الله ﷺ يفعل كذا وكذا، وكقول عائشة رضي الله عنها: "كنت قاعدة أغزل، والنبي ﷺ يخصف نعله، فجعل جبينه يعرق، وجعل عرقه يتولد نورا، فبُهت،

---

١) أخرجه البيهقي، السنن الكبير (٢١٤٣٩).

٢) أخرجه البخاري حديث (٥٢).

٣) أخرجه البخاري حديث (٧٥١).

فنظر إليّ رسول الله ﷺ فقال: « **ما بالك يا عائشة؟ بُهت؟!** » قلت: جعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نورا، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره، قال: وما يقول أبو كبير؟ قلت: يقول:

ومبــرءًا من كل غُبَّرِ حيضة ** وفســاد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ** برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فقام النبي ﷺ وقبل بين عينيّ" وقال: « **جزاك الله يا عائشة خيرا، ما سُررتِ مني كسروري بك** »[١]، هذه أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ تقول ما تقول عن حبيبها، ويأبا الزنادقة إلا القدح في طهرها، لعن الله من قدح به، ومن صدقه، ومن أذاعه ونشره، وكقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « **رأيت رســول الله ﷺ يلبس النعل التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها** »[٢]، أو يقول: كنت عند رسول الله فجاء رجل فقال كذا وكذا، كقول عدي بن حاتم ﷺ: « **كنت عند رسول الله فجاءه رجلان، أحدهما يشكوا العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل** ....»[٣]، وأسلوب آخر هو رصد ما يفعله بعض الصحابة بحضور رسول الله ﷺ، فيُقر الفاعل على فعله، أو ينهاه عما فعل، ولم يكن ذلك في حال بل في أحوال كثيرة، وأبواب من العلم لا تحصى، بل كان من حرصهم أن من اضطر للغياب عن مجلس رسول الله ﷺ كلف بعض من يحضر بالسماع من رسول الله ﷺ فإذا عاد سأل صاحبه عن قول رسول الله ﷺ، فقد كان عمر ﷺ وهو من خواص الصحابة يتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ هو وجار له، فينزل عمر ﷺ يوما، ويــأتي جاره ﷺ بما استفاده ذلك اليوم، وينزل جاره يوما، فيأتي عمر بما استفاد ذلك اليوم[٤]، وهذا أنس بن مالك وهو خادم رسول الله ﷺ يقول: « **والله ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن كان يحدث بعضنا بعضا، ولا يتهم**

١) مختصر خلافيات البيهقي ٤/٢٨٤.
٢) أخرجه البخاري حديث (١٦٦).
٣) أخرجه البخاري حديث (١٤١٣).
٤) انظر: البخاري حديث (٢٤٦٨) .

بعضنا بعضا »[1]، ومنهم من لازم رسول الله وانقطــع للأخذ عنه قـــال أبو هريرة ﷺ: "**إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، **إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون**"[3]، وأخذ صغار الصحابة عن كبارهم، فكانوا جميعا في الخير كتلة واحدة يأمن بعضهم بعضا، أصفى الناس قلوبا وأصدقهم ألسنة، وأقومهم بالحق، وأقمعهم للباطل، حقا والله هم العدول الأمناء، وقد شهد لهم جميعا بذلك، ولمن بعدهم من التابعين وأتباعهم ومن تبعهم بإحسان، شهد لهم رسول الله ﷺ فقال: « **يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالي** »[4]، فورث الصحابة من رسول الله ﷺ علم الكتاب والسنة، وهم خلفه ﷺ فتسلسل الصدق المطلق، والوثوق الكامل بتلك المراتب الأربع، وعلى هذا المنهج قامت دولة الخلافة الراشدة على أزكا ما يكون من العدل والمساواة، وسياسة الأمة بذلك في شئون الدنيا والآخرة، بكل صدق وأمانة وإخلاص، وبرزت خيرية القرون الثلاثة، الأمثل فالأمثل، متضمنة رجال البلاغ في المرتبة الخامسة من التابعين وأتباعهم رحمهم الله.

---

١) أخرجه الحاكم، المستدرك١٥/٩٤.

٢) الآيتان (١٥٩، ١٦٠) من سورة البقرة .

٣) البخاري حديث (١١٨) .

٤) أخرجه البيهقي، السنن الكبير (٢١٤٣٩).

المرتبة الخامسة:

هم الذين لم يدركوا رسول الله ﷺ، وأدركوا أصحابه ﷺ، وهم من يسمون بالتابعين، تلقفوا علم الكتاب والسنة عن أصحاب رسول الله ﷺ، حتى إن بعضهم رأى سبعين صحابيا، ومن أئمتهم سعيد بن جبير، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والزهري، وغيرهم كثير رحمهم الله، كلهم التزم نهج الصحابة فيما نقلوا عن رسول الله ﷺ، وهكذا ورث علم الكتاب والسنة من كل خلف عدوله، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم، وبإجماع المسلمين إلا من شذ ممن لا خلاق لهم، وعن الصحابة ورثه العُدُول من التابعين رحمهم الله، وعنهم أتباع التابعين رحمهم الله، وهلم جرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهم ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، تبقى الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وهم على هذا النهج القويم، لا يضرهم من خالفهم، نصر من الله وفتح قريب.



الخـــلافة الـــراشـدة

الله أكبر، ما ذا كان حال المسلمين في عهد رسول الله ﷺ، من الوحدة والانجبار، ومن الذي لا يتمنى أن يكون رأى رسول الله ﷺ ولو مرة واحدة ؟!!، ومن الذي لا يتمنى اليوم أن يرى رسول الله ﷺ في نومه؟! إن عزاءنا في ذلك أن العاملين بالكتاب والسنة، هم الداعون إلى تلك الوحدة، وذلك الانجبار، وهم أمته وهم الغر المحجّلون على الحقيقة، وهو ﷺ قائدهم، وهم الواردون حوضه، وما قال ﷺ: « **أوصيكم بتقوى اللّه، والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ** »[١]، ما قال هذا ﷺ إلا لأن الخلفاء هم الصفوة من الأصحاب، والأصحاب هم الصفوة من الناس، وأمته ﷺ هي الصفوة من الأمم، إن من يجعل الرسول ﷺ وأصحابه، في القدوة والعمل كغيرهم من الناس فقد ضل سواء السبيل، وهو ممن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، إن أصحاب رسول الله ﷺ ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين، هم الفرقة الناجية؛ لأنهم اتبعوا ولم يبتدعوا؛ لأنهم المحققون لقيود الكتاب والسنة، آمنوا بالكتاب والسنة جملة وتفصيلا، فطبقوا قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢]، وكم يخافون من قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]، ويعملون بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٤]، حياتهم دعوة وإصلاح وبناء عملا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ

---

١) الترمذي، حديث (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

٢) من الآية (٧) من سورة الحشر.

٣) من الآية (٧) من سورة النور.

٤) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب.

﴿ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[١]، نقاء في الاعتقاد، حين تحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[٢]، تمسكوا بوصية رسول الله ﷺ « **تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟** » قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: « **اللهم اشهد، اللهم اشهد** »[٣]، وهم الواعون لقوله ﷺ: « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم، فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم** »[٤]، وهم الصابرون امتثالا لقول رسول الله ﷺ: « **إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض** »[٥]، وغير ذلك كثير من منهج الإسلام، مما يطول ذكره وتفصيله، إنها فرقة مجاهدة في تطبيق الكتاب والسنة، جملة وتفصيلا، في كل مناحي الحياة، حتى في كيفية لباس الثوب، والنعل، وآداب الدخول والخروج، وركوب الدابة، قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله ﷻ، ومن كان حريصا على مثل هذه الشعائر اليسيرة السهلة، فهو لما سواها من الأمور العظيمة أطلب، وعليها أحرص، ولرسم الصورة لمنهج المهتدين، نَطْرق باب المهتدي الأول.

والعجب أن لفتة أعرض عنها أهل الأهواء، وكأنها عندهم لم تكن ولم ينطق بها المصطفى ﷺ، مع أنها من غرر كلامه ﷺ، ومن علامات صدق نبوته حين قال في شأن الاختلاف والفتن: « **فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء**

---

١) الآية (١٠٨) من سورة يوسف.

٢) من الاية (٣٦) من سورة النساء.

٣) أخرجه مسلم، حديث (١٢١٧) وهو طويل.

٤) أخرجه أحمد المسند حديث (١٧٢١٣).

٥) البخاري حديث (٣٧٩٢) ومسلم حديث (٢٤٩٣).

الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »[١]، لفتة هامة في سداد أهل السنة، وإشارة واضحة وجلية إلى أنه سيكون بعده ﷺ خلفاء من أصحابه يلون أمر الأمة المحمدية، فأمر الأمة بالتمسك بسنته ﷺ، وبما يسنه كل واحد منهم، لأنهم راشدون مهديون، ولا أشك في علم رسول الله بأعيانهم، وقد ورد عنه ما يشير إلى ذلك في صور منامية رآها رسول الله، فقال ﷺ: « **رأيت الناس مجتمعين فى صعيد، فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين، وفى بعض نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر، فاستحالت بيده غربا، فلم أر عبقريا في الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن**»[٢]، فاجتماع الناس فيه إشارة إلى اجتماعهم على الخلافة ونزع أبي بكر أولا، يدل على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ، والضعف في النزع إشارة إلى قلة الزمن الذي يكون فيه أبو بكر ﷺ خليفة، وهو ما حدث فعلا فلم يبق في الخلافة سوى سنتين، ونزعُ عمر ثانيا، فيه إشارة إلى أنه الخليفة بعد أبي بكر ﷺ، ويدل وصف عمر ﷺ بقوة النزع على مدة خلافته وقوة عهده، وهو ما حدث فعلا، فلم يكن في الخلفاء بعده أعظم منه عملا، ولا عدلا، ولا قوة للأمة ﷺ، ومما يؤكد أحقية أبي بكر ﷺ بالخلافة قول الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾[٣]، فالآية عامة في استخلاف المؤمنين بعد المشركين، وأهل الكتاب، وهو وعد بشر الله به المؤمنين في أول الإسلام، لتقوى عزائمهم على الثبات ومقارعة المشركين، واليهود والنصارى، وعد بأن يكون للمؤمنين خلفاء يخلفون، أولهم يخلف رسولَ الله ﷺ، فكان أول الخلفاء أبو بكر ﷺ؛ تحققت هذه الآية الكريمة فيه، وفي الثلاثة بعده ﷺ، فهم في مقدمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واستخلفهم بعد رسوله واحد تلو الآخر، ووعد الله الذين آمنوا بالمغفرة

---

١) الترمذي حديث (٢٨٩١).

٢) أخرجه البخاري حديث (٢٦٣٣).

٣) الآية (٥٥) من سورة النور.

والأجر العظيم قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وهذه تحققت في جميع الصحابة ﷺ وأبو بكر ﷺ هو أكمل الناس إيمانا بعد رسول الله ﷺ، بشهادة عمر بن الخطاب ﷺ حين قال: « **لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم** »[2]، وكفى والله بها شهادة من عدل خبير بأبي بكر بعد رسول الله ﷺ، ونعود إلى الحديث السابق فنجد فيه إلماحة قوية تؤكد أن خلافة عمر ﷺ بعد أبي بكر ﷺ، وتشير إلى ما يكون في عهده من خير للإسلام والمسلمين، فطابق الخُبْرُ الخَبَر في هذا الأمر العظيم المعتبر، فُتحت الأمصار شرقا وغربا، ودوَّى صوت المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح في تلك الأمصار، ومن هنا اشتدت عداوة الحاقدين على عمر بن الخطاب ﷺ كأبي لؤلؤة المجوسي لعنه الله، وأتباعه الذين لا زالت نار حقدهم تضطرم إلى اليوم.

أما قوله ﷺ: « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة** »[3]، ففيه إشارة إلى ما سيحدث من خلاف وفتن يشعلها أهل الكيد للإسلام، وأن ذلك سيحدث لا محالة، ولا يكون إلا بالإحداث فيما جاء به ﷺ، وحذر من المحدثات في الدين لأنها أبواب الضلال.

موقف الصحابة من الخلافة الراشدة

لم يشك الصحابة ﷺ في أن مراتب الخلافة الراشدة، بعد النبوة على الولاء، روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نُخَيِّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ: أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره[4].

---

١) الآية (٩) من سورة المائدة.
٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٨٣/٣).
٣) الترمذي حديث (٢٨٩١).
٤) السنة لابن أبي عاصم حديث (١١٩٣).

وبالطبع علي ﷺ رابع الخلفاء، وهو القائل ﷺ: "خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، وبعد أبي بكر: عمر، ولو شئت أن أسمي لكم الثالث لفعلت"[1]، ولا ريب أن الثالث عثمان، وقد روى محمد بن علي بن أبي طالب: المعروف بابن الحنفية قال: قلت لأبي: "يا أبت، من أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ؟ قال: سبحان الله يا بني: أبو بكر. قال: قلت: ثم من؟ قال: سبحان الله يا بني: عمر. قال: قلت: ثم أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: لست هناك، ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين، لي ما لهم، وعليّ ما عليهم"[2].

يفهم من قول علي ﷺ: "لست هناك" أنه ﷺ يعلم موقعه في الخلافة، وأنه ليس بعد عمر ﷺ، ولذلك بايع عمر ولم ينازعه، ولما كان موقعه بعد عثمان بايعه الصحابة فقام لذلك، ولم ينازعه معاوية ﷺ في الخلافة بل في المطالبة بقتل قتلة عثمان ﷺ، وقد كان أمر مراتب الخلافة عندهم من البدهيات، ولذلك كان الحادي يحدو بعثمان وهو يقول:

إن الأمير بعده علي ** وفي الزبير خلف رضي.

قال كعب: ولكنه صاحب البغلة الشهباء، يعني معاوية، فقيل لمعاوية: إن كعبا يسخر بك ويزعم أنك تلي هذا الأمر، قال: فأتاه فقال: يا أبا إسحاق، وكيف وهاهنا علي والزبير وأصحاب محمد، قال: « **أنت صاحبها** »[3].

وفي قول معاوية هذا دلالة على أنه يعلم رتبة عليّ ﷺ في الخلافة وأنها بعد عثمان، ويعلم أن الزبير أحق منه بها بعد علي ﷺ، ولعل كعب الأحبار رحمه الله قال ما قال لمعاوية ﷺ إما لعلم عنده من الكتاب؛ "**التوراة**" أو من قول رسول الله ﷺ: « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك** » وهو الأولى عندي، قال سفينة للراوي عنه وهو سعيد بن جمهان: "أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين"[4]، وقال رسول

---

١) السنة لابن أبي عاصم حديث (١٢٠١).

٢) السنة لابن أبي عاصم حديث (١٢٠٧).

٣) مصنف ابن أبي شيبة حديث (٣٧٠٩٣).

٤) الإبانة عن أصول الديانة ١/٢٥٧.

الله ﷺ: « **خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء** »[١]، حيث تنتهي الخلافة الراشدة بقتل علي ﷺ، ولعن الله قاتله عبد الرحمن بن ملجم، وقد تجاوز خبر الخلفاء حدود الخلافة الراشدة، روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يكون اثنا عشر خليفة** » ـ فذكر أبا بكر ﷺ، وعمر ﷺ، وعثمان ﷺ ـ فقال له رجل من قومه: إنما جلسنا إليك لتذكرنا، ما لنا وما لهذا؟ فقال: والذي نفسي بيده، لو تركتني لأخبرتكم بما قال فيهم واحدا واحدا[٢]، روى جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: « **إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة** » قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: « **كلهم من قريش** »[٣].

قلت: بيَّن الحافظ ابن حجر رحمه الله المراد من هذا الحديث بناء على تأييد القاضي عياض رحمه الله بقوله: في بعض طرق الحديث الصحيحة « **كلهم يجتمع عليه الناس** » وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ﷺ، ثم عمر ﷺ، ثم عثمان ﷺ، ثم علي ﷺ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فسمي معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية ﷺ عند صلح الحسن ﷺ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين ﷺ أمر بل قتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم

---

١) أبو داود حديث (٤٦٤٦).

٢) السنة لابن أبي عاصم حديث (١١٨٢).

٣) مسلم حديث (١٨٢١).

تطل مدته، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان، ولما مات يزيد ولي أخوه إبراهيم فغلبه مروان، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل، ثم كان أول خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح، ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر في جميع أقطار الأرض، فلم يبق من الخلافة إلا الاسم في بعض البلاد، بعد أن كانوا في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض، شرقا وغربا وشمالا ويمينا مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة، ومن نظر في أخبارهم عرف صحة ذلك، فعلى هذا يكون المراد بقوله ثم يكون الهرج يعني القتل الناشئ عن الفتن، وقوعا فاشيا يفشو ويستمر ويزداد على مدى الأيام، وكذا كان والله المستعان [١].

مكانة أبي بكر ﷺ:

هو رجل الإسلام الأول بعد رسول الله ﷺ، أسلم بإسلامه ستة نفر، خمسة من العشرة المبشرين بالجنة: وهم عثمان، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والسادس خباب بن الأرت ﷺ، ولقد أعز الله الإسلام بخلافة أبي بكر الصديق ﷺ، فقد كان الرجل الأول من رجال الإسلام العظام عند رسول الله ﷺ، رفيق درب رسول الله ﷺ من أول وهلة، عرفه وآمن به وصدقه ولازمه ملازمة الظل للجسد، ولم يفضّل عليه رسول الله ﷺ أحدا من أصحابه بل كان سيدهم والمقدم عليهم في كل شأن، وقد أَم الناس ورسول الله ﷺ حي، عن عائشة رضي الله عمها قالت: "لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: « **مروا أبا بكر أن يصلى بالناس** » فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: « **مروا أبا بكر يصلى بالناس** » فقلت: لحفصة قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم

---

١) فتح الباري ٢١٤/١٣.

مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: « **إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلى بالناس** » فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين، ورجلاه يخطان في الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب أبو بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبى بكر، فكان أبو بكر يصلى قائما، وكان رسول الله ﷺ يصلى قاعدا، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر ﷺ"[1] ، ولو كان عمر ﷺ أفضل من أبي بكر أو حتى مساويا له في الفضل لم يُغلظ رسول الله ﷺ الكلام لحفصة مع وجاهة العذر، ولكنه فضل أبي بكر ﷺ، وأول من يعترف به عمر ﷺ، ولم يكن خافيا أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يُقِّدم أبا بكر ليصلي بالناس صلاة العصر، في اليوم الذي ذهب فيه رسول الله ﷺ للإصلاح بين بني عمرو بن عوف[2] ، وقال ﷺ: « **ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت، أبا بكر ولكن أخي وصاحبي** »[3] ، فلم يفضل أحدا من أهل الأرض على أبي بكر ﷺ، إشارة واضحة في استحقاق أبي بكر ﷺ، لو جازت الخلة لأحد من الناس لكانت لأبي بكر كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ، ومن هنا عرف الصحابة فضل أبي بكر، وقد قال عمر ﷺ: « **لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجـح بهم** »[4] ، وهذا الأمر أغاظ كثيرا أتباع أبي لؤلؤة المجوسي على أبي بكر وعمر وعامة الصحابة، وعلى كل من رضي بذلك.

---

١) البخاري حديث (٧١٣) ومسلم حديث (٩٦٨).

٢) المعرفة والتاريخ ١/٤٥٥.

٣) البخاري حديث (٣٦٥٦) ومسلم (٦٣٢٣).

٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٨٣/٣).

أبـــــوبـــــكـــــر ﷺ

نسـبه:

سمي عتيقا لرقة حسنه وجماله، وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمه أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، فصخر عم أبي قحافة عثمان، وسلمى ابنة عمه.

ولد بمكة، بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها.

وهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب، وأول الخلفاء الراشدين ١.

صـفته ﷺ:

كان رجلا نحيفا خفيف اللحم أبيض، وكان يخضب بالحناء والكتم ٢.

إســلامه ﷺ:

أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، قالت: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أسلم أبي أول المسلمين؛ ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما عقلت أبويَّ إلا وهما يدينان الدين، وما مر علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية.

فأبو بكر ﷺ صحب النبيّ ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمرّ معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحجّ في الناس في حياة رسول اللّه ﷺ سنة تسع، واستقرّ خليفة في الأرض بعده، ولقّبه المسلمون خليفة رسول اللّه.

أسلم أبوه ﷺ، وروى عن النبيّ ﷺ ٣.

---

١)انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥٢/١٠، والإصابة في تمييز الصحابة ١٤٥/٤ والأعلام للزركلي١٠٢/٤.

٢) الطبقات الكبرى ط العلمية ١٤٠/٣.

٣) بتصرف انظر: الطبقات الكبرى ٣/ ١٢٨، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥٢/١٠، والإصابة

خـــــلافـــة أبـي بـــــكـــــر رضي الله عنه

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول، من السنة الحادية عشرة من هجرته ﷺ، ودفن في بيت عائشة رضي الله عنها، وكانت قد رأت سابقا ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها، قالت رضي الله عنها: "فقصصت رؤياي على أبي بكر الصديق، فلما توفي رسول الله ﷺ، ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها"١، دفن خير الأقمار وكان أمر الأمة المحمدية بيده ﷺ، وكانت وفاته ﷺ أمرا مذهلا لأصحابه لشدة حبهم له ﷺ، وملازمتهم مجالسه ﷺ، وكم كان يقول: كنت أنا وأبو بكر وعمر، خرجت أنا وأبو بكر وعمر، وقال في قصة كلام البقرة، والذئب، وقد استغرب أناس كلامهما: « **آمنت به أنا وأبو بكر، وعمر**»٢، وغيرهما كثير من أصحابه، أحبوه حبا جما، وفدوه بأموالهم وأنفسهم، فعظمت وفاته عليهم حتى قام عمر رضي الله عنه يخطب في الناس، فقال المغيرة رضي الله عنه: "يا عمر، مات والله رسول الله، فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله، ولكنك رجل تحوشك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين"، ما أراد عمر إلا هلاك أعداء الإسلام، وهو يعلم وجود الكثيرين منهم في ذلك الوقت، فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه وعمر يخطب قال له: اجلس، فأبى عمر رضي الله عنه، وهو يعلم فضل أبي بكر رضي الله عنه، ولكن حبه لرسول الله ﷺ كان أكبر بكثير من طاعة أبي بكر رضي الله عنه فتشهد أبو بكر رضي الله عنه، فمال الناس إليه، وتركوا عمر رضي الله عنه، لمعرفتهم بفضل أبي بكر رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أما بعد: من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ** ﴾٣، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل

في تمييز الصحابة ٤/١٤٥ والأعلام للزركلي٤/١٠٢.

١) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري حديث (٩٧٤).

٢) البخاري حديث (٢٣٢٤).

٣) الآية (١٤٤) من سورة آل عمران.

هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمعُ بشرا من الناس إلا يتلوها، فأخبر سعيد بن المسيب أن عمر قال: "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقِرت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات"[1]، حصل للناس إفاقة من هول ما سمعوا من موت رسول الله ﷺ كان قول أبي بكر رضي الله عنه بلسما شافيا لتلك الصدمة، بعد هذا انصرف الصحابة إلى التفكير في مصير الأمة المحمدية بعد نبيها، ولا يلزم أن يحضر جميع الصحابة سقيفة بني ساعدة، بل يكفي منهم النخبة ولم يكن ذلك إلا برعاية ربانية، فقد وعد بحفظ الذكر؛ والشريعة الإسلامية برمتها من الذكر، فكان اجتماع الأعيان في سقيفة بني ساعدة أمرا اجتهاديا ليس في أمر الأمة المحمدية بعد وفاة رسول الله ﷺ نص صريح لشخص معين لا من الكتاب العزيز، ولا من السنة النبوية، سوى بعض الإضاءات، السالف ذكرها، ومن ذلك قوله ﷺ: « **يأبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[2]، وكذلك قوله ﷺ: « **لا ينبغي لقوم يكـــون فيهم أبو بكر يؤمهم غيره** »[3]، وكذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الخليفة الرابع ذكر أبا بكر وشرفه وفضله وقال: "قدم رسول الله ﷺ أبا بكر فصلى بالناس، وقد رأى مكاني، وما كنت غائبا ولا مريضا، ولو أراد أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا"[4]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنه كان من شأن الناس أن رسول الله ﷺ توفي فأتينا فقيل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعونه، فقمت وقام أبو بكر، وأبو عبيدة بن الجراح، نحوهم فزعين أن يحدثوا في الإسلام فتقا، فلقيَنا رجلان من الأنصار، رجل صدق: عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي، فقالا: أين تريدون؟ فقلنا: قومَكم، لِما بلغنا من أمرهم، فقالا: ارجعوا فإنكم لن تُخالَفوا، ولن يؤت شيء تكرهونه، فأبينا إلا أن نمضي، وأنا أزوي كلاما أريد أن أتكلم به، حتى انتهينا إلى القوم،

---

١) البخاري حديث (٤٤٥٤).

٢) فضائل الصحابة لأحمد حديث (٥٨٩).

٣) الشريعة للآجري حديث (١٣٠٠).

٤) الشريعة للآجري حديث (١٣٠٠).

وإذا هم عكوف هنالك على سعد بن عبادة، وهو على سرير له مريض، فلما غشيناهم تكلموا فقالوا: يا معشر قريش، منا أمير ومنكم أمير، فقام الحباب بن المنذر فقال: أنا جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجَّب، إن شئتم والله رددناها جذعة، فقال أبو بكر: على رسلكم، فذهبت لأتكلم فقال: أنصت يا عمر [١]، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب، ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم [٢]، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الاسلام، ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين.

قال عمر: لي، ولأبي عبيدة بن الجراح ــ فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة، قال: فو الله ما بقي شيء كنت أحب أن أقوله إلا وقد قاله يومئذ، غير هذه الكلمة ــ يعني ترشيحه ــ فو الله لأن أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا في غير معصية، أحب إلي من أن أكون أميرا على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قلت: يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار: أبو بكر السباق المبين، ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار، فضرب

---

١) أمر من أخ كريم لأخ كريم فقد آخى بينهما رسول الله ﷺ، وهما سيدا كهول أهـل الجنـة سوى الأنبياء والمرسلين (الغيلانيات حديث ١٩).

٢) سئل بعض العلماء لم كانت قريش أفضل العرب وهي قبيلة من مضر؟ فقال: لأن دارها لم يزل منسكا لحج الناس، وموسما لهم وموردا لقضاء نسكهم، وكانوا لا يزالون يتأملون أحوال الواردين ويراعونها، يختارون أحسن ما يشاهدونه، ويتكلمون بأحسن ما يسمعونه من لغتهم، ويتخلقون بأحسن ما يرون من شمائلهم، فبذلك ــ وهو حسن الاختيار الذي هو ثمرة العقل ــ صاروا أفضل العرب، ثم قال: لما بعث الله نبيه ﷺ منهم تمت لهم به الفضيلة، وكملت به السيادة، وإنما صار دارهم حرما لأن الله تعالى لما قال للسماوات والأرض: ﴿ **ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** ﴾ من الآية (١١) من سورة فصلت، كان المجيب له بذلك من الأرض موضع الكعبة ومن السماء ما قابله فلذلك جعل فيه البيت المعمور (السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/٧٠).

على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتتابع الناس"١، هذا هو الحق المبين، الذي أعمى الله عنه خلائق زعموا عدم أحقية أبي بكر ﷺ بالخلافة، مع علمهم بوجود العباس ﷺ عم رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يجله كثيرا، حتى قال: « **عم الرجل صنو أبيه** »٢ ولم ينظر الناس في استخلافه، ولم يكن المقدم عندهم، ولا الإمام الأعظم، وإنما كان المقدم والإمام الأعظم أبو بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه.

وإن للأنصار فضلهم ومكانتهم في نصرة الله ورسوله، والتضحية في سبيل الله بالنفس والنفيس، فلهم الحق كل الحق أن يتطلعوا إلى شيء من الأمر بعد رسول الله ﷺ، كما تطلعوا إلى أن يعطيهم رسول الله من غنائم يوم حنين، وعتبوا على ذلك، فلما أبان لهم رسول الله ﷺ الحق قبلوا وطابت أنفسهم؛ لأن الإسلام مقدم عندهم على كل شيء، وهنا كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة أبعد نظرا من سعد بن عبادة وقومه ﷺ، خافوا من الانشقاق، فيكون ذلك بابا من الشر على وحدة الأمة المحمدية، ولاسيما والأمر لا زال في صُبحه، وأمام من يلي أمر الأمة من الأعمال ما يستدعي وحدة الصف على ما كان عليه رسول الله ﷺ، هذا من جانب ومن جانب آخر الأنصار أنفسهم يعرفون مكانة قريش بين القبائل في الجاهلية، وما لهم من تأثير على سير الأحداث، فذكَّرهم أبو بكر ﷺ الأمر الخطير، مع الاعتراف بفضل الأنصار، وبمكانتهم في الأمة المحمدية، فالناس دثار رسول الله ﷺ، وشعاره الأنصار، ولم يسعَ أبو بكر ﷺ لترشيح نفسه، ولكنه رشح أحد اثنين وهما من يعرف الأنصار والمهاجرون فضلهم، الأمر الذي لا يختلف عليه اثنان منهم، أبا حفص عمر ﷺ، وأبا عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، فالأول الفاروق، والثاني أمين الأمة، ولا غرابة في مبادرة عمر ﷺ إلى ترشيح أبي بكر، فالصحابة مجمعون على فضل أبي بكر ﷺ، المهاجرون منهم والأنصار، وأنه الخيار منهم، والسابق الأول إلى كل فضيلة، وهو من يدعى من أبواب الجنة الثمانية، لطرْقه أبواب الخير المتعلقة بها، ولذلك لم يُنازَع عمر ﷺ في ترشيحه

١) أخرجه ابن أبي شيبة، المصنف (٨/٥٧١).

٢) مسلم حديث (٩٨٣).

لأبي بكر، بل أول من سبق لمبايعة أبي بكر رجل من الأنصار، تلاه عمر، وتتابع الناس رضا بأبي بكر، لم تكن البيعة بسيف أبي بكر، ولا بمال تألفهم به، ولا بقهر عشيرة، بل بالسابقة والفضل المستحق، وصدق فيه قول رسول الله ﷺ: « **معَاذَ الله أَن يختَلف المؤمِنونَ فِي أَبي بكر** »[١]، وما جنوا من ذلك إلا العدل والإحسان فكانت خلافة أبي بكر ﷺ قَدَراً فيه الخير الذي أراده الله ﷻ للأمة المحمدية، ولو لم يرد الله ذلك لأبي بكر ــ وربنا الفعال لما يريد ــ ما كان لأبي بكر ولا غيره أن يَمْكُن من ذلك، ولكن الله قدر، فله الحمد والمنة، وكل من لم يرض بخلافة أبي بكر فقد سخط قدر الله ﷻ ورحمته لعباده المؤمنين، فإن خلافته نواة الوحدة الإسلامية، بعد رسول الله ﷺ، والعجب أن أبا بكر ﷺ بعد أن رضيه المهاجرون والأنصار، خلفا لرسول الله ﷺ وليا لأمر الأمة المحمدية طلب الإقالة، روى علي بن أبي طالب ﷺ قال: "قام أبو بكر بعدما استخلف بثلاث، فقال: من يَستَقيلُني بيعتي فأقيله؟، فقلت: والله لا نقيلك، ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ"[٢]، هذا كلام علي ابن أبي طالب ﷺ الحكم العدل في خلافة أبي بكر ﷺ.

الوحدة الإسلامية في عهد أبي بكر ﷺ:

حرصُ أبي بكر على وحدة الأمة المحمدية كان شغله الشاغل لا غيره، وقد نتج عن ذلك الحرص نجاح عظيم في صمود الحق أمام الباطل، فكان موقفه من الخلافة لبنة قوية في بناء الوحدة المحمدية، بناء أقامه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وبعد ذلك سائر المؤمنين، وكان موقف أبي بكر ﷺ من تسيير جيش أسامة ﷺ فتحا عظيما، وسعة في رقعه البلاد ووحدة الأمة المحمدية، وكان موقفه من الردة ضربة للباطل ونصرا مؤزرا للإسلام وأهله، وقوة لوحدة الأمة المحمدية، فالمسلمون أسس وحدتهم رسول الله ﷺ على أربع ركائز، والخامسة حمايتها، إذ لا تقوم وحدتهم إلا بها محقّقَة في حياتهم حتى لقاء الله ﷻ، وهذا الذي جعل أبا بكر ﷺ يتحمل الأمانة، من غير طمع في الدنيا وزخارفها،

١) مسند الطيالسي حديث (١٦١١).

٢) مختصر تاريخ دمشق (٤/٢٩١).

اقتدى بصاحبه ﷺ في الهدى، والعدل، والأمـــانة، والزهد في الدنيا، والإخـــلاص لله ﷻ ورسوله ﷺ، وحماية الوحدة الإسلامية.

موقف أبي بكر ﷺ من استخلافه:

تقدم بيان أن أبا بكر ﷺ لم يحرص على شيء حرصه على وحدة الأمة المحمدية، وقد بين للناس ما رآه الأسلم لبقاء الأمر على ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ، اعترف بفضل الأنصار ﷺ، وذكر لهم مكانة قريش بين قبائل العرب، ورشح للخلافة أحد رجلين: عمر بن الخطاب ﷺ ولم يفضُله أحد، ويعلمون جميعا من هو عمر، إنه الرجل الذي أعز الله به الإسلام، ﷺ، والآخر أبو عبيدة أمين الأمة ﷺ، مكانته معروفة عند المهاجرين والأنصار ﷺ، ولم يدعُ أبو بكر إلى نفسه لا من قريب ولا من بعيد، بل لمَّا حصل له ما حصل من البيعة، قال بعد ثلاث: « **من يَستَقيلُني بيعتي فأقيله؟** »[١]، فلما أيقن ألا مفر له من إرادة الله ﷻ، ثم بيعة الصحابة له، علم أنه كُلِّف أمر الأمة المحمدية، ولما تقرر أن يحمل الأمانة صعد المنبر، فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرقاة، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: "إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني!، لا أقول: إني أفضلكم فضلا، ولكني أفضلكم حملاً، وأثنى على الأنصار خيراً وقال: إنا وإياكم، معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقـــت ** بنـــا نعلنـــا فـــي الـــواطئين فزلـــت

أبـــو أن يملونـــا ولـــو أن أمنـــا ** تلاقي الذي يلقـــون منـــا لملـــت"[٢].

وأعرف الناس بالرجل أهل بيته، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "**تُوُفِّي رسولُ الله، فو الله لو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضَها، إشرأب النفاق بالمدينة، وارتدت العربُ، فو الله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغَنَائها في الإسلام**"[٣]، لقوة حجته، واستناده إلى علمه بالكتاب والسنة، وثقته بربه، فما طلب سوى وحدة الأمة المحمدية على الكتاب والسنة، وعزة الإسلام المطلقة،

---

١) مختصر تاريخ دمشق (٤/٢٩١).

٢) تاريخ اليعقوبي (١/١٥٥).

٣) عيون الأخبار (١/٢٥٣).

فكسر الله أعداءه في جزيرة العرب وخارجها، لم يسعَ أبو بكر ﷺ إلى الخلافة، بل الخلافة سعت إليه، لأنه ﷺ كان أزْهَدَ الناس، وأكثرهم تواضعاً: في أخلاقه، ولباسه، ومطعمه، ومشربه، وتأكد ذلك بعد توليه الخلافة، إذ كان لبسه في خلافته الشملة، قدمَ إليه زعماء العرب وأشرافهم، وملوك اليمن وعليهم الْحُلَل، وبرود الْوَشْي المثقل بالذهب، والتيجان، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مَذهبه، ونزعوا ما كان عليهم، وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير، ومعه ألف عبد دون من كان معه من عشيرته، وعليه التاج والحُلَل، فلما شاهد من أبي بكر ﷺ ذلك الزهد والتواضع ألقى ما كان عليه وتَزَيَّا بزِيِّ أبي بكر، حتى إنه رؤي يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة، ففزعت عشيرته لذلك وقالوا له: "قد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار، قال: أفأردتم مني أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية، جباراً في الإسلام، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع للّه والزهد في هذه الدنيا"[١]، وتواضعت الملوك ومَنْ ورد عليه من الوفود بعد التكبر، وتذللوا بعد التجبر.

أبرز الأحداث في خلافة أبي بكر ﷺ:

لم تنطفئ العداوة للإسلام، من اليهود والذين أشركوا، حتى في حياة رسول الله ﷺ، ولكن الله ﷻ مكن للإسلام في جزيرة العرب، وأذاع صيته في أنحاء من الأرض، فما سمع أناس بوفاة رسول الله ﷺ إلا واشرأبت أعناقهم، وجاشت صدورهم بما فيها من الرغبات، وكان أول من برز مظهرا رغبة شخصية أبداها: الحباب بن المنذر ﷺ في طلب الخلافة، حين قال في سقيفة بني ساعده: "أنا جُذيلها المحكك، وعُذيقها المرجَّب، إن شئتم والله رددناها جذعة"[٢]، ولكن الله ﷻ أراد خلاف ذلك، فكان أفضل الأمة بعد نبيها الأَولَى والأحق عند الله ورسوله والمؤمنين، وما كاد يستقر الأمر في يد أبي بكر ﷺ حتى أطلّت الفتنة برأسها من خلال من زعم أن الزكاة لا تؤدى إلا للنبي ﷺ، ولا يستحق جمعها أحد بعده، وكانت مهمة الفتح

---

١) مروج الذهب ١/٢٨٩.

٢) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٥٧١.

الإسلامي معقودة من قبل رسول الله ﷺ لجيش يقوده أسامة بن زيد ﷺ، وجهه رسول الله ﷺ إلى الشام، فلما وصل إلى مكان يسمى ذي خشب١، توفي رسول الله ﷺ٢، وفي الوقت نفسه ارتد بعض العرب، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا ضرورة إلغاء جيش أسامة، فلما عزم أبو بكر ﷺ على إنفاذ جيش أسامة ﷺ، والحال ما ذكرنا، لم يرض هذا الإجراء كثير من الصحابة ﷺ ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ، وأشاروا على خليفة رسول الله أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم، في الأحداث القائمة، لرد خطرها عن الإسلام والمسلمين، والاستقواء بجيش أسامة على قمع المرتدين، وإعادتهم إلى حضيرة الإسلام، وإلا اتسع الخرق على الراقع، وربما تكون فتنة كبرى، يصطلي بنارها المسلمون، وتقوى شوكة الأعداء، ولا ريب أنها مشورة ذات أهمية بالغة، ولها وزنها وقدرها العظيم، وهم مأجورون على ذلك ﷺ، غير أن شجاعة الصديق وبعد نظره، وتعظيمه لله ورسوله جعله يأبى أشد الإباء، ويقول لمحبيه والناصحين له: « **والذي لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ** »٣، لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة، فحاوره يزيد الضخم فقال: ما أراك تتحاش لِما قد بلغ من الناس، ولِما يتوقع من إغارة العدو؟، فقال: ما دخلني إشفاق من شيء، ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين، قال لي: « **هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام** »٤، فسمع الصحابة وأطاعوا، وخرج أبو بكر ﷺ

١) هو بضمتين: وادٍ قريب من جبل البيضاء من جهة بواط، على مَسِيرةِ لَيْلة من المَدينة، قال الطرماح:

أو كالفتى حاتم إذ قال ما ملكت ** كفــاي للنــاس نهبــى يــوم ذي خشــب (لســان العرب ٣٥١/١، والجبال والأمكنة والمياه ٢٠٧/١).

٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٩١/٤).

٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٩١/٤).

٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٩١/٤).

شاهراً سيفه، راكباً على راحلته إلى ذي القَصَّة[1]، فجاء علي بن أبي طالب ﷺ، فأخذ بزمام راحلته، فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ ؟!، أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: « **أشمر سيفك، ولا تفجعنا بنفسك** » فو الله لئن أُصِبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً، فرجع وأمضى الجيش[2]، وأمر أسامة بن زيد أن يَنفذ في جيشه، وسأله أن يترك له عمر ﷺ يستعين به على أمره، فقال: فما تقول في نفسك ؟[3]، فقال: يا ابن أخي! فعل الناس ما ترى فدع لي عمر، وأنفذ لوجهك، فخرج أسامة ﷺ بالناس وشيّعه أبو بكر ﷺ فقال له: ما أنا بموصيك بشيء، ولا آمرك به، وإنما آمرك ما أمرك به رسول الله، وامض حيث ولاك رسول الله.

نفَّذ أسامة ﷺ، وكان أبو بكر ﷺ حكيما موفقا في هذا القرار الصارم، وكان فيه من الخير: تقديس عمل رسول الله ﷺ، إذ عقد اللواء لأسامة ﷺ ووجهه بجيش إلى الروم، ومن يجسر على حل أمر أبرمه رسول الله ﷺ، فكان هذا من فقه أبي بكرﷺ، فقد عظَّم الله ورسوله في هذا الإجراء، ولم يشك في نصر الله للمؤمنين، قال الزهري رحمه الله: من فضل أبي بكر أنه لم يشك في الله ساعة[4]، ومن شدة وثوقه بالله تعالى كان المنقوش على خاتمه « **نِعْمَ اللهُ القادر** » وقد حصل بهذا الاستقواءُ الذي أراده الصحابة ﷺ خير كثير، فإنه لما أنفذ أسامة ﷺ بجيشه، جعل لا يمر بقبيلٍ يريدون الارتداد إلاّ قالوا: لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوهم ورجعوا

---

١) بقعاء ذي القصة على بعد أربعة وعشرين ميلا عن المدينة (تاج العروس١/٥١١١) ولعله بين ذي خشب والمدينة، من جهة طريق تبوك الآن.

٢) مختصر تاريخ دمشق (٤/٢٩١).

٣) تأمل هذه العبارة من أسامة ﷺ فإن فيها إجلال لأبي بكر، فكأنه يقول لأبي بكر ﷺ، كيف تطلب مني إبقاء عمر ﷺ، وأنت المقدم عليه عند الله ورسوله والمؤمنين، فما زاد ذلك أبا بكر إلا تواضعا، وحلما في مخاطبة أسامة ﷺ، مع بيان سبب استبقاء عمر ﷺ، وفي ذلك تكـريم لعمر ﷺ، وهو والله لذلك أهل، رضي الله عنهم أجمعين.

٤) مختصر تاريخ دمشق (٤/٢٩١).

سالمين فثبت من كان يفكر في الردة على الإسلام[1]، أقام أسامة ﷺ بجيشه منذ خرج إلى أن قدم المدينة منصرفا كما قيل: سبعين يوما، أو ستين يوماً، أو أربعين يوماً، ثم دخل المدينة ولواؤه معقود، حتى دخل المسجد، فصلى، ثم دخل إلى بيته ولواؤه الذي عقده رسول الله ﷺ معه[2]، وكان من بركة عمل أبي بكر هذا الوفاء بما عزم عليه رسول الله ﷺ، وما أحست به أحياء العرب من منعة الإسلام وأهله، وعلم المسلمون بُعد نظر خليفة رسول الله، وصدق عمر بن الخطاب إذ قال: « **لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم** »[3].

حـــــــروب الـــــــــردة

لقد كان موقف أبي بكر ﷺ من ردة العرب إلهاما عظيما من الله تعالى، وهو من حفظه تعالى لدين الإسلام، وكان فتحا عظيما، فقد ارتدت العرب إلا أهل المسجدين وَمَنْ بينهما، وأُناساً من العرب؛ منهم: عدي بن حاتم ﷺ، قدم بإبل الصدقة إلى أبي بكر ﷺ، ففي ذلك يقول الحارث بن مالك الطائي:

وَفَيْنَا وفاء لم يَــرَ النَّـــاس مثلــه ** وَسَرْبَلَنَا مجداً عــديٌّ بــن حــاتم[4].

قال زياد بن سبرة اليعمري ﷺ: أقبلت مع رسول الله ﷺ حتى وقف على ناس من أشجع وجهينة، فمازحهم وضحك معهم، فوجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله، تضاحك أشجع وجهينة ؟ فغضب ورفع يديه فضرب بهما منكبي، ثم قال: « **أما إنهم خير من بني فزارة، وخير من بني الشريد، وخير من قومك، أولاء استغفروا الله** »[5]، فلما كان الردة لم يبق من أولئك الذين خَيَّر عليهم رسول الله ﷺ أحد إلا ارتد، وجعلت أتوقع ردة قومي، فأتيت عمر ﷺ، فأخبرته، فقال: لا تخافن،

---

١) مختصر تاريخ دمشق (٤/٢٩١) بتصرف.

٢) تاريخ اليعقوبي (١/١٥٥).

٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣/١٨٣).

٤) مروج الذهب ١/٢٩٠.

٥) الآحاد والمثاني حديث (٢٧١٣).

أما سمعته يقول: « **أولاء استغفروا الله تعالى** »١، وهذا يوقفنا على علامة أخرى من علامات نبوته ﷺ، فقد حدث ما أشار إليه في ذلك التخيير، وعلامة أخرى رواها الحافظ ابن حجر رحمه الله: أن النبي ﷺ رأى الحنفية٢ في بيت فاطمة، فأخبر عليا أنها ستصير له، وأنه يولد له منها ولد اسمه محمد، قال الحافظ: وهذا يؤكد أن عليا ﷺ قد شارك في حروب الردة٣، كيف لا وهو القائل ﷺ: "فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث ـــ حروب الردة ـــ حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً"٤، ولولا الله ثم وقفة أبي بكر والصحابة ﷺ في القضاء على الفتنة لولا ذلك لما قام للإسلام قائمة، ولما جُيِّشت الجيوش لفتح الأمصار شرقا وغربا تستقبل الأذان والعدل والمساواة، إن أبا بكرﷺ، بموقفه من المرتدين ومؤازرة الصحابة ﷺ له استعاد هيبة الإسلام، وحمى أركانه، وقد لقي الصحابة في ذلك شدة، ولاسيما في وقعة اليمامة التي قاتل فيها الْمسلمون مسيلمة الكذاب ومن معه، واستشهد فيها من الصحابة أكثر من ستمائة رجل، وكان جملة القتلى من الْمسلمين نحو (٩٦٠) رجلاً، منهم سبعون من الحفاظ٥، وقتل من الْمرتدين أكثر من عشرين ألف رجل٦، ولسنا في صدد تفصيلات حروب الردة، فذلك القول فيه طويل، وإنما أردنا التذكير بشيء من ذلك.

---

١) أسد الغابة (٣٨٨/١).

٢) أم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية؛ وهي من سبي بني حنيفـــة، فـــي حروب الردة، التي كان علي بن أبي طالب ﷺ من المشاركين فيها.

٣) تلخيص الحبير ٥٠/٤.

٤) نهج البلاغة ٦١.

٥) فتح الباري ٦٦٨/٨.

٦) تاريخ الطبري ٢٨٣/٢ .

وقد عرف الناس ضلال من ارتد، فأخذ بعضهم يعير بعضا بذلك الضلال، قال عليّ بن هوذة بن عليّ الحنفي ـ من بني حنيفة ـ بعد قتل مسيلمة الكذاب، وسمع الناس يعيّرون بني حنيفة بالردّة فقال يذكر من ارتدّ من العرب غير بني حنيفة:

رمتنا القبائل بالمنكـرات ** وما نحن إلاّ كمن قـد جحـد
ولسنا بأكفر من عـــامر ** ولا غــطـفان ولا من أسـد
ولا من سليـم وألفـافها ** ولا مـن تميـم وأهـل الجند
ولا ذي الخمار ولا قومه ** ولا أشعث العرب لـولا النّكد
ولا من عرانين من وائل ** بسوق النّجير[1] وسوق النّقد[2]
وكنّـا أنـاسا على غرّة ** نرى الغيّ من أمرنا كـالرّشد
نـدين كما دان كـذّابنـا ** فـيـا ليـت والده لم يلد! [3].

بعد حروب الردة:

لما عاود العرب الإسلام بعد الردة، ندبهم أبو بكر، ومستشاره عمر، رضي الله عنهما، إلى الجهاد، فسارت العرب إلى الشام والعراق، والذين ساروا إلى الشام توجهوا بعد فتحه إلى مصر، ففتحوها، فكان فيهم من له صحبة، وفيهم من لا صحبة له، وإن أدركوا الجاهلية، فإن كل من شهد الفتوح أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أدركوا الجاهلية، فإن آخر أيام عمر بعد وفاة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة تقريباً، كل من قاتل في أيام أبي بكـر وعمر كان كبيراً في حيـاة النبي ﷺ[4]، وكان عهد أبي بكر قوة للحضارة الإسلامية، ففي عهده اتسعت رقعة البلاد الإسلامية زيادة على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، وقد كان عزَم على إكمال ما بدأه رسول الله ﷺ، من أعمال الفتح الإسلامي، عملا بقول الله ﷻ:

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ

---

١) حصن باليمن لجأ إلية الأشعث وقومه في حروب الردة (معجم البلدان٢/٢٧١).
٢) النقد صغار الشاة (معجم البلدان٤/٣١٩) ولعله سوق باليمن .
٣) معجم البلدان ٢/١٦٩.
٤) أسد الغابة ١/١٤٣.

صَٰغِرُونَ ﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، واقتداء برسول الله ﷺ، فإن خروجه ﷺ عام تبوك بالناس، وفي وقت شديد الحر، كثير الجَهد والمشقة، ثم عقد لواء الجهاد بعد ذلك لأسامة ﷺ، ليسير بمن معه لفتح تخوم الشام، تنفيذا لأمر ربه تعالى، وإعلاما لأمته بأهمية الفتح الإسلامي، وتبليغ الناس دعوة الحق، وقد أدرك هذا أبو بكر ﷺ، فكان أول عمل قام به إنفاذ أسامة بن زيد ﷺ في جيش إلى البلقاء من الشام، إذ لم يتم ذلك في حياة النبي ﷺ، وقد كان انتقاله إلى الرفيق الأعلى مصابا جللا دهى المسلمين، فلم يكن فراقه هينا على أصحابه ﷺ، فاشتد الحال، ونجمت أمور خطيرة بموته ﷺ، لم تهدد أمن المسلمين فحسب، بل هددت بقاء الإسلام كما أراد رسول الله ﷺ، وقد فهم أبو بكرأن تجهيز جيش أسامة كان بداية الفتح الإسلامي، ونشر دين الله في الأرض، ولم يقف أبو بكر ﷺ عند هذا الحد، بل شرع في جمع الأمراء والجيوش من أماكن متفرقة من جزيرة العرب، ليبعث بها لفتح الشام والعراق، وفاء لما نوى رســول الله ﷺ حين عقد اللواء لأسامة ﷺ، فلما اجتمع عنده ما أراد من الجيوش قام في الناس خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد، فقال: "ألا إن لكل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد فإن الجد والقصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، لَما ينبغي للمسلم أن يختص به، هذه هي النجاة التي دل الله عليها، فنجّى بها من الخزي، وألحق بها من الكرامة"، ثم شرع ﷺ في تولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، وبعثهم في أول سنة (١٣هـ) وتم فيما لا يجاوز ستة أشهر فتح أمصار كثيرة من الشام أرض الروم، وكانت مقولة عظيمة لأبي بكر ﷺ حينما بلغه أن جيوش الروم تتحزب على المسلمين فكان مما قال ﷺ: "أَلْقَوا جنود المشركين، وأنتم أنصار الله،

---

١) الآية (٢٩) من سورة التوبة.

٢) الآية (١٢٣) من سورة التوبة.

والله ينصر من ينصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه"، وقد تابع الصديق هذا الجانب الهام، في بناء الحضارة الإسلامية، والارتقاء بالشعوب من ظلمات الجاهلية، إلى نور الإسلام، فجهز لفتح العراق جيشا بقيادة خالد بن الوليد ﷺ، وأمره أن يأتي الأبلة، ليدخل العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس، ويدعوهم إلى الله ﷻ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، وإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره ألا يكره أحدا على المسير معه، لأنه لا يأمن غدره، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام، ولو عاد عن ردته، فهو غير مأمون ولاسيما وهو قريب عهد بردة، وهذه فطنة عظيمة من أبي بكر ﷺ، وأخذ أبو بكر يتابع أخبار خالد في سيره في الفتح، ويمده بالسرايا والبعوث والجيوش عند حاجته إلى ذلك، وسار خالد ﷺ في فتح أمصار العراق، يبث سراياه لحصار الحصون، ويستنزلون أهلها قسرا وقهرا، وصلحا ويسرا، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب، فيهم عمرو بن عبد المسيح بن نُفيلة، وجد خالد معه كيسا فقال: ما في هذا الكيس؟ وفتحه خالد فوجد فيه شيئا، فقال ابن نُفيلة: هو سم ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟! فقال: حتى إذا رأيت مكروها في قومي أكلته فالموت أحب إلي من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه، فبادرهم فابتلعه، فلما رأى ذلك ابن نُفيلة قال: والله يا معشر العرب، لتملكن ما أردتم مادام منكم أحد ـ يعني بهذه الصفة ـ ثم التفت إلى قومه أهل الحيرة، فقال: لم أر كاليوم أمراء أوضح إقبالا من هذا، ثم دعاهم وسألوا خالدا الصلح، فصالحهم وكتب لهم، وقدم خالد ﷺ برهانا جديدا على كمال الإيمان، وقوة التوكل، وبعد نظر من خالد ليعلم القوم وكبيرهم أن هذه هي صفة أتباع محمد ﷺ، وليست الحالة الوحيدة، فمثل هذا كثير[1]، وهو ما

---

[1]) من ذلك قصة العلاء بن الحضرمي، في غزو دارين، دعا بثلاث دعوات استجاب الله له فيها: نزل منزلا فطلب الماء فلم يجد، فقام وصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا، فساروا

فهمه ابن نفيلة وقومه، وبرز الوفاء من خالد لموعود وعده رسول الله ﷺ، هو

قليلا، فإذا هم بماء حين أقلعت السماء عنه، فتوضؤا منه وتزودوا، وقد لا حظ أحد أصحابه اشتراطه في الدعاء، وهو أمر استغربه، فلما رأى أن الله استجاب له وأنزل المطر، أراد أن يتحقق الإجابة في الشرط، فملأ إداوته وتركها عمدا، فلما ساروا مسافة قال لأصحابه: إني نسيت إداوتي فرجع إلى ذلك المكان فلم يجد أثرا للماء، وكأنه لم يصبه ماء قط، وليس في اشتراط العلاء غرابة، لأن الأرض أرض عدو، وفي ذلك وهَن لهم، وفيه كرامة للمجاهدين لإعلاء كلمة الله، وعلم العدو بمثل هذا الحدث تسهيل لمهمة المجاهدين، هاتان اثنتان، أما الدعوة الثالثة: فلما أشرفوا على دارين حال البحر بينهم وبينها، فقال العلاء: يا علي يا حكيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا، فدخلوا البحر ولم يبلغ الماء لبودهم، ومشوا على متن الماء ولم يبتل لهم شيء، وأخرى وقعت لأحد الصحابة، عندما حال نهر دجلة وهو ماد بينهم وبين العدو، فقال رجل من المسلمين: بسم الله ثم اقتحم بفرسه، فارتفع على الماء، فقال الناس: بسم الله فارتفعوا على الماء، فنظر إليهم العدو وقالوا: " ديوات، ديوات" أي مجانين، يقولون ذلك وهم فارون على وجوههم، وكان أول من اقتحم دجلة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، أبو عبيدة النفيعي أمير الجيوش، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى: ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا** ﴾ آل عمران من الآية (١٤٥) ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء، واقتحم الجيش وراء، ومن ذلك، قصة أبي مسلم الخولاني، جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى؟! "ثقة بالله ﷻ لا حدود لها، فكافأهم الله ﷻ بفورية الإجابة وشد الأزر، ولم تكن هذه الصفة قاصرة على الرجال، بل كان للنساء المؤمنات حظا، وذلك "أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ مهاجرة ومعها ابنها قد بلغ، فأضافها رسول الله ﷺ إلى النساء، وابنها إلى الرجال مع أهل الصفة، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة، فمرض أياما ثم قبض، فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه، فلما أرادوا أن يغسلوه قال رسول الله ﷺ: (يا أنس ائت أمه فأعلمها)، فأعلمها أنس قال: فجاءت حتى جلست عند قدميه، فأخذت بهما ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعا، وخلعت الأوثان، فلا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله"، قال: "فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قبض رسول الله ﷺ، وحتى هلكت أمه"، إن هذا وما شابهه حدث بسبب إيمانهم بالله ورسوله، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، فنالوا ما نالوا من الفضل والتميز، نسأل الله أن يطهر قلوبنا ويستجيب دعاءنا، ولا يحرمنا فضله ونصرته وكرمه. انظر (البداية والنهاية٦/٣١١٨، ٣١٩، ٣٢٠).

صحابي يقال له: شويل١، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ، قصور الحيرة، وكأن شرُفها أنياب الكلاب، فقال له يا رسول الله، هب لي ابنة نفيلة، واسمها كرامة، فقال: هي لك، فلما كان يوم خالد هذا ادعاها شويل ﷺ، وشهد له اثنان، فلم يصالحهم خالد حتى يسلموها، فامتنع قومها من تسليمها وقالوا: ما تريد من امرأة ابنة ثمانين سنة ؟!، فقالت لقومها: ادفعوني إليه، فإني سأفتدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابة، وسلمت إليه، فلما خلا بها قالت: ما تريد امرأة بنت ثمانين سنة ؟!، وأنا أفتدي منك فاحكم بما تريد، وقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة، فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها وأحضروا له ألف درهم، ولامه الناس وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة ؟!، وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمرا وأراد الله غيره، وإنا نحكم بظاهر قولك، ونيتك عند الله، كاذبا كنت أم صادقا، وفي هذه القصة جانبان هامان:

الأول: الوفاء بما وعد به رسول الله ﷺ شويلا ﷺ، كما وفّى عمر ﷺ لسراقة بسواري كسرى.

الثاني: العدل: بعدم قبول دعوى شويل ﷺ أنه ما أراد إلا أكثر العدد، وقد صلى خالد لما فتح الحيرة ثمان ركعات بتسليمة واحدة، اقتداء برسول الله ﷺ، يوم فتح مكة فقد صلى ثمان ركعات شكرا لله ﷻ على ذلك الفتح العظيم، وما أشبه الليلة بالبارحة في حياة خالد بن الوليد ﷺ، يعظمه أبو بكر فيقول: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وبعث إليه وهو في العراق ليقدم إلى الشام، فيكون الأمير على من بها، وقد حفظ الصديق ﷺ للأمة أمر دينها بجمع القرآن الكريم من صدور الرجال، واللخاف والعُسُب، وكلف بذلك زيد بن ثابت ﷺ، وقد لفت نظره إلى هذا العمل العظيم ما وقع للقراء من القتل في يوم

---

١) لعل هذا لقبه وهو خريم بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود " فقلت: يا رسول الله، فإن نحن دخلنا الحيرة ووجدتها على هذه الصفة هل لي ؟ قال: " هي لك " وذكر الحديث (أسد الغابة ١/٣٣٢).

اليمامة، فتنبه إلى خطورة عدم جمع القرآن وكتابته في مصحف يحفظ للأمة أمر دينها، وقد كانت هذه الإنجازات الإسلامية في مدة قصيرة لم تتجاوز أربعة وعشرين شهرا[1].

أبو بكر عند احتضاره ﷺ:

إن أبا بكر ﷺ كغيره يصيب ويخطئ، لأنه غير معصوم، ونبينا محمد بن عبدالله ﷺ هو الوحيد من البشر المعصوم الذي لا يرد له قول، فكان أبو بكر ﷺ كغيره من الناس يجتهد فيصيب وله أجران، ويجتهد فيخطئ وله أجر الاجتهاد، وخطؤه مغفور، لأنه لم يرد سوى الحق، وإقامة العدل، ولم يُخْفِ أبو بكر ﷺ، ما فكر فيه وتمنى الإقدام عليه أو الإحجام عنه، وهذا من الحرص على الخير، والتحرز من الشر، وكفى المرءَ نبلا أن تعد معايبه، ولا عيب والله نشهد به على أبي بكر ﷺ، أكرم الأصحاب، وأحب الأحباب إلى رسول رب الأرباب، فخسئ والله من ثلبه وخاب.

قال ﷺ: "ما آسَى على شيء إلا على ثلاث فعلتها، ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت إني سألت رسول الله ﷺ عنها: فأما الثلاث التي فعلتها، ووددت أني تركتها: فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة، ووددت أني لم أكن حرّقت الفُجَاءة وأطلقته نجيحاً، أو قتلته صريحاً، وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قَذَفْتُ الأمر في عنق أحد الرجلين، فكان أميراً وكنت وزيراً. والثلاث التي تركتها وددت أني فعلتها: وددت أني يوم أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه، فإنه قد خُيل لي أنه لا يرى شَرّاً إلا أعانه، وددت أني كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل اللّه، وددت أني يوم جهَزْت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مَدَداً.

وكان أبو بكر ﷺ قد بلغ مع الجيش إلى مرحلة من المدينة، وهو الموضع المعروف بذي القصة[2].

---

١) انظر (البداية والنهاية٦/٣٧١، ٣٧٢، ٤١٩، ٤٢٤ــ٤٢٥).

٢) بقعاء ذي القصة على بعد أربعة وعشرين ميلا عن المدينة (تاج العروس١/٥١١١).

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنها: وددت أني كنت سألته في مَنْ هذا الأمر، فلا يُنازَع الأمر أهله، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسي منهما حاجة، ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فنعطيهم إياه [1].

هذا ما دار في ذهن أبي بكر ﷺ وهو في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، ذكر أمورا لا حرج عليه فيها، فقد وفّى في أمانته، فنقول يا أبا بكر رضي الله عنك إن كنت تحرجت مما ذكرت، فنقول لا تثريب عليك، فقد بذلت ما برأت والله به ذمتك، ولن يخزيك الله ﷻ، هذا ظننا بربنا ﷻ.

نقول هذا لأنك رويت وأنت الصادق المصدّق أن رسول الله ﷺ قال: « **لا نورث ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال** » [2] ــ يعني مال الله ــ وقلت: "ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإني والله لا أغير شيئا من صدقـات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ"، فتشهد عليٌّ ثم قال: "إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك، وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم"، فتكلم أبو بكر فقال: "والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي" [3].

فكنتُ خليفة رسول الله ﷺ والتزمتُ بما التزم به رسول الله ﷺ، فأي خطأ في هذا، ولِمَ لَمْ يوص رسول الله ﷺ وقد أمر الله بذلك في كتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [4] وأمر بها ﷺ سعد بن مالك ﷺ، قال سعد: قال: دعاني رسول اللهِ ﷺ وأنا مريض فقالَ: « **أوصيت؟** » قلت: نعم. قال: « **بكَمْ ؟** » قلت: بمالي كله في سبيل الله، قال: « **فما أبقيت لولدك؟** » قلت: هم أغنياء بخير، قال: « **أوصِ**

1) مروج الذهب (١/٢٩٠).
2) أخرجه البخاري حديث (٣٧١٢) وانظر أطرافه: (٣٠٩٣، ٤٠٣٦، ٤٢٤١، ٦٧٢٦).
3) أخرجه البخاري حديث (٣٧١٢) وانظر أطرافه: (٣٠٩٣، ٤٠٣٦، ٤٢٤١، ٦٧٢٦).
4) الآية (١٨٠) من سورة البقرة .

بالعُشر » فما زلت أنا قصه حتى قال: « **أوص بالثلث، والثلث كثير** »[١]، وقال ﷺ: « **إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه؛ فلا وصية لوارث** »[٢]، فالوصية للوارث منتفية، والوصية لغير الوارث ثابتة، وهي في سبيل الله على العموم، ولكنها ثابتة في حق الأمة دون النبي ﷺ، لأن الأنبياء لا يورثون، وكل ما تركوا فهو صدقة في سبيل الله قلّ أو كثير، إلا ما هو مستثنى للنفقة بقوله ﷺ: « **إنما يأكل آل محمد من هذا المال** »[٣]، وبقوله ﷺ: « **إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مؤنة عاملي، ونفقة نسائي صدقة** »[٤]، فكون فاطمة رضي الله عنها لم تعلم بهذا الحكم الشرعي لا يقلل من شرفها على نساء العالمين، ولا على مكانتها عند الصحابة ومنهم أبو بكر ﷺ، ولا عند الأمة المحمدية، وكونها تطالب أبا بكر ﷺ فذاك من حقها حسب فهمها، ولذلك عللت مطالبتها رضي الله عنها بسؤال أبي بكر فقالت له: « **من يرثك؟**، قال: أهلي وولدي، قالت: **فمالي لا أرث النبي ﷺ؟!** قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنا لا نورث** » ولكني أعول من كان النبي ﷺ يعوله، وأنفق على من كان النبي ﷺ ينفق عليه[٥]، وفي رواية أنها قالت: "أفي الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟، أما قال رسول الله: المرء يحفظ ولده؟" فبكى أبو بكر بكاء شديدا [٦].

نعم بكى أبو بكر ﷺ فبين يديه بنت رسول الله رضي الله عنها، وقد قال ﷺ: « **فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني** »[٧]، وحاشا أبا بكر ﷺ أن يسيء

---

١) أخرجه الترمذي حديث (٩٩١) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

٢) أخرجه الترمذي حديث (٢٢٩٩) طرفا من حديث طويل في حجة الوداع، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

٣) أخرجه البخاري حديث (٤٠٣٦) وانظر أطرافه: (٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٢٤١، ٦٧٢٦).

٤) أخرجه أحمد المسند حديث (١٠٢٣٢).

٥) أخرجه البيهقي السنن الكبير حديث (١٣١١٩).

٦) تاريخ اليعقوبي (١/١٥٥).

٧) أخرجه البخاري حديث (٣٧١٤) وانظر أطرافه: (٩٢٦، ٣١١٠، ٣٧٢٩، ٣٧٦٧، ٥٢٣٠، ٥٢٧٨).

إلى بنت رسول الله ﷺ، فلم يفعل ما فعل ظلما وعدوانا، بل فعله اقتداء برسـول الله ﷺ، وتنفيذا لأمره ﷺ، لكنه بكى لأنه وقع بين نارين: عدم رضا فاطمة رضي الله عنها، والعمل بما سمع من رسول الله ﷺ، فكان بلاءً لأبي بكر رضي الله عنه أيهما يقدم، ولكن قد قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ١، وقد أخبره ﷺ أنه لا يورث، فاختار ما هو حق، وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر رضي الله عنه ولكنه آلمه ما سمع من فاطمة رضي الله عنها لعظم مكانتها في نفسه.

أما كون فاطمة رضي الله عنها وجدت على أبي بكر رضي الله عنه، فهجرته ولم تكلمه حتى ماتت٢، فهذا يحتمل أحد أمرين:

الأول: أنها هجرته ولم تكلمه، لعدم قناعتها بما روى عن أبيها، وهذا فيه بعد ولا يليق ببنت رسول الله ﷺ أن ترد رواية عن أبيها، من رجل تعرف قدره ومكانته عند أبيها، ثم لا ترضى بما قضى به والدها ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ٣، ولا ريب أن أبابكر رضي الله عنه لوساير فاطمة رضي الله عنها لخالف نص القرآن، وقد سمع قول رسول الله ﷺ: أنه لا يورث، والمحصلة حكم النص القرآني، وحاشا أبابكر أن يعص الله ورسوله، ولو كانت فاطمة رضي الله عنها كبيرة القدر عنده، ألم يقل رسول الله ﷺ: « **وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** »٤، فلو أنها سرقت وقطع رسول الله يدها، هل يعني هذا أنه لا يحبها، بلى والله إنها لحبيبته، ولكن حكم الله لا يستثني شريفا ولا وضيعا.

والثاني: تفسير الهجر بعدم زيارته، فليست من المحارم اللاتي يجب التواصل معهن، فلزمت بيتها، ولو كانت محرما فإن اشتغال الخليفة بأمور المسلمين، قد

---

١) من الآية (٦٣) من سورة النور .

٢) انظر: البخاري حديث (٤٢٤٠، ٤٢٤١).

٣) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

٤) البخاري حديث (٣٤٧٥).

يقلل التواصل إلى حد كبير، دون القطيعة، فإنها غير واردة البتة، ولم تكلمه في أمر الميراث مرة ثانية قناعة منها بما ذكر لها من كلام رسول الله ﷺ، والالتزام بالنفقة، وهذا والله هو اللائق ببنت رسول الله ﷺ، ورضي الله عنها، ولو كان أبوبكر ﷺ أخطأ فعلا في حقها، فكيف وهو لم يخطئ، وكلما في الأمر أنه أنفذ ما كان عليه رسول الله ﷺ، وعمل بكتاب الله، وثبت على ذلك، لكن أصحاب الأهواء لا يروق لهم إلا متابعة منهجهم في ثلب الإسلام ورجاله الذين اصطفاهم الله لنقله إلى الناس كافة، كابرا عن كابر، فكان ما ذهبوا إليه طعنا في فاطمة رضي الله عنها قبل أن يكون ثلبا في أبي بكر ﷺ، وصاحب الهوى لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، ولم تكن فاطمة رضي الله عنها وحيدة في أمر المطالبة في الميراث، أزواج رسول الله ﷺ أيضا طالبن أبابكر ﷺ بذلك، تقول أم المؤمنين عائشة: أَرسل أَزواج النَّبِيِّ ﷺ عثْمان إلى أَبِي بكرٍ يسأَلنه ثُمُنهن مما أَفاء اللَّه على رسولِهِ ﷺ، فكنت أَنا أَردهن، فقلتُ لهن أَلا تتَقِينَ اللَّه، أَلم تعلَمن أَن النبِي ﷺ كَان يقول: « **لاَ نورث، ما تركنا صدقة ــ يرِيد بِذلِك نفسه ــ إِنما يأكل آل محمدٍ فِي هذا الْمالِ**» فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهن[1].

فكانت هذه الصدقة بيد علي ﷺ منعها علي عباسا فغلبه عليها، ثم كانت بيد حسن بن علي ﷺ، ثم بيد حسين بن علي ﷺ، ثم بيد علي بن حسين رحمه الله، وحسن ابن حسن رحمه الله، وكلاهما كانا يتداولانها، ثم بيد زيد بن حسن، وهي صدقة رسول الله ﷺ حقا[2]، فهذا أبو بكر ﷺ، وضع صدقة رسول الله ﷺ بيد علي ﷺ، ولم يرصدها في صدقات بيت مال المسلمين، فأي صدق وإخلاص بعد هذا، وتتوالى الرقابة والتصريف في علي وأبنائه.

أما قوله: « **وددت أني لم أكن حرّقت الفُجَاءة** » هو بحير بن إياس، على وزن بعير[3]، وكان من أمره أنه ارتد، وكوّن حربة على المسلمين، وقدم إلى قومه بني

---

١) أخرجه البخاري حديث (٥٣٥٣) وانظر طرفاه: (٦٧٢٧، ٦٧٣٠).

٢) أخرجه البخاري حديث (٥٣٥٣) وانظر طرفاه: (٦٧٢٧، ٦٧٣٠).

٣) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (١٦/١).

سليم يدعوهم إلى الردة ١، وكان من أمره التلبيس على أبي بكر ﷺ قال له: إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتد من الكفار، فاحملني وأعني، فحمله أبو بكر، على ظهر ٢ وأعطاه سلاحا، فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم، ومعه رجل من بني الشريد يقال له: نُجبة بن أبي الميثاء، فلما بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريفة بن حاجز: أن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الاسلام، فحملته وسلّحته، ثم انتهى إليَّ من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله، أو تأخذه فتأتيني به، فسار إليه طريفة بن حاجز فلما التقى الناس كانت بينهم الرمي بالنبل، فقتل نُجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة: والله ما أنت بأولى بالأمر مني، أنت أمير لأبي بكر وأنا أميره، فقال له طريفة: إن كنت صادقا فضع السلاح وانطلق معي إلى أبي بكر، فخرج معه فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال: أخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار، فخرج به طريفة إلى المصلى فأوقد له نارا فقذفه فيها، فقال خفاف بن ندبة يذكر الفجاءة فيما صنع:

لِمَ يأخذون سلاحه لقتاله ** ولذاكم عند الإله أثام

لا دينهم ديني ولا أنا فاتن ** حتى يسير إلى الطراة شمام٣.

وفي رواية: جاءت بنو سليم إلى أبي بكر فقالوا: إن العرب قد كفرت فأمدنا بالسلاح، فأمر لهم بسلاح فأقبلوا يقاتلون أبا بكر، فقال لهم عباس بن مرداس:

لِمَ تأخذون سلاحه لقتاله ** ولكم به عند الإله آثام ٤.

تأثم أبو بكر ﷺ من التحريق بالنار، لأن العذاب بها توعد الله به العصاة في الآخرة، وقد فعل ذلك علي ﷺ حين حرق أناسا من الشيعة قالوا: يا أمير المؤمنين

---

١) الإصابة (٢٥٨/١).

٢) أعطاه إبلا يحمل عليها.

٣) تاريخ الطبري (٤٩٢/٢).

٤) تاريخ دمشق (٢٥٥/١٦).

أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا، أنت ربنا، قال ارجعوا فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض ثم قال: يا قنبر ائتني بحزم الحطب، فأحرقهم بالنار ثم قال:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا ** أوقدت ناري ودعوت قنبرا[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: « **لا تعذبوا بعذاب الله** »[٢]، ولقتلتهم، لقوله ﷺ: « **من بدل دينه فاقتلوه** »[٣]، فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن أم الفضل، إنه لغواص على الهنات[٤]، ولذلك ندم أبو بكر ﷺ، ولا ضير عليهما فالزنادقة مصيرهم النار، إن عاجلا أو آجلا، ولكن لشدة تمسكهما بالكتاب والسنة حصل منهما التأثم، وجزاهما الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

أما قول أبي بكر: "**وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قَذَفْتُ الأمر**".

فقد حاول أن يلقي بالأمر على كاهل أحد الرجلين: عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة عامر بن الجراح، رضي الله عنهما، وهما أهل لذلك، ولكن أراد أبو بكر أمرا، وأراد الله غيره، ولا راد لإرادته تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [٥] وإنما حكى أبو بكر ما يتمناه في ذلك الحين، وهذه أمنية مَن تجرد عن الهوى والشهوات، فزكا وجلَّ عن الشبهات.

وقوله: "**وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه**".

كان الأشعث بن قيس ممن ارتد بعد النبي ﷺ، فسير أبو بكر الجنود إلى اليمن، فأخذوا الأشعث أسيراً، فأحضر بين يديه، فقال له: استبقني لحربك وزوجني أختك، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته، وهي أم محمد بن الأشعث، ولما تزوجها اخترط سيفه، ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عرقه، وصاح الناس:

---

١) تاريخ دمشق (٤٢/٤٧٥).

٢) أخرجه البخاري حديث (٣٠١٧، وطرفه: ٦٩٢٢).

٣) أخرجه البخاري حديث (٣٠١٧، وطرفه: ٦٩٢٢).

٤) تاريخ الإسلام (٢/٩٤).

٥) الآية (١٦) من سورة البروج .

كفر الأشعث، فلما فرغ طرح سيفه، وقال: إني والله ما كفرت، ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة، انحروا وكلوا، و يا أصحاب الإبل، تعالوا خذوا أثمانها فما رئي وليمة مثلها[1]، وقد عمل أبو بكر ﷺ بالأصل أن من تاب يتوب الله عليه، ولعله تأمل الأمر فوجد ما ذكر علة لما قال، قال ﷺ: فإنه قد خُيل لي أنه لا يرى شرّاً إلا أعانه، ولكن الله أراد لهما خيرا مما أراد أبو بكر ﷺ، فقد صنع خيرا بقبول توبة الأشعث، وأحسن بتزويجه أخته، وكان الخير في حسن إسلام الأشعث بعد ردته، وشارك في الفتح الإسلامي، شهد الأشعث اليرموك بالشام، ففقئت عينه، ثم سار إلى العراق فشهد القادسية والمدائن، وجلولاء، ونهاوند، وسكن الكوفة وابتنى بها داراً، وشهد صفين مع علي ﷺ، وكان ممن ألزم علياً بالتحكيم، وشهد الحكمين بدومة الجندل، وكان عثمان ﷺ، قد استعمله على أذربيجان، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوج ابنته[2]، وكل هذا حدث بعد وفاة أبي بكر ﷺ، ولو شاهد هذا لسر ﷺ، بعدم قتله: فقد تحقق لأبي بكر بعد موته ما نوى من الخير.

وقوله: "**وددت أني يوم جهَزْت جيش الردة**".

هذا من حرصه ﷺ على إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، يريد مشاركة الأمة في كل صغيرة وكبيرة من أمور الإسلام، كيف لا وهو السابق لكل خير وفضيلة، شهد بذلك أصحاب رسول الله دون استثناء، وكان في بقائه خير كثير للأمة المحمدية، وقد أصاب والله علي بن أبي طالب ﷺ حين قال له وهو يثنيه عن الخروج: « **أشمر سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، فو الله لئن أُصِبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا** »[3]، وكان أبو بكر ﷺ قد بلغ مع الجيش إلى مرحلة من المدينة، وهو الموضع المعروف بذي القصة[4].

وقوله: "**وددت أني كنت سألته في مَنْ هذا الأمر**".

---

1) أسد الغابة (١٦/١).

2) أسد الغابة (١٦/١).

3) مختصر تاريخ دمشق (٢٩١/٤).

4) بقعاء ذي القصة على بعد أربعة وعشرين ميلا عن المدينة (تاج العروس١/٥١١١).

هذه الأمنية أراد بها التوكيد على عدم رغبته في ولاية الناس، لكن الله أراد ذلك لأبي بكر ﷺ ليناله من أجر الصبر على بلائها، وأجر الاجتهاد في مصالح المسلمين، وأجر مقارعة أعداء الدين، والحفظ على وحدة الأمة المحمدية، يناله أجر ذلك كله، فضلا من الله ورحمة، وهداية منه تعالى إلى سبل الخير والرشاد، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

وقد ورد ما يشير إلى أن أبا بكر هو المقدم لحمل هذه المهمة العظمى، قال رسول الله ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: « **أدعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتابا؛ فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[٢]، وفي رواية قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر: « **إئتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا؛ لا يختلف عليه** » فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: « **أبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[٣]، صدق من لا ينطق عن الهوى ﷺ، وإنما نزاهة أبي بكر وحرصه على نفع الناس، واستقرار الوضع بحسم الموقف بأمر من الله ورسوله، لعبد من عباده كائنا من كان، فلا يُنازَع الأمر أهله، وكانت هذه الأمنية من أبي بكر ﷺ حرصا على وحدة الأمة المحمدية، ومستقبل الإسلام، وكان ذلك بفضل الله في ولايته، التي أبا الله والمؤمنون أن يُختلف عليها.

وقوله: "**وددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ**".

هذا من اجتهاده في مصالح المسلمين، فالعمة وبنت الأخ، لا إرث لهما، مع إخوتهما، ولا ترثان منفردتين[٤]، فأراد أن ينظر في أمرهما بما لا يعارض الشرع، وقد كان عمر يقول: عجبا للعمة تورث ولا ترث[٥]، وهذا ما كان في نفس أبي بكر ﷺ.

وقوله: "**ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب**".

---

١) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت .

٢) أخرجه مسلم حديث (٦٣٣٢).

٣) أخرجه أحمد المسند (٢٤٩٣١).

٤) الشرح الكبير (٧/١٠٠).

٥) السنن الكبير للبيهقي (٦/٢١٣).

لأنه لم يرق له ﷺ أن يجد الأنصار في أنفسهم، ولاسيما أن لهم عند رسول الله من الفضل والمكانة ما ليس لغيرهم ﷺ، وقد أخذ بعضهم موقفا من بيعته، فتمنى مقولة من رسول الله ﷺ يستند إليها في هذا الأمر، وذلك من تقواه وورعه ﷺ.

وفـــــاة أبـي بـــــكـــر ﷺ:

لم يرض رب العزة والجلال لعبده وخليفة رسوله إلا أن تختم حياته بسبب يجعله عند الله من الشهداء الأبرار، وإن كان قد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فقد سمّته اليهود في شيء من الطعام، وأكل معه الحارث بن كَلَدَة فعمي، وكان السم لسنة، ومرض أبو بكر ﷺ قبل وفاته بخمسة عشر يوماً، فقيل له: لو أرسلت إلى الطبيب، فقال: قد رآني، قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إني أفعل ما أشاء، قالت عائشة رضي الله عنها: كان أول ما بدأ أبو بكر ﷺ أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً فحُم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب ﷺ يصلي بالناس[1]، فتكون وفاته في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، من سنة ثلاث عشرة من الهجرة، على رأس ثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما من مهاجر رسول الله ﷺ، وسقط القمر الثاني في حجرة عائشة كما رأت وهو أبوبكر[2]، ولما توفي ﷺ ارتجت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض النبي ﷺ، فجاء علي بن أبي طالب ﷺ باكيا مسرعا، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر ﷺ، فقال: "رحمك الله أبا بكر، كنت إلف رسول الله، وأنسه ومستراحه، وموضعا لسره ومشاورته، وأول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غنى في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقبا، وأكثرهم سوابقا، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأقربهم من رسول الله ﷺ مجلسا، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام خيرا، وعن رسول الله ﷺ

---

١) مروج الذهب ١/٢٩٠ والدرة الثمينة في أخبار المدينة ١/١٤٠.

٢) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري حديث (٩٧٤) .

خيرا، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، فسماك الله في تنزيله صديقا وشهد لك بالتقوى فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾١، واسيتَ رسول الله ﷺ حين تخلوا، وقمتَ معه عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبتَه في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين، وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، ومواطن الكره، خلفته في أمته بأحسن الخلافة حين ارتد الناس، وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، قويت حين ضعف أصحابك، ونهضت حين وهنوا، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ همّوا، وقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، مضيت بنور إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، كنت أخفضهم صوتا، وأعلاهم فوقا، وأقلهم كلاما، وأصوبهم منطقا، وأطولهم صمتا، وأبلغهم قولا، وأكبرهم رأيا، وأشجعهم نفسا، وأشدهم يقينا، وأحسنهم عقلا، وأعرفهم بالأمور، كنت والله للدين يعسوبا أولاً حين نفر عنه الناس، وأخيرا حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا لعلمك بما جهلوا، شمرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت آثار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابا صبا، وللمسلمين غيثا وخصبا، فطرت والله بغنائها، وفزت بجبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تُفَل حجتك، ولم تضعف نصرتك، ولم تختر نفسك، ولم يزغ قلبك، كنت كالجبل، فلا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: « **أمَنّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك** » وكنت ضعيفا في بدنك، قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في أعين المؤمنين، كبيرا في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له،

---

١) الآية (٣٣) من سورة الزمر .

شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حق وحتم، وأمرك حكم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، وقوي الإيمان، واعتدل بك الدين، وثبت الإسلام والمسلمون، وقوي الإيمان، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فسبقت والله سبقا بعيدا، وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا، وفزت بالخير، فجللت عن البكا، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره، فو الله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدا، كنت للدين عزا وحرزا وكهفا، وللمؤمنين فيئا وحصنا وغيثا، فألحقك الله بميتة نبيك، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون". فسكت الناس حتى انقضى كلامه، ثم بكوا عليه حتى علت أصواتهم، وقالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله ﷺ [١]، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما [٢].

وأخيرا من مثل أبي بكر ﷺ قال الله عنه وعن رسوله ﷺ: ﴿ **وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾[٣]، فالذي جاء بالصدق هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق ﷺ، مناصر رسول الله ﷺ، منذ الوهلة الأولى، من كرّمه بقول الله تعالى: ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾[٤]، قال أبو بكر: قلت: للنبي ﷺ: وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: « **ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما** »[٥]، لله درك يا أبا بكر نلت شهادات عليا لم ينهلها أحد بعدك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وخلفك الفاروق ﷺ فلم يفته أمر الفتح الإسلامي، وهو ما سنذكره فيما يلي في عهده ﷺ، وهو ما أحزن الفرس اليوم.

---

١) بتصرف انظر: السنة لأبي بكر بن الخلال ١/٢٨٤، وانظر: الشريعة للآجري ٤/١٧٢٥.

٢) مروج الذهب ١/ ٢٨٨.

٣) الآية (٣٣) من سورة الزمر.

٤) من الآية (٤٠) من سورة التوبة.

٥) البخاري حديث (٣٦٥٣) .

عمر بن الخطاب ﷺ

نسبه:

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدىّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة. وإذا قيل: العدوىّ، فهو نسبة إلى عدي بن كعب١.

وأمه حنتمة بنت هاشم ذي الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة، وهي ابنة عم خالد بن الوليد ﷺ، ومن قال فيها: حنتمة بنت هشام بن المغيرة فقد وهم لأن هشام بن المغيرة هو أخو هاشم والدها، وهشام هو والد أبي جهل، وهو ابن عم خالد بن الوليد، فالثلاثة أبناء العم: خالد بن الوليد بن المغيرة، وحنتمة بنت هاشم ذي الرمحين بن المغيرة، وأبو جهل الحارث بن هشام بن المغيرة، كنيته أبو الحكم، وكنّاه الصحابة أبا جهل لعدم قبوله الإيمان بنبوة محمد ﷺ ٢.

صفته ﷺ:

كان، ﷺ رجلا طوالا أصلع، أعسر أيسر، أحور العينين، آدم اللون، وقيل: كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة، أشنب الأسنان، وكان يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء ٣.

إسلامه:

أسلم بعد أبي بكر والسابقين في العهد المكي ﷺ، بعد خمسة وأربعين رجلا، وإحدى وعشرين امرأة.

وقد دُونت قصة إسلامه في كتب السير، يعرفها المبتدئون من أبناء المسلمين، لقّبه رسول الله ﷺ بالفاروق، وذلك لاستقامته على الحق، وشجاعته في إظهاره، وقد

---

١) المعارف ١/١٧٩.

٢) بتصرف المؤتلف والمختلف للدارقطني٢/٩١٤.

٣) البداية والنهاية١٠/١٩٢.

أعز الله به الإسلام، وقد كان قويا أمينا، لا تأخذه في الحق لومة لائم، كما قال عثمان وعلي رضي الله عنهما ١.

فكان من فضل الله على هذه الأمة أن استُخلف عليها بعد نبيها ﷺ أفضل الأمة أبو بكر ﷺ، وكان من أبرز أعماله ﷺ أربع ركائز قام عليها الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ.

الركيزة الأولى:

قمعُ المرتدين من العرب، وإعادتهم إلى حضيرة الإسلام، وكانت للردة أسباب من أبرزها منع الزكاة الركن الرابع من أركان الإسلام، فالأركان الخمسة عند أبي بكر ﷺ كل لا يتجزأ وهي كذلك عند المسلمين كافة، ولذلك قال أبوبكر ﷺ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فكان القضاء على المرتدين نصرا مؤزرا للإسلام والمسلمين.

الركيزة الثانية:

جمع القرآن فقد كان لحروب الردة أثر كبير على القراء من الصحابة، فقد استشهد في وقعة اليمامة عدد كبير منهم، وبذلك تنبه أبو بكر ﷺ إلى خطورة ذهاب القرآن الذي لم يدون، وإنما كان محفوظا في صدور القراء، إلا ما كان في بعض اللِّخاف والعُسُب، فأمر ﷺ بكتابة القرآن، وبدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة، أو أوائل الثانية عشرة، وانتهى قبل وفاته ﷺ، مستغرقا خمسة عشر شهرا، وتم ذلك جمعاً وكتابة قبل وفاته ﷺ ٢.

الركيزة الثالثة:

تسيير جيش أسامة، وعدم حل لواء عقده رسول الله ﷺ، فكانت خطوة مباركة في بدء الفتح الإسلامي.

الركيزة الرابعة:

عهدُ أبي بكر ﷺ بالخلافة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقّب بأمير المؤمنين، صحابي جليل، وشجاع حازم، صاحب

---

١) تاريخ الطبري وصلته ٤/ ١٩٥،٢٠٠، ٢٠١.

٢) انظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة ٣٩/١.

الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره، وقد أعز الله بإسلامه المسلمين، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وأعلن لقريش هجرته إلى المدينة، وشهد الوقائع كلها، وكان عمر ﷺ يقضي على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بموافقته.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه وقال فيه ابن الخطاب، أو قال: عمر، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر"[1].

وقال عمر ﷺ[2]: "وافقت ربي في أربع، قلت: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3]، وقلت: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا: فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[4]، وفي رواية أنه قال: وقوله للنبي ﷺ لما اعتزل نساءه ووجد عليهن: يا رسول الله، إن كنت طلقتهن، فإن الله معك، وملائكته، وجبريل، وميكائيل، وأنا، وأبو بكر، والمؤمنون معك".

قال عمر ﷺ: "وقلَّ ما تكلمتُ ــ وأحمدُ الله ــ بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، فنزلت آية التخيير[5]، وقلت لأزواج النبي: لتنتهن أو ليبدله الله سبحانه أزواجا خيرا منكن، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[6]، ونزلت: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ

---

١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢٥١/١.

٢) أسباب النزول ت الحميدان ٣١٣/١.

٣) من الآية (١٢٥) من سورة البقرة.

٤) من الآية (٥٣) من سورة الأحزاب.

٥) فتح الباري لابن رجب ٩٨/٣.

٦) من الآية (٥) من سورة التحريم.

﴿أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]، فقلت: فتبارك الله أحسن الخالقين" فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2].

وليست موافقاته ﷺ محصورة في هذه الخصال، فقد وافق في أكثر من الأربع المذكورة.

ومما وافق فيه القرآن قبل نزوله: في النهي عن الصلاة على المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[3]، وفي قوله لليهود: من كان عدوا لجبريل، فنزلت الآية ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وهي أكثر فقد عد الحافظ أبو موسى المديني من ذلك اثنتي عشرة خصلة[5].

خلافة عمر بن الخطاب

بويع عمر بن الخطاب بالخلافة يوم وفاة أبي بكر في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وثبتت خلافته بالعهد من أبي بكر ﷺ، فبايعه الناس، وثبتت له البيعة باتفاق الأمة عليه، من عهد أبي بكر ﷺ واستخلفه أبو بكر ﷺ لما يعلم من فضله على سائر من بقي من الصحابة ﷺ، وصلابته في الحق، ولم ينازعه في ذلك أحد من الصحابة ﷺ، فلما بايعه الصحابة ﷺ تواضع لهم، وواسى نفسه بهم، فلم يكن عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء[6].

---

١) الآيات (١٢ ــ ١٤) من سورة المؤمنون.

٢) تمام الآية (١٤) من سورة المؤمنون.

٣) الآية (٨٤) من سورة التوبة.

٤) من الآية (٩٧) من سورة البقرة.

٥) فتح الباري لابن رجب ٣/٩٧، ٩٨.

٦) المعارف ١/١٨٢، ١٨٣.

وتوجهت إرادته إلى السير فيما سار فيه خليفة رسول الله أبو بكر ﷺ، حيث عزم على ما عزم عليه رسول الله ﷺ من تسيير الجيوش لفتح الأمصار وإعلاء كلمة الله ﷻ التي أُرسل نبينا محمد ﷺ لنشرها، وشُرع من أجلها الجهاد في سبيل الله، فكان ذلك الاقتداء من الخليفتين أبي بكر وعمر أمرا شرعيا، وعملا مرضيا، ففتح الله على يدي عمر بن الخطاب ﷺ في سني خلافته أمصارا كثيرة من أرض فارس والعراق والشام، في معارك ضارية منها: الأهواز، ودستميسان، واليرموك، وبيت المقدس، ودمشق، وميسان، والجابية، وجلولاء، وقيساريّة، وبابل، ونهاوند، أرّجان، وإصطخر الأولى، وهمذان [١]، وأجنادين، وقد سار عمر ﷺ في خلافته سيرة عظيمة، لم يكن لمن تلاه مثلها إلى يومنا هذا، ولربما إلى يوم الدين، سوى ما ذكر من أمر المهدي عند أهل السنة، فقد ورد أنه يملأ الأرض عدلا [٢].

إن فضائل عمر كثيرة، والأدلة في هذا كثيرة، فهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، واتخذ بيت المال، وأمر ببناء البصرة والكوفة، وهو أول من دوّن الدواوين في الإسلام، لقَّبه رسول الله ﷺ بالفاروق، وسراج الجنة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، قال أبو بكر ﷺ حين عهد له بالخلافة: ولّيت عليهم خيرهم، وصدق أبو بكر ﷺ فإن عمر بن الخطاب أفضل الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنهما، وقد كان عمر ﷺ دوّخ الفرس، والروم وأذلهم، وأزال ملكهم، وألجأهم الى الهرب، حتى وصلت خيوله افريقية، وأوائل خراسان، وأوائل الهند، فذلّ الشرك كله بذلك، وعَزّ الإسلام بمكانه وسلطانه، وبه عز من أسلم منهم، وبذلك ظهر الإسلام ظهورا كبيرا بالفتوحات، شرقا وغربا، وصارت كلمة الله هي العليا بما جرى في تلك الأمصار.

---

١) المعارف ١/١٨٢.

٢) تاريخ الطبري ٤/٢٠٢.

عمر بين الحياة والموت:

حج عمر ﷺ بالناس عشر سنين متوالية، ثم صدر إلى المدينة، ليتلقى طعنة من يد آثمة ملعونة، لقد كان الحدث فاجعة كبرى، خاف المسلمون أن يسترد ملوك الفرس والروم قوتهم بفقد المؤمنين أميرهم، فاجتمعوا في خلوة عن عمر ﷺ، وفكروا في الأمر، وحداهم الأمل أن يستخلف عليهم.

فعادوا وقالوا له: "أوصنا يا أمير المؤمنين، قال: أوصيكم بالقرآن فتمسكوا به، فبه هدى اللهُ نبيّكم وهداكم من بعده، وفيه نجاتكم.

قالوا: أوصنا، قال: أوصيكم بالمهاجرين والانصار وذكر فضلهم.

قالوا: أوصنا، قال: أوصيكم بالعرب فإنهم مادة الاسلام.

قالوا: أوصنا، قال: اوصيكم بذمتكم فإنهم ذمة نبيكم وقوت عيالكم ١.

قالوا: أوصنا، قال: قوموا عني وإلا قمت عنكم. فلما رآه أصحاب رسول الله ﷺ لا يذكر أحدا للخلافة، ابتدأ ابن عباس ﷺ يسأله الاستخلاف، وافتتح الكلام، فقال عمر ﷺ: "قد توليتها حياتي، واجتهدت لكم رأيي، ونصحت لكم جهدي، ومنعت نفسي وأهلي، وأرجو أن أنجو منها كَفافا لا عليّ ولا لي"، فأَثْنَوا، وابتدأ علي ﷺ يبشره عن رسول الله ﷺ بالجنة، وقال له: وأشار الى ابن عباس يشهد على رسول الله ﷺ بمثل ما شهدتُ، وسأله غيرهما الاستخلاف، فقال: "ما أحب أن أتحملها حيا وميتا"، قالوا: بل تفعـل، ولك في ذلك الأجـر، انظـر يا أمير المؤمنين لأمة محمد ﷺ، فقال: دلوني على من أستخلف، فقال له المغيرة: أنا أدلك عليه: عبد الله بن عمر، فقال له عمر: والله ما أردت بذلك الله، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، وما يمنعك من إخوانك، وأشار إلى عليّ، وعثمان، وعبد الرحمن، وتلك الجماعة ﷺ، فقال عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خيـر مني ــ يعني أبابكر ﷺ ــ وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ــ يعني رسول الله ﷺ ــ ثم قال: هي في واحد من هؤلاء الستة: الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وقبض وهو عنهم راض: علي، وعثمان ابنا عبد مناف، وسعد وعبد الرحمن خالا رسول

---

١) يريد أهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين آثروا دفع الجزية على الدخول في الإسـلام، والمراد بقوت العيال ما يؤخذ من الجزية مقابل الرعاية والحماية.

الله ﷺ، والزبير حواريّ رسول الله ﷺ، وطلحة وقاية رسول الله ﷺ"، ثم حذر كل واحد منهم من خلق كرهه له.

وقال لعلي: "إن وُليتَ هذا فاعدل، ولا تحمل بني هاشم على رقاب الناس، وقال لعثمان: إن وليتَ هذا فاعدل، ولا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ثم أقبل على عمار، ومقداد رضي الله عنهما: في أن يكونا في ثلاثين من المهاجرين، وقال لأبي طلحة الانصاري ﷺ: إن الله لم يزل يعزّ هذا الاسلام بقومك، فكن في خمسين منهم، فإذا متُّ فليصلّ عليّ صهيب، وليصلّ بالناس إلى أن يقيموا خليفة، وكونوا عليهم رقباء، لئلا يستبدّ مستبد، وقال: لا يأتي اليوم الثالث إلا وقد أقمتم أحدا من هؤلاء الستة خليفة، وجدّوا في أمركم، وجاهدوا عدوكم"، فلما قبض أنفذوا وصيته كما رسم ﷺ[١]، رحل عمر بعد ما أدى الأمانة ونصح للأمة، وقد ورد في وصية عمر ﷺ ما يبطل دعوى الرافضة أن الرسول ﷺ أوصى لعلي، والعجب أن عمر ﷺ قال هذا في جمع غفير من الصحابة ﷺ ومنهم علي ﷺ، فلا علي ﷺ أنكر وادعى الوصية، ولا الصحابة ﷺ أنكروا ذلك من عمر ﷺ، ولم ينكروا على علي ﷺ عدم اعتراضه على قول عمر في عدم استخلاف رسول الله ﷺ، ولاسيما وقد قال له: "إن وُليتَ هذا فاعدل، ولا تحمل بني هاشم على رقاب الناس" وفي رواية أنه بعد أن سمى الستة ﷺ، وهم من المبشرين بالجنة قال: "يشهدكم عبد الله ابن عمر، وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر، فإني لم أعزله عن عجز، ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، أن يقبل من محسنهم، وأن يُعفَى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء الإسلام، وجباية المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويُرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله،

---

١) دلائل النبوة ٢٧٦/١ ــ ٢٧٩.

وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم"[1].

مات مقتولا يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجّة قتله أبو لؤلؤة فيروز المجوسي في صلاة الصّبح، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقد كتب الله له الشهـادة على يد ذلك المجوسي الخـاسر في الدنيا والآخـرة، وصلّى عليه صهيب رضي الله عنه، وقبر في حجـرة عـائشة رضي الله عنهـا مع رسـول الله ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه، القمر الثالث حسب رؤيا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[2]، وكان قاتله فيروز، أبو لؤلؤة، لعنه الله: غلام المغيرة بن شعبة، المُمجد عند الرافضة، أعداء الإسلام والمسلمين.

وكانت ولايته رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال. ولا ريب أنه حصل للأمة خير كثير باستخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "وُضِعت جنازة عمر، فقام الناس يدعون وأنا فيهم، فوضع رجل يده على منكبي. فالتفت، فإذا عليٌّ، فأوسعت له، فزاحم عليه وقال: ما خلفتَ بعدك أحدا أحب إليَّ من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإن كنت أظن أن الله سيجعلك مع صاحبيك، وأكثر ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وجئت أنا وأبو بكر وعمر**» قد كنت أظن أن الله سيجعلك معهما[3]، نعم المقدر علي رضي الله عنه.

---

1) البخاري حديث (٣٧٠٠) .

2) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري حديث (٩٧٤).

3) السنة لابن أبي عاصم حديث (١٢١٠) وانظر (البخاري حديث ٣٦٨٥).

عثمان بن عفان رضي الله عنه

نسبه:

هو: عثمان بن عفّان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة، يكنى: أبا عمرو، وأبا عبد الله، وأبا ليلى، اجتمع في النسب مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، ومع معاوية في أمية، وأم عثمان رضي الله عنه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أمها: البيضاء بنت عبد المطلب، وهي بنت عمة رسول الله ﷺ ١.

صفته رضي الله عنه:

كان رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، كث اللّحية عظيمها، أسمر اللون، كثير شعر الرأس، وكان يشدّ أسنانه بالذهب ٢.

إسلامه رضي الله عنه:

قالت له خالته وكانت كاهنة: محمد بن عبد الله رسول الله، من عند الله جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، ثم قالت: مصباحه مصباح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، دانت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال عثمان رضي الله عنه ثم انصرفت، ووقع كلامها في قلبي، فجعلت أفكر فيه، وكان لي مجلس عند أبي بكر، فأتيته فأصبته في مجلس ليس عنده أحد، فجلست إليه فرآني منكسرا فسألني عن أمري، فأخبرته بما سمعت من خالتي، فقال: يا عثمان ويحك إنك رجل حازم لا يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا أليست من حجارة لا تضر ولا تنفع، صم لا تبصر ولا تسمع؟!، قلت: بلى والله إنها كذلك، فقال: والله صدقتك خالتك، هذا محمد بن عبدالله قد بعثه الله برسالته إلى خلقه، فهل لك أن تأتيه فتسمع منه ؟، قلت: نعم، فو الله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله، ومعه علي بن أبي طالب يحمل ثوبا، فلما رآه

---

١) المعارف ١/١٩١.

٢) المعارف ١/١٩١.

أبوبكر قام فساره في أذنه بشيء، فجاء رسول الله فقعد ثم أقبل علىٌّ فقال: يا عثمان أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك والي خلقه، قال: فو الله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله [1].

زواجـه وهـجرته ﷺ:

زوّجه رسول الله ﷺ ابنته: رقية، وهو بمكة، فهاجر بها إلى أرض الحبشة، فقال رسول الله ﷺ: إنهما لأوّل من هاجر إلى الله، بعد: إبراهيم، ولوط، ثم هاجر إلى المدينة، فهو من المهاجرين الأوّلين ﷺ، له هجرتان: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، وزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بالمدينة، بعد وفاة رقية رضي الله عنهما، ولما ماتت أم كلثوم قال رسول الله ﷺ: « **لو كانت عندي ثالثة لزوجت عُثْمَان** »[2]، ولقب لذلك ذا النورين، وشهد له بالجنة، لما روى أبو موسى الأشعري ﷺ: أنه حرس رسول الله ﷺ وهو جالس في بئر أريس، فجاء أبو بكر وعمر وعثمان على الولا، وبعد الاستئذان لكل واحد منهم، أمر رسول الله أبا موسى أن يأذن له ويبشره بالجنة، وزاد في بشارة عثمان على بلوى تصيبه[3]، وأخبر أنه شهيد، فقد صعد أحدا، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان ﷺ، فرجف بهم، فقال رسول الله ﷺ: « **أثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان** »[4]، واستخلفه رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوته إلى غطفان[5]، وقد ورد ما يفيد أن الله ﷻ غفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وذلك أنه جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار، حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فأخذ النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: « **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين** »[6]، وهو أحد

---

١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي٢/ ٥١٦،٥١٧.

٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم٤/٣٣٥.

٣) البخاري حديث (٣٦٧٤).

٤) البخاري حديث (٣٦٧٥).

٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤/٣٣٥.

٦) الترمذي حديث (٣٧٠١).

الستة الذين جعل عمر ﷺ فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، وأنعم بها شهادة من عمر رجل الأمانة والعدل.

نفقـته في سـبيل الله:

كان عثمان ﷺ ممن اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره، وبعد ذلك « فبئر رومة »[١]، كانت ركيّة ليهوديّ يبيع ماءها للمسلمين، فقال النبيّ ﷺ من يشتري رومة؟ » فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشرب في الجنة؟ فأتى عثمان ﷺ اليهوديّ فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلّها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهما، فجعله للمسلمين. فقال عثمان ﷺ: إن شئت فلي يوم، ولك يوم، وإن شئت جعلت على نصيبي قرنين؟، قال اليهوديّ: لي يوم ولك يوم.

فإذا كان يوم عثمان ﷺ استقى المسلمون ما يكفيهم يومين. فلما رأى ذلك اليهوديّ قال لعثمان ﷺ: أفسدت عليّ ركيّتي، فاشتر النصف الآخر بثمانية آلاف درهم[٢].

وقال رسول الله ﷺ: « **من يزيد في مسجدنا؟** » فاشترى عثمان ﷺ موضع خمس سواري، فزاده في المسجد.

وجهّز عثمان ﷺ جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا، وأتمها ألفا بخمسين فرسا، وهذا في الجهاد في سبيل الله ﷻ، فكم يكون الأجر فيه لعثمان ﷺ، ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد لعثمان ﷺ فإنه لما أراد فتح إفريقية استشار كبار الصحابة وأصحاب الرأي، وأخذ يدعو الناس إلى الجهاد، ويحثهم على التطوع، فتقاطروا من مختلف القبائل للاشتراك في هذه الغزوة، وأعان الجيش بألف بعير من ماله. واشترى أرضا يقال لها: « حشّ كوكب » فزادها توسعة في البقيع، وهي التي دفن فيها[٣]، ومعلوم تجهيزه لجيش العسرة، في غزوة تبوك حين حض النبي ﷺ على ذلك، فقام عثمان بن عفان ﷺ فقال: "يا رسول الله علي بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله"، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان ﷺ فقال: "يا رسول الله علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله"، ثم حض على الجيش

---

١) هو المعروف اليوم في المدينة ببئر عثمان، لم ينضب ماؤه.

٢) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢/٣٦٠.

٣) انظر: المعارف ١/١٩١ ــ ١٩٧، موجز عن الفتوحات الإسلامية ١/٥٣.

فقام عثمان بن عفان ﷺ فقال: "يا رسول الله علي ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله"، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر وهو يقول: « **ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه** »١، وجهز الجيش بألف دينار نثرها في حجر رسول الله ﷺ. وأخذ يقلبها في حجره ويقول: « **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين** »٢.

لماذا لم يشهد بدرا ﷺ:

ولم يشهد بدرا، لأن رسول الله ﷺ خلّفه لتمريض رقية رضي الله عنها، وكانت ثقيلة، فماتت ودفنها، ولذلك اعتبره رسول الله ﷺ كمن حضر، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

لماذا لم يشهد بيعة الرضوان ﷺ:

لأن رسول الله ﷺ أرسله إلى قريش، ليخبرهم أنه لم يجئ لقتال، ولذلك اعتبره رسول الله ﷺ كمن حضر، فبايع له رسول الله ﷺ بشماله، وهي منقبة عظيمة لعثمان ﷺ، وفيها إشارة من النبي ﷺ أن عثمان ﷺ صادق الإيمان بالله ورسوله، وأنه مع رسول الله ﷺ في المنشط والمكره.

خـــــلافة عـثـمـــــان ﷺ

بويع عثمان ﷺ بالخلافة غرة المحرّم سنة أربع وعشرين، وهو يومئذ ابن تسع وستين سنة.

وكان الرَّيُّ من خراسان أوّل الفتح الإسلامي في خلافة عثمان ﷺ، وأمير الجيوش: أبو موسى الأشعريّ ﷺ، ثم الإسكندرية، ثم سابور، ثم إفريقية، ثم قبرس، من سواحل بحر الرّوم الأبيض المتوسط، وفارس الأولى، ثم جور، وفارس الآخرة، سَنَة تسع وعشرين، ثم طبرستان، وكرمان، وسجستان، ثم

١) الترمذي حديث (٣٦٩٩).

٢) الترمذي حديث (٣٧٠١).

الأساورة في البحر، ثم إفريقية، ثم حصون قبرس، ثم ساحل الأردن[1]، ثم كانت مرو، على يد: عبد الله بن عامر، سنة أربع وثلاثين.

بروز البلوى التي وُعد بها عثمان ﷺ:

نقم بعض الصحابة ﷺ على عثمان ﷺ أمورا لم يرها عثمان ﷺ مما ينكر، وكذلك بعض الصحابة ﷺ، ولما اشتد الخلاف كتب نفر من الصحابة بعضهم إلى بعض، أن أقدموا فالجهاد عندنا، ونال الناس من عثمان، وليس أحد من الصحابة ينهى عن ذلك، ولا يذب إلا نفر، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وأبو هريرة، وآخرون هم من ستمائة رجل منعهم عثمان من الدفاع عنه، وحُصر عثمان ﷺ في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، بسبب ما أخذ عليه، وقد اعتذر لعثمان ﷺ أبو بكر بن العربي رحمه الله في كتابه العواصم من القواصم، وقد أجاد وأفاد، ورد باعتذاره الحق إلى نصابه، وكان من أسباب الفتنة على عثمان ﷺ أنه اجتهد في أمور سُبق إلى مثلها من الشيخين رضي الله عنهما، ولم يرضها أناس، فعاملهم بلطف، ورقة وتواضع، ولم يستعمل الحزم كما فعل عمر مع المخالفين، ولذلك قال له علي ﷺ: "إنّ عمر كان يطأ على صماخ من ولّى، وأنت ترفق بهم وكانوا أخوف لعمر من غلامه يرفأ، ومعاوية يستبدّ عليك، ويقول هذا أمر عثمان فلا تُغيّر عليه"[2].

وطلب المحاصرون من عثمان ﷺ أن يعتزل، فأبى أن يعتزل، لقول رسول الله ﷺ: **« يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم »**[3]. وأبا أن يقاتلهم، ونهى عن ذلك، وأغلق بابه، وفاءً لما سمع من رسول الله، أن له الجنة على بلوى تصيبه، فحوصر أكثر من عشرين يوما، وهو في الدار في ستمائة رجل لم يسمح لهم بالدفاع عنه، فاقتحم المحاصرون عليه الدار، فضربه الملعون نيار بن عياض الأسلميّ بمشقص، في وجهه، فسال الدم على

---

1) المعارف ١/١٩٤.

2) تاريخ ابن خلدون ٢/٥٩٣.

3) الترمذي حديث (٣٧٠٥).

المصحف في حجره، عند قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾١، فأي مصيبة أعظم من مصيبة عثمان، ولكنها برد وسلام على عثمان عاقبتها الجنة، والمصيبة الماحقة على من حاصره وسعى في قتله.

وكان قتله يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة، بعد أن حجّ بالناس عشر سنين متوالية، والسنة التي قتل فيها أقام لهم الحج عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وصلّى بالناس في بالمدينة وخطبهم على بن أبى طالب ﷺ.

ودفن ليلا في البقيع، بأرض اشتراها فزادها توسعة في البقيع، وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة، إلا اثنتي عشرة ليلة ٢.

لماذا يسميه الرافضة نعثلا ؟!

لكثرة شعر رأسه ولحيته سماه الرافضة بذلك، تعاموا عن فضائله، وأبصروا كثرة شعر رأسه ولحيته فأطلقوا عليه ما يروقهم قاتلهم الله، فهم للشر أنزع، وعن الخير أبعد٣، وربما أرادوا ثلب عثمان بأسوأ معاني هذه الكلمة، وهم بوصف السوء أولى، ويكفي عثمان أنه شيخ تستحي منه الملائكة، واستحى منه رسول الله ﷺ ٤.

تنبيه:

إن خلافة الثلاثة؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ تضمنها وعد الله ﷻ المؤمنين بالاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾٥ ولم يخلف الله ﷻ وعده فقد خاطبهم به فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

١) من الآية (١٣٧) من سورة البقرة.
٢) انظر: المعارف ١٩١ ـــ ١٩٨ بتصرف.
٣) انظر: المعارف ١٩٢/١.
٤) مسلم حديث (٢٤٠١).
٥) الآية (٥٥) من سورة النور.

مِنكُمْ﴾ يعني الذين آمنوا مع رسول الله ﷺ، فتحقق ذلك للمؤمنين بتمكين أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ واستخلافهم، والتمكين لهم في الأرض، وجعلهم آمنين يَغزون ولا يُغزون، ويخيفون الأعداء ولا يخيفهم عدو، ولم يشق بهم جليسهم علي بن أبي طالب ﷺ الخليفة الراشد الرابع، فقد كان على الحق، وما حدث له ولعثمان قبله هو من البلاء، ولم يُمكَّن لعلي ﷺ ليقضي الله أمرا كان مفعولا.



علـــي بـــن أبـي طـــالـــب رضي الله عنه

نسبه رضي الله عنه:

عليّ بن أبى طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ، يكنى: أبا الحسن رضي الله عنهما.

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهي أول هاشمية ولدت لهاشميّ [1].

صفته رضي الله عنه:

كان عريض اللحية وقد أخذت ما بين منكبيه، أصلع على رأسه زغيبات [2].

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بعقد مَن عقد له الإمامة من أصحاب الشورى، الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه، وهم خيار عدول، شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وتوفي وهو راض عنهم، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله. وثبتت إمامة علي رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه بعقد مَن عقدها له من الصحابة رضي الله عنهم، من أهل الحل والعقد، قال ابن عمر رضي الله عنهما: « **كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: النبي، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم: تزوج فاطمة، وولدت له، وغلّق الأبواب غير بابه [3]، ودفع الراية إليه يوم خيبر** » [4]، ولأنه لم يدَّعِها أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد أجمعوا على فضله وعدله، وأحقيته بالخلافة، وقد حان وقتها له رضي الله عنه، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقا، لعلمه أن ذلك ليس وقت قيامه، لم يحتجّ علي على أحقيته بنص من الكتاب

---

١) انظر: المعارف ٢٠٣/١.

٢) الطبقات الكبرى ١٨/٣.

٣) المراد الأبواب التي تفتح على السجد، ومنها بيت علي رضي الله عنه، وكذلك بيت أبي بكر رضي الله عنه لم يغلق.

٤) السنة لابن أبي عاصم حديث (٥٦٠١).

ولا من السنة، لا بحديث الغدير ولا بغيره، وإنما ظن أنه الأحق لقربه من رسول الله ﷺ نسبا وصهرا، ولو علم إشارة واحدة في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسول الله ﷺ، لا تحتمل التأويل على أحقيته بالخلافة لبادر إلى ذكرها والاستشهاد بها، ولكان أبو بكر وعمر وبقية الصحابة من أطوع الناس لعلي تنفيذا لما أورد، وقد كان علي الخليفة الراشد ﷺ ذكيا، فقد استدل على خطأ الزبير، قال علي للزبير رضي الله عنهما: "تذكر يوم مررت مع رسول الله، ﷺ في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت إليه، فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه"، فقال لك رسول الله ﷺ: « **ليس به زهو، لتقاتلنه وأنت ظالم له** » قال الزبير: "اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً"، فانصرف علي إلى أصحابه فقال: "أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم"، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: "ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب"[١]، فكيف يستدل على خطأ الزبير، ولا يستدل على الإمامة الكبرى، لم يكن ذلك من الخليفة الراشد علي ﷺ إلا لعدم مجرد الإشارة فضلا عن النص، وأنه قلما كان لنفسه في وقت الخلفاء قبله، ثم لما صار الأمر أظهر وأعلن، ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد ﷺ، كما مضى من قبله من الخلفاء، وأئمة العدل على السداد والرشاد، متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، هؤلاء هم الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم أجمعين، هم أصحاب الخلافة الراشدة، المأمور باتباع ما سنوا، قال رسول لله ﷺ: « **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور** »[٢]، وهم خلفاء النبوة، قال سفينة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك** » ثم قال سفينة للراوي عنه وهو سعيد بن جمهان: أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب ﷺ أجمعين[٣]،

---

١) الكامل٢/٤٤.

٢) أبو داود حديث (٤٦٠٧).

٣) الإبانة عن أصول الديانة١/٢٥٧.

ثلاثون سنة أقام الخلفاء الراشدون العدل على نهج النبوة، وابتدأ الملك بأمر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ولم يكن في عداد خلفاء النبوة، وإن قيل خلافة معاوية، فذاك ملك وليس خلافة نبوة، وأشار رسول الله ﷺ إلى هذه المراحل، قال حذيفة بن اليمان ﷺ: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: « **نعم** » قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: « **نعم، وفيه دخن** » قلت: وما دخنه ؟، قال: « **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر** » قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: « **نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها** » قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: « **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** » قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟، قال: « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** »، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟، قال: « **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك** » [1].

نفهم من حوار حذيفة هذا أن الخير الذي عاشه هو عهد النبوة وخلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والشر بعد ذلك ما وقع في خلافة عثمان ﷺ من خروج عليه وقتله ظلما وعدوانا، وهم أول نابتة الخوارج، والخير بعد هذا خلافة علي ﷺ، وكان فيها الدخن بالخلاف بينه وبين معاوية لأن كلا الفريقين أتباع علي ﷺ، وأتباع معاوية ﷺ هم من المسلمين، يؤيد هذا قول رسول الله ﷺ عن الحسن ﷺ: « **ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** » [2]، وقد وقع بينهما خلاف بسبب الشر الذي وقع لعثمان ﷺ، لم يكن معاوية ﷺ معترضا على خلافة علي ﷺ، بل طالب عليا بقتلة عثمان لأنه من أبناء عمومته يجتمع معه في أمية بن عبد شمس جد أبي سفيان ﷺ، وتحققت سيادة الحسن ﷺ بحقن دماء المسلمين، إذ تنازل لمعاوية ﷺ، والدعاة على أبواب جهنم هم الفرق

١) البخاري حديث (٣٦٠٦).

٢) البخاري حديث (٣٦٢٩).

الضالة كالخوارج، والروافض، وما تولد منهما بعد ذلك، فقد أحدثوا في الدين أمورا عظيمة، تنسف أصول الإسلام، فالخوارج انشقوا عن الخليفة الراشد علي ﷺ، في سنة (٣٧) وكفروه ومن معه، وزعموا أنهم هم المؤمنون، وحملوا السلاح لقتال من خالفهم، واستباحة ماله ودمه وعرضه، وقد تبرؤوا من خلافة عثمان بعد الفتنة، وهم رأسها، وتبرؤوا من خلافة علي بعد التحكيم، بدعوى لا حكم إلا لله ﷻ، وهي مقولة حق أريد بها باطل، كما قال علي ﷺ، ولم تكن الرافضة أقل شرا وفسادا في الأرض من الخوارج: فإن من اعتقادهم القول بتحريف القرآن، وأن لهم قرآنا يأتي به المهدي المنتظر، من أبرز الأحكام فيه قتل العرب عن بكرة أبيهم، انتقاما لدولة الفرس، لأن عقيدتهم تكفير الصحابة جميعا عدا ما لا يزيد عن عدد أصابع اليدين، ورمي عائشة بالفاحشة، والقول بعصمة الأئمة من أبناء علي ﷺ، ولاسيما ذرية الحسين ﷺ، وعلمهم الغيب والتصرف في الكون، وكلام كثير لا يصدقه المجانين فضلا عن العقلاء، يدعون الناس إلى الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها فهو عندهم كافر مباح الدم والعرض والمال، ينالون بقتله وتعذيبه أعلى الدرجات في الجنة بزعمهم، فهم لا شك دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم كفر، والكافر مصيره النار، نعوذ بالله من الضلال، ولذلك قال علي ﷺ: في هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم إنا قوم أصابتنا فتنة هذه الدنيا[1]، ولا ريب أن الناس أصابتهم فتنة الدنيا خلال الست السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ، وما بعدها، ولذلك قال علي ﷺ هذا القول، فمن الناس من فتن في دينه، ومنهم من فتن في ماله وولده، ومنهم من فتن بطلب الجاه والسيادة، وكثرة الثراء والأتباع، وهكذا تستمر الفتنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد كره علي ﷺ ازدحام الناس عليه، فمنهم المحب الصادق، ومنهم المحب الغالي، ومنهم الكاره له كالخوارج ومن شايعهم، فلما ضجر منهم قال: « **اللهم إني قد كرهتهم وكرهوني، فأرحني منهم وأرحهم مني** »[2].

---

١) السنة لابن أبي عاصم حديث (١٢٠٨).

٢) مصنف ابن أبي شيبة حديث (٣٧٠٩٦) وانظر: أنستب الأشراف حديث (٥٢١).

قتل علي ﷺ:

لم يكن علي ﷺ جاهلا بمجرايات الأمور، فلديه من خبر رسول الله ﷺ بها ما جعله يقول: « **يا للدماء، لتُخضبن هذه من هذا** »[1] ـ يعني لحيته من دم رأسه ـ وقد علم من رسول الله ﷺ، كما علم عثمان أنه شهيد، وأنه يلج الجنة بسبب بلوى تصيبه، وفي رواية أن عليا ﷺ قال: « **لتُخضبن هذه من هذا، فما ينتظر بالأشقى**» قالوا: فأخبرنا به نبير عترته، قال: إذاً تالله تقتلون غير قاتلي، قالوا: أفلا تستخلف، قال: لا، ولكني أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا لقيته؟ قال: أقول: « **اللهم إنك تركتني فيهم، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم؛ فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم** »[2].

فكان القدر المحتوم على يد عبد الرحمن بن ملجم وشبيب الأشجعي اكتنفا عليا حين خرج إلى الفجر، فأما شبيب فضربه فأخطأه وثبت سيفه في الحائط، ثم أحصر نحو أبواب كندة، وقال الناس: عليكم صاحب السيف؛ فلما خشي أن يؤخذ رمى بالسيف ودخل في عرض الناس، وأما عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرنه، ثم أحصر نحو باب الفيل؛ فأدركه عُريض أو عُويض الحضرمي؛ فأخذه فأدخله على علي، فقال علي: "إن أنا متّ فاقتلوه إن شئتم أو دعوه، وإن أنا نجوت كان القصاص"[3].

برز انقسام المسلمين في خلافة عثمان، واستقر في خلافة علي رضي الله عنهما، وهو من علامات نبوة رسول الله ﷺ، وكان أمرا لا مفر منه، ولكن للمحق دلائل كونه على الحق، وللباغي دلائل تدل على بغيه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله[4]: الخوارج تكفر عثمان وعليا وسائر أهل الجماعة. وأما "شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم، وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم فكان بينهما من التقابل، وتلاعن بعضهم، وتكافر بعضهم ما كان، ولم تكن الشيعة

---

١) مصنف ابن أبي شيبة حديث (٣٧٠٩٩).

٢) مسند أحمد حديث (١٠٧٨) وهو حسن لغيره.

٣) مصنف ابن أبي شيبة حديث (٣٧٠٩٧).

٤) مجموع الفتاوى ٤/٤٣٧.

التي كانت مع علي يظهر منها تنقص لأبي بكر وعمر، ولا فيها من يقدم عليا على أبي بكر وعمر، ولا كان سب عثمان شائعا فيها، وإنما كان يتكلم به بعضهم فيرد عليه آخر، وكذلك تفضيل علي عليه لم يكن مشهورا فيها، بخلاف سب علي فإنه كان شائعا في أتباع معاوية، ولهذا كان علي وأصحابه أولى بالحق، وأقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، كما في الصحيح [1] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: « **تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فتقتلهم أولى الطـائفتين بالحق** ».

وكان سب علي ولعنه من البغي الذي استحقت به الطائفة أن يقال لها: الطائفة الباغية، كما رواه البخاري في صحيحه [2] عن خالد الحذاء، عن عكرمة قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: " انطلقا إلى أبي سعيد واسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى به ثم أنشأ يحدثنا حتى إذا أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فجعل ينفض التراب عنه ويقول: « **ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار** » قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن" [3] ورواه مسلم عن أبي سعيد أيضا قال: "أخبرني من هو خير مني أبو قتادة: أن رسول الله ﷺ قال لعمار ــ حين جعل يحفر الخندق ــ جعل يمسح رأسه ويقول: « **بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية** » ورواه مسلم [4] أيضا عن أم سلمة، عن النبي ﷺ أنه قال: « **تقتل عمارا الفئة الباغية** ».

وهذا أيضا يدل على صحة إمامة علي، ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار ــ وإن كان متأولا ــ أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ، وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل،

---

١) مسلم حديث (١٠٦٤).

٢) البخاري حديث (٤٤٧) ومسلم حديث (٢٩١٦).

٣) البخاري حديث (٤٤٧).

٤) مسلم حديث (٢٩١٥).

وهو أصح القولين، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين.

وكذلك أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة علي في قتال البغاة المتأولين، قال: أيجعل طلحة والزبير بغاة؟!، رد عليه الإمام أحمد فقال ويحك وأي شيء يسعه أن يضع في هذا المقام: يعني إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة. **والقول الثاني**: أن كلاً منهما مصيب، وهذا بناء على قول من يقول: كل مجتهد مصيب.

وهو قول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية.

وفيها قول ثالث: أن المصيب واحد لا بعينه، ذكر الأقوال الثلاثة ابن حامد والقاضي وغيرهما.

وهذا القول يشبه قول المتوقفين في خلافة علي من أهل البصرة، وأهل الحديث، وأهل الكلام: كالكرامية الذين يقولون: كلاهما كان إماما، ويجوزون عقد الخلافة لاثنين.

لكن المنصوص عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي، وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه ونهى عن مناكحته ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه، ولا شكوا في ذلك.

فتصويب أحدهما لا بعينه تجويز لأن يكون غير علي أولى منه بالحق وهذا لا يقوله إلا مبتدع ضال، فيه نوع من النصب، وإن كان متأولا، لكن قد يسكت بعضهم عن تخطئة أحد، كما يمسكون عن ذمه والطعن عليه، إمساكا عما شجر بينهم، وهذا يشبه قول من يصوب الطائفتين.

ولم يسترب أئمة السنة وعلماء الحديث: أن عليا أولى بالحق وأقرب إليه، كما دل عليه النص، وإن استرابوا في وصف الطائفة الأخرى بظلم أو بغي، ومن وصفها بالظلم والبغي ــ لما جاء من حديث عمار ــ جعل المجتهد في ذلك من أهل التأويل.

يبقى أن يقال: فالله تعالى قد أمر بقتال الطائفة الباغية، فيكون قتالها كان واجبا مع علي، والذين قعدوا عن القتال هم جملة أعيان الصحابة: كسعد، وزيد، وابن عمر،

وأسامة، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكرة، وهم يروون النصوص عن النبي ﷺ في القعود عن القتال في الفتنة، وقوله ﷺ: « **القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير ...** » الحديث[1] وقوله: « **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن** »[2] وأمره لصاحب السيف عند الفتنة أن يتخذ سيفا من خشب، جاء علي بن أبي طالب إلى أبي فدعاه إلى الخروج معه، فقال له أُبي: "إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفا من خشب، فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك"[3] وبحديث أبي بكرة للأحنف بن قيس لما أراد أن يذهب ليقاتل مع علي، وهو قوله: ﷺ: « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** »[4] الحديث. والاحتجاج على ذلك بقوله: « **لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض** »[5] وهذا مذهب أهل الحديث وعامة أئمة السنة، حتى قال: لا يختلف أصحابنا أن قعود علي عن القتال كان أفضل له لو قعد، وهذا ظاهر من حاله في تلومه في القتال، وتبرمه به، ومراجعة الحسن ابنه له في ذلك، وقوله له: ألم أنهك يا أبت؟، وقوله: لله در مقامٍ قامه سعد بن مالك، وعبدالله بن عمر، إن كان برا إن أجره لعظيم، وإن كان إثما إن خطأه ليسير.

وهذا يعارض وجوب طاعته، وبهذا احتجوا على الإمام أحمد في ترك التربيع بخلافته، فإنه لما أظهر ذلك قال له بعضهم: إذا قلت كان إماما واجب الطاعة ففي ذلك طعن على طلحة والزبير، حيث لم يطيعاه بل قاتلاه، فقال لهم: أحمد: إني لست من حربهم في شيء ــ يعني أن ما تنازع فيه علي وإخوانه ــ لا أدخل بينهم فيه، لما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذي هم أعلم به مني، وليس ذلك من مسائل العلم التي تعنيني، حتى أعرف حقيقة حال كل واحد منهم، وأنا مأمور بالاستغفار

---

١) البخاري حديث (٣٦٠١) ومسلم حديث (٢٨٨٦).

٢) البخاري حديث (١٩) وفي مواضع عدة.

٣) الترمذي حديث (٢٢٠٣) حديث حسن.

٤) البخاري حديث (٣١) ومسلم حديث (٢٨٨٨).

٥) البخاري حديث (١٢١) وفي مواضع عدة، ومسلم حديث (٦٦) كذلك.

لهم، وأن يكون قلبي لهم سليما، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يهدر، ولكن اعتقاد خلافته وإمامته ثابت بالنص، وما ثبت بالنص وجب اتباعه، وإن كان بعض الأكابر تركه، كما أن إمامة عثمان وخلافته ثابتة إلى حين انقراض أيامه، وإن كان في تخلف بعضهم عن طاعته أو نصرته، وفي مخالفة بعضهم له من التأويل ما فيه، إذ كان أهون مما جرى في خلافة علي.

وهذا الموضع هو الذي تنازع فيه اجتهاد السلف والخلف: فمن قوم يقولون بوجوب القتال مع علي كما فعله من قاتل معه، وكما يقول كثير من أهل الكلام والرأي الذين صنفوا في قتال أهل البغي، حيث أوجبوا القتال معه، لوجوب طاعته ووجوب قتال البغاة، ومبدأ ترتيب ذلك من فقهاء الكوفة واتبعهم آخرون.

ومن قوم يقولون: بل المشروع ترك القتال في الفتنة، كما جاءت به النصوص الكثيرة المشهورة، كما فعله من فعله من القاعدين عن القتال، لإخبار النبي ﷺ أن ترك القتال في الفتنة خير وأن الفرار من الفتن باتخاذ غنم في رؤوس الجبال خير من القتال فيها، وكنهيه لمن نهاه عن القتال فيها، وأمره باتخاذ سيف من خشب، ولكون علي لم يذم القاعدين عن القتال معه، بل ربما غبطهم في آخر الأمر.

ولأجل هذه النصوص لا يختلف أصحابنا أن ترك علي القتال كان أفضل، لأن النصوص صرحت بأن القاعد فيها خير من القائم، والبعد عنها خير من الوقوع فيها، قالوا: ورجحان العمل يظهر برجحان عاقبته، ومن المعلوم أنهم إذا لم يبدؤوه بقتال، فلو لم يقاتلهم لم يقع أكثر مما ووقع من خروجهم عن طاعته، لكن بالقتال زاد البلاء، وسفكت الدماء، وتنافرت القلوب، وخرجت عليه الخوارج، وحكم الحكمان، حتى سمي منازعه بأمير المؤمنين، فظهر من المفاسد ما لم يكن قبل القتال، ولم يحصل به مصلحة راجحة.

وهذا دليل على أن تركه كان أفضل من فعله، فإن فضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها، والقرآن إنما فيه قتال الطائفة الباغية بعد الاقتتال، فإنه قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ

﴿ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[١]، فلم يأمر بالقتال ابتداء مع واحدة من الطائفتين، لكن أمر بالإصلاح وبقتال الباغية، وإن قيل: " الباغية يعم الابتداء والبغي بعد الاقتتال، قيل: فليس في الآية أمر لأحدهما بأن تقاتل الأخرى، وإنما هو أمر لسائر المؤمنين بقتال الباغية، والكلام هنا: إنما هو في أن فعل القتال من علي لم يكن مأمورا به، بل كان تركه أفضل، وأما إذا قاتل لكون القتال جائزا وإن كان تركه أفضل، أو لكونه مجتهدا فيه وليس بجائز في الباطن: فهنا الكلام في وجوب القتال معه للطائفة الباغية، أو الإمساك عن القتال في الفتنة، وهو موضع تعارض الأدلة، واجتهاد العلماء والمجاهدين من المؤمنين بعد الجزم بأنه وشيعته أولى الطائفتين بالحق، فيمكن وجهان: أحدهما: أن الأمر بقتال الطائفة الباغية مشروط بالقدرة والإمكان، إذ ليس قتالهم بأولى من قتال المشركين والكفار، ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان، فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانا هي التآلف بالمال والمسالمة والمعاهدة، كما فعله النبي ﷺ غير مرة، والإمام إذا اعتقد وجود القدرة ولم تكن حاصلة كان الترك في نفس الأمر أصلح[٢].

موقف علي ﷺ من الخلفاء قبله ﷺ

موقفه من أبي بكر:

روى علي بن أبي طالب ﷺ قال: قام أبو بكر بعدما استخلف بثلاث، فقال: من يَستَقيلُني بيعتي فأقيله؟، فقلت: والله لا نقيلك، ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ[٣]، هذا كلام علي بن أبي طالب ﷺ الحكم العدل في خلافة أبي بكر، ولذلك مما قال: ... فمشيتُ عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضتُ في تلك الأحداث ـــ حروب الردة ـــ حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا

---

١) الآية (٩) من سورة الحجرات.

٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٣٦ ـــ ٤٤٢، نقلناه لنفاسته في الموضوع.

٣) السنة لأبي بكر الخلال حديث (٣٧٢) وفضائل أبي بكر للعشاري حديث (٢٠).

ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً [١]، وقال لما توفي أبوبكر ﷺ: "رحمك الله أبا بكر، كنت إلف رسول الله، وأنسه ومستراحه، وموضعا لسره ومشاورته، وأول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غنى في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقبا، وأكثرهم سوابقا، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأقربهم من رسول الله ﷺ مجلسا، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام خيرا، وعن رسول الله ﷺ خيرا، صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، فسماك الله في تنزيله صديقا فقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٢]، وواسيت رسول الله ﷺ حين تخلوا، وقمت معه عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين، وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، ومواطن الكره، خلفته في أمته بأحسن الخلافة حين ارتد الناس، وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، قويت حين ضعُف أصحابك، ونهضت حين وهنوا، وبرزت حين استكانوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هَمُّوا، وقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، مضيت بنور إذ وقفوا، فاتبعوك فهُدوا، كنت أخفضهم صوتا، وأعلاهم فوقا، وأقلهم كلاما، وأصوبهم منطقا، وأطولهم صمتا، وأبلغهم قولا، وأكبرهم رأيا، وأشجعهم نفسا، وأشدهم يقينا، وأحسنهم عقلا، وأعرفهم بالأمور، كنت والله للدين يعسوبا أولا حين نفر عنه الناس، وأخيرا حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا لعلمك بما جهلوا، شمرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت آثار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا،

---

١) نهج البلاغة ٦١.

٢) الآية (٣٣) من سورة الزمر.

كنت على الكافرين عذابا صبا، وللمسلمين غيثا وخصبا، فطرت والله بغنائها، وفزت بجبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تُفَل حجتك، ولم تضعُف نصرتك، ولم تختر نفسك، ولم يزغ قلبك، كنت كالجبل، فلا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله ﷺ: « **أمَنَّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك** » وكنت ضعيفا في بدنك، قويا في أمر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في أعين المؤمنين، كبيرا في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لأحد فيك مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حق وحتم، وأمرك حكم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأُطْفئت النيران، وقوي الإيمان، واعتدل بك الدين، وثبت الإسلام والمسلمون، وقوي الإيمان، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فسبقت والله سبقا بعيدا، وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا، وفزت بالخير، فجللت عن البكا، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره، فو الله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدا، كنت للدين عزا وحرزا وكهفا، وللمؤمنين فيئا وحصنا وغيثا، فألحقك الله بميتة نبيك، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون"، فسكت الناس حتى انقضى كلامه، ثم بكوا عليه حتى علت أصواتهم، وقالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله ﷺ [١]، وقال ﷺ: لله بلاء أبي بكر لقد قوم الأود، وداوى العلل، واقام السنة، وخلف البدعة، وذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها واتقى شرها، أدى لله طاعة واتقاه بحقه ....الخ [٢]، هذا كلام علي بن أبي طالب ﷺ، نطق بالحق في تأبين أبي بكر ﷺ، وشهد بما علم، وأنعم بشهادة من عرف لله حقه ولرسول الله حقه، ولأبي بكر حقه، وقال محمد بن

---

١) نهج البلاغة نقلا عن العواصم من القواصم ٢٧٥/١.

٢) انظر: السنة لأبي بكر بن الخلال ٢٨٤/١ ـ بتصرف ـ وانظر: الشريعة للآجري ١٧٢٥/٤ .

الحنفية رحمه الله: قلت لأبي: "يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أو ما تعرف؟! فقلت؟ لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"[1]، ولما توفي أبو بكر ؓ تزوج علي ؓ أسماء بنت عميس بعده وربا ابنه محمد صغيرا، وولاه كبيرا على مصر ونشبت بينه وبين عمرو بن العاص حرب سنة (٣٨)[2]، كان عمرو ؓ في صف معاوية ؓ، وكان الحكم مع أبي موسى ؓ فمكر بأبي موسى، وقد اتفقا على أن يخلع كل منهما صاحبه ويختار الناس، فلم يفعل عمرو ؓ، اجتهد فأخطأ، وقد ندم عند فاته ؓ فقال: "اللهم إنك أمرت عمرو بن العاص بأشياء فتركها، ونهيته عن أشياء فارتكبها، فلا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت.

قالها ثلاثا جامعا يديه معتصما بهما حتى قبض[3].

قال ابن شماسة المهري: "حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، يبكي طويلا، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟، قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: « **ما لك يا عمرو؟**» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: « **تشترط بماذا؟** » قلت: أن يغفر لي، قال: « **أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟** » وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري

---

١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ٢/٧١٠، انظر: السنة لأبي بكر بن الخلال ١/٢٩١.

٢) أنظر: سمط النجوم العوالي ٢/٤٦٣، والرياض النظرة في مناقب العشرة ١/٢٦٧.

٣) الطبقات الكبرى ط العلمية ٧/٣٤٢.

ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي"[١].

ونقول تبا لأولئك الناقمين على أبي بكر ﷺ انتصارا لإخوانهم المرتدين، مستدلين بروايات مصنوعة مزورة، معرضين عن حقائق الكتاب والسنة، موغلين في عداوة الإسلام وأهله، ومن التزوير ما جاء في كتاب التحفة الاثني عشرية: إذ حذف الشريف الرضى صاحب نهج البلاغة حفظا لمذهبه الفاسد، حذف لفظ أبي بكر وأثبت بدله: فلان، وتأبى الأوصاف إلا أبا بكر، ولهذا الإيهام اختلف الشراح، فقال البعض هو أبو بكر، وقال آخرون: هو عمر، ورجح الأكثرون الأول، وهو الحق، والعجب أن الناقمين على الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ، يفعلون ذلك بزعمهم حب آل البيت، وهم والله برآء من حب آل البيت، لأنه حب عار عن الصدق اتخذوه لغايات يسعون لتحقيقها، بدعوى الحب الكاذب، حتى صار ذلك عارا على آل البيت، قال عليّ بن الحسين رحمه الله وكان أفضل هاشمي في زمانه: "أيها الناس أحبونا بحب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا"[٢].

قلت ليس حب آل البيت عارا، ولكن لكثرة ما وضع له من الزور والكذب عليهم فردا فردا روايات لا يصدقها مجنون فضلا عن عاقل أصبح حب آل البيت عارا بسببها، ونِعْم حب آل البيت عند أهل السنة، إنه حب الإسلام الذي نشده علي بن الحسين رحمه الله.

أما الرافضة فقد أخبر بهلاكهم وضلالهم عليٌ نفسه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **« فيك مَثَلٌ من عيسى بن مريم أبغضته يهود، حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به »**.

---

١) مسلم حديث (١٩٢).

٢) آل رسول الله و أولياؤه (١ / ١٨٨).

قال: ثم قال علي ﷺ: "يهلك فيَّ رجلان: محب مطْرٍ يفرط لي بما ليس فيَّ، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني على أن يبهتني"[1].

هذا النص طابق الواقع فاليهود أبغضوا عيسى عليه السلام، ورموا أمه عليها السلام بالزنا، والخوارج أبغضوا عليا ﷺ حتى بهتوه، والنصارى أحبو عيسى عليه السلام حتى جعلوه ابن الله، والرافضة زعموا حب علي ﷺ حتى مدحوه بما ليس فيه، وألقوا عليه من صفات الإله ما شاؤوا، بل جعله النصيرية ــ وهم من الرافضة ــ إلها وعبدوه، ولذلك قال ﷺ: يهلك فيَّ رجلان: محب مطْرٍ يفرط لي بما ليس فيَّ، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني على أن يبهتني.

ومراده هاتان الفرقتان الضالتان، وهما من أهل النار، قال علي ﷺ: « **لَيَحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي، ولَيَبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي** »[2]، وقال ﷺ: « **اللهم العن كل مبغضٍ لنا، وكل محبٍ لنا غال** »[3].

موقف علي من عمر رضي الله عنهما:

دخل علي ﷺ في بيعة عمر ﷺ، وكان من أعظم أعوانه على الحق، وكان يذكره بالخير ويثني عليه في كل مناسبة، قال ﷺ: إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر، ما كنا نعدُّ أن السكينة لا تنزل إلا على لسان عمر[4]، ورفض علي ﷺ ذهاب الخليفة عمر ﷺ للاشتراك في فتح فارس خوفا على حياته، وقال له: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله تعالى الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على وعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

1) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي حديث (١٣١٩).
2) فضائل الصحابة لأحمد حديث (٩٥٢).
3) فضائل الصحابة لأحمد حديث (١١٣٦).
4) الطبراني في الكبير حديث (٨٨٠٧).

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر في الإسلام مكان النظام من الخرز، فإن انقع النظام تفرق الخرز، ورب متفرق لم يجتمع، والعرب اليوم، وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع، فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب واصلّهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها.

إن العجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استحرتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك[2]. وقلت: نعم المشير والمستشار علي ﷺ، لقد نصح لله ولرسوله ولعمر أمير المؤمنين، وللأمة كلها، سبحان الله كأنه يسمع ويرى موقف الرافضة اليوم من عمر ﷺ.

عمر ﷺ ابن بنت عمة رسول الله ﷺ، وعمة علي أيضا، سمَّى عليٌّ بعمر رضي الله عنهما، والمسمى هو عمر بن علي بن أبي طالب ولعلي منه حفيد اسمه محمد، ولمحمد حفيد اسمه عبدالله، روى عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه محمد، عن أبيه عمر، عن جده علي عدة أحاديث[3].

موقف علي من عثمان رضي الله عنهما:

إن العاقل ليعجب أشد العجب من ادعاء الرافضة أنهم شيعة علي بن أبي طالب ﷺ، وهم يتجاهلون حبه للخلفاء الثلاثة قبله: أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ، وأقواله الصحيحة الصريحة برهان يدق أنوف الرافضة، فقد قال في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: « **خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أخبرتكم بالثالث** »[4]، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « **كنا نتحدث على عهد رسول الله ﷺ: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر،**

---

١) الآية (٥٥) من سورة النور.

٢) العواصم من القواصم ١/٢٧٤، ٢٧٥.

٣) انظر المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث (٦٨٨) وما بعده.

٤) أحمد في فضائل الصحابة حديث (٤٠٨).

ثم عثمان، فيبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلا ينكره »[1]، وقال علي ﷺ: « **لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري** »[2]، وزوج عمر بنته أم كلثوم الكبرى ولدت لعمر زيدا ورقية، وقد قدمنا نص الخطبة العصماء التي أبَّنَ بها علي أبا بكر رضي الله عنهما، لأن أبا بكر كان صديق علي في عهد رسول الله ﷺ، ثم صار بعد ذلك خليفة رسول الله ﷺ، وإماما لخيار الأمة ومنهم علي ﷺ، وكذلك تمنى أن يلقى الله بمثل عمل عمر ﷺ، هذه أخوة الإسلام.

ومن حب علي للثلاثة سمى بهم أولاده، ومن أحب إنسانا أبدى تكريمه، ومن تكريم علي لأبي بكر رضي الله عنهما أنه سمى أحد أبنائه أبا بكر، فأبو بكر بن علي بن أبي طالب ﷺ، قتل مع أخيه الحسين بن علي ﷺ في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم[3].

وعمر بن علي بن أبي طالب، من نسله عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب سمى أحد بنيه أبا بكر، والآخر باسم عمر وعثمان بن علي بن أبي طالب، له رواية[4]، وتتوالى التسمية بالثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان من أبناء علي بن أبي طالب ﷺ، فالحسن بن علي ﷺ يسمي ولده أبا بكر وهو أبو بكر بن الحسن بن علي، وأمه أم ولد[5]، وسمى عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب[6]، وله منه حفيد اسمه: محمد له رواية، ولم يتخلف الحسين ﷺ عن التبرك بأسماء الثلاثة فقد سمى أبا بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب[7]، وسمى عمر بن

---

١) أحمد في فضائل الصحابة حديث (٨٥٧).

٢) أحمد في فضائل الصحابة حديث (٤٩).

٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦٨.

وانظر: الشريعة للآجري ١٧٢٥/٤.

٤) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ ٦١/١.

٥) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ٢٢٥/١.

٦) وانظر: المجالسة وجواهر العلم ١١٩/٨، .

٧) مقاتل الطالبيين ٥٩٣/١.

الحسين بن علي[١]، وله منه حفيد اسمه: علي ومن نسله: أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يروي بسند عن أبي هريرة ﷺ[٢]، وكذلك علي زين العابدين سمى، عمر بن علي زين العابدين بن الحسين[٣]، وسمى عثمان بن علي بن الحسين، له رواية عن أبيه[٤]، وكذلك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سمى أحد بنيه باسم أبي بكر وسمى ابنا آخر له باسم معاوية، ومعاوية هذا سمى أحد بنيه يزيد[٥]، فأصبح من آل هاشم معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وحفيده يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر.

نقل عبد الجبار الهمداني من كتاب: تثبيت النبوة أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي قال في كتاب النقض على ابن الراوندي: سأل شريك بن عبد الله فقال له: "أيهما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟! فقال له: نعم: من لم يقل هذا فليس شيعيا!! والله لقد رقى هذه الأعواد علي فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فكيف نرد قوله، وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذابا"[٦]، وهكذا حال الناس حتى في الكوفة، ولم ينتقض الأمر إلا بظهور دعاة الضلال، قال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله: "خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن الكوفة وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون"[٧]، فأبو اسحاق أنكر تلك

---

١) الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٧٧/١.

٢) حديث أبي القاسم عافية وغيره لأبي بكر بن المهندس ٤١/١.

٣) العواصم من القواصم ٢٧٤/١.

٤) تفسير ابن كثير ت سلامة ٤٠٣/٦.

٥) العواصم من القواصم ٢٧٤/١.

٦) العواصم من القواصم ٢٧٤/١.

٧) المنتقى من منهاج الاعتدال ٣٦٠/١.

الأقاويل، ونفى علمه بها في السابقين، وهذا ما كان عليه جميع الصحابة ﷺ، ومنهم علي ﷺ قد تواتر عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقا أنه قال: « **خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم وعمر** »[١]، ومن بعد الصحابة التابعون، قال ليث بن أبي سليم رحمه الله: "أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدا"، وقال مسروق وطاووس ــ وهما من أجل التابعين رحمهما الله: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة"[٢].

قلت: هذا موقف العالمين بقدر وفضل آل البيت، بعيدا عن الغلو والزندقة، هم شيعة الحق والهدى، ليسوا كمن رفض الحق وانتحل الكذب والزور والبهتان، وصنع من آل البيت آلهة يعبدون من دون الله ﷻ، كل ذلك من أجل الكيد لخير القرون ومن تبعهم بإحسان، أهل السنة والجماعة السائرين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، فهم الطائفة المنصورة لا يضرهم من خالفهم حتي يأتي وعد الله ﷻ.

ختم الخلافة ووحدة الأمة:

بقتل علي ﷺ وتنازل الحسن ﷺ ختمت خلافة النبوة، وختمت وحدة الأمة على المنهج النبوي، وصار للسنة مدلولان:

الأول: يطلق على المنهج المخصوص بالسلوك والاتباع لأمر الكتاب والسنة فعلا وتركا، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فلما قُتل علي ﷺ وظهرت البدعة في الدين وصار لها شيع وأنصار، وجُعل لكل شيعة منها اسم، وأُطلق على الملتزمين بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، والذين اتبعوهم لقب: أهل السنة والجماعة، فالمراد بالسنة هنا معناها اللغوي، والتعريف فيها للعهد.

الثاني: إطلاق السنة على أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وشمائله، ويطلق عند الفقهاء على ما واظب عليه ﷺ غالباً لا على سبيل الوجوب، وبالمدلول الأول اللغوي يأخذ كل من ابتدع في الدين ولهم في ذلك اصطلاحات وقواعد في إثبات

---

١) المنتقى من منهاج الاعتدال ١/٣٦١.

٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ١/٣٦١.

السنة ونفيها وتأويلها وتعارضها، كما أن للفقهاء والمتكلمين المنسوبين إلى السنة والجماعة بالمعنى الأصلي قواعد في ذلك.

ومن هنا يتبين أن ما كان عليه السلف في الصدر الأول لم يسمَّ مذهباً في الإسلام، لأنه هو الإسلام كله، وهو كلٌ لا يتجزأ، ولا يجوز أن تفترق فيه الأمة، وقد أمرنا الله ﷻ بإقامة ذلك المنهج، وهو الدين: وصيته تعالى إلى الأنبياء، ومنهم نبينا محمد ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1]، لكن من غفلة البعض سمّى ذلك مذهبا ليقابل به مذاهب المبتدعين، وكذلك مسمى السلف أو السلفية أُطلق على غير الواقع، فاعتبار مسمى "السلف" أو "السلفية" مذهبا غيرُ صحيح، الصحيح أنه دليل على التزام المنهج المخصوص بالسلوك والاتباع، المجافي للابتداع في الدين، والغلو فيه، لأن القرآن إمام رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ إمام لأصحابه ﷺ، وأصحابه أئمة لمن بعدهم، وهم التابعون رحمهم الله، هكذا أهل السنة والجماعة، كانوا متفقين هم ومن بعدهم في الرد على أصحاب الأهواء، وقد تسكع أصحاب الأهواء بآرائهم فأحدثوا بدعا مختلفة؛ جائرة عن القصد ومفارقة عن الصراط المستقيم.

فالمراد "بالسلف" أو "السلفية" الذين آثروا منهج الرسول ﷺ ولم يحيدوا عنه ولاسيما في الاعتقاد، ولذلك كبُر على المبتدعين ما دعا إليه السلفيون، أعني أهل السنة والجماعة، فسماهم الروافض النواصب بالنظر لغلو الرافضة في آل البيت، واعتدال أهل السنة والجماعة العارفين بفضل آل البيت، ووجوب محبتهم على السَّنن الصحيح، ويستمر السجال العقدي بين أهل السنة والغلاة بكل فرقهم وبدعهم المتنوعة، والتي لا تقف عند حد، حتى قام مجدد الاعتقاد في جزيرة العرب الإمام

---

١) الآية (١٥٩) من سورة الأنعام.

محمد بن عبد الوهاب رحمة الله علينا وعليه، معتمدا براهين الكتاب والسنة، لم يجاوز ما قال الله في كتابه العزيز، وما صح من سنة رسول الله ﷺ بأقسامها الثلاثة، ولاقت دعوة الإمام التصحيحية قبولا ولاسيما في جزيرة العرب، وقامت على نهج تلك الدعوة المباركة دولة التوحيد المباركة، فلم يرُقْ ذلك لأهل الأهواء ناشري الضلال، من الأئمة المضلين وأتباعهم الغوغائيين، فلقبوهم وقالوا: "وهابيون" نسبة إلى الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله علينا وعليه، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفقه على مذهب الإمام أحمد إمام أهل السنة، وفي العقيدة على اعتماد السلف منهج الكتاب والسنة الصحيحة والعمل بذلك، وكذلك الإمام محمد بن سعود على ذلك.

وبالمناسبة ما يزعم الناس من تسمية أهل السنة "بالوهابية" غلط كبير وقع فيه الأعداء، والجهال بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فالأعداء أخذوا عيوب الفرقة الوهابية أتباع إمام الإباضية بالمغرب عبد الوهاب بن رستم، وهم من الخوارج، وقد انشقت عنهم فرقة النكارية؛ لأنهم أنكروا على عبد الوهاب بن رستم، وأتباعه أمورا لم يوافقوهم فيها ١، فأخذ أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يلصقون عيوب تلك الفرقة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، واتبعهم الجهال من المسلمين، لأمور: منها العنصرية العمياء، أو السياسة الضالة، أو التدين بالبدع والخرافات، أو الجهل بكل ذلك واتباع كل ناعق.

ومن هنا تعلم عداوة المبتدعين لمنهج السلف، لأن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله علينا وعليه، أحيا منهج السلف في الاعتقاد والسلوك، فكل من يرمي متبعي هذا المنهج بلقب "الوهابية" فهو مبتدع ولا ريب، وقد فارق المنهج السوي، فالسلفيون هم الذين لا يقعون في الإفراط، ولا يقبلون التفريط، أمة وسط بين الغلاة والمفرطين.

---

١) وللمزيد أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة١/٥٩.

الحقد على الإسلام

في عهد رسول الله ﷺ:

لم يرسل الله ﷻ نبيا من الأنبياء إلا عاداه قومه، وكذبه الكثيرون منهم، إلا ما كان من أمر قوم يونس فإنهم آمنوا به ولم يكذبوه فمتعهم الله إلى حين، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]، وكذلك نبينا محمد ﷺ لم يؤمن به فئام من الناس، وإن كان المؤمنون به هم أكثر الأمم يوم القيامة، قال ﷺ: « **عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم قلت: ما هذا ؟ أمتي هذه ؟، قيل: هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب** »[2].

ومع هذه الكثرة من المؤمنين به ﷺ فإن أعداءً بقوا على مر العصور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قال ورقة بن نوفل لنبينا محمد ﷺ لما أخبره بما كان يرى: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعا، أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: « **أو مخرجي هم؟!** » فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا[3]، وفعلا كاد له كفار قريش وأخرجوه ومن آمن معه، واستقبله الأنصار في المدينة فأعزه الله ومن هاجر معه بنصرتهم ﷺ، ومع ذلك كاد له اليهود، حاولوا اغتياله حين خرج إلى بني النضير يستعينهم في عقل الكلابيين، وكانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد في قتال رسول الله ﷺ، فحضّوهم على القتال، ودلّوهم على العورة، فلما كلمهم رسول الله ﷺ في عقل الكلابيين قالوا: اجلس أبا القاسم

---

١) الآية (٩٨) من سورة يونس.

٢) البخاري حديث (٥٧٠٥).

٣) البخاري حديث (٦٥٨١).

حتى تطعم وترجع بحاجتك، ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له، فجلس رسول الله ﷺ ومن تبعه من أصحابه في ظل جدار، ينتظر أن يصلحوا أمرهم فلما جلسوا والشيطان معهم لا يفارقهم ائتمروا بقتل رسول الله ﷺ فقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن، فاستريحوا منه تأمنوا في دياركم، ويرفع عنكم البلاء فقال: رجل إن شئتم ظهرت فوق البيت ودليت عليه حجرا فقتلته، فأوحى الله إليه ﷺ فأخبره بما ائتمروا من شأنه، فعصمه الله ﷻ، فقام رسول الله ﷺ كأنه يريد يقضي حاجة، وترك أصحابه في مجلسهم، وانتظر أعداء الله فراث عليهم، وأقبل رجل من أهل المدينة فسألوه عنه فقال: لقيته قد دخل أزقة المدينة، فقالوا لأصحابه: عجل أبو القاسم أن يقيم أمرنا في حاجته التي جاء بها، ثم قام أصحاب رسول الله ﷺ فرجعوا، ونزل القرآن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، فلما أظهر الله رسوله على ما أرادوا به، وعلى خيانتهم لله ولرسوله، أمر بإجلائهم وإخراجهم من ديارهم، وأمرهم أن يسيروا حيث شاؤوا[2]، ولم تكن محاولة اغتيال رسول الله نبينا محمد ﷺ الأخيرة فقد دُس له السم في الطعام، أهدت له يهودية بخيبر شاةً مصلية سمتها فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم فقال: « **ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة** » فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية فقال: « **ما حملك على الذي صنعت؟** » قالت: "إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكا أرحت الناس منك"، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ثم قال في وجعه الذي مات فيه: « **ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان قطعت أبهري** »[3]، وهذه مكرمة لرسول الله ﷺ لينال أجر الشهيد، ولم تكن المواجهة في غزواته ﷺ إلا مع الأعداء، وأطلعه الله على من أظهر له الإيمان وأبطن الكفر، ونهاه أن يصلي على أحد مات

---

1) الآية (١١) من سورة المائدة.

2) السنن الكبير للبيهقي حديث (١٨٤٩١).

3) أبو داود حديث (٤٥١٢).

منهم، ولا يقم على قبره، فقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1] وأخبر بهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليقي أصحابه من بعده شرهم، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخشى على نفسه من ذلك، مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة رضي الله عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: أمن القوم هو؟، قال: نعم، فقال له عمر: بالله منهم أنا؟، قال: لا، ولن أخبر به أحدا بعدك[2]، وقال حذيفة رضي الله عنه: ما بقي من المنافقين إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لا يجد برد الماء من الكبر[3]، والمنافقون فضحهم الله عز وجل في كتابه العزيز، تارة بأقوالهم، وأخرى بأفعالهم، وثالثة بصفاتهم:

ومثال الأقوال: قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، ومثال الأفعال: الشنيعة أن وقف على الثنية جماعة منهم تمالأوا على أن يرجموا رسول الله ﷺ فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على أسرارهم، فانحدر رسول الله ﷺ من الثنية، وقال لصاحبيه: حذيفة وعمار: « **هل تدرون ما أراد القوم؟** » قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: « **أرادوا أن يرجموني في الثنية، فيطرحوني منها** » فقالا: "أفلا تأمرنا يا رسول الله فنضرب أعناقهم إذا اجتمع إليك الناس؟"، فقال: « **أكره أن يتحدث الناس أن محمدا قد وضع يده في أصحابه**[5] **يقتلهم** » ثم ذكر الحديث في دعائه إياهم، وأخباره إياهم بسرائرهم، واعتراف بعضهم وتوبتهم، وقبوله ﷺ منهم، قال ابن إسحاق: وأمره أن يدعو حصين بن نمير، فقال له: « **ويحك ما حملك على هذا؟** » قال: "حملني عليه أني ظننت أن الله لم يطلعك عليه، فأما إذا أطلعك الله عليه وعلمته، فإني أشهد اليوم أنك رسول الله، وأني لم أؤمن بك قط

---

١) الآية (٨٤) من سورة التوبة .

٢) مصنف ابن أبي شيبة٨/٦٣٧.

٣) عده من أصحابه بحسب الظاهر، ومعلوم أن المنافقين ليسوا من أصحابه على الحقيقة.

٤) الآية (٨) من سورة المنافقون.

٥) السنن الكبير للبيهقي٨/١٩٨.

قبل الساعة يقينا"[1]، ولم يأمر به الرسول ﷺ لأن الأمر يتعلق به شخصيا، وما كان ينتقم لنفسه ﷺ، ولأنه في حماية الله وعصمته، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2].

ومثال الصفات قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[4]، وخداع المنافقين لله وللمؤمنين إظهارهم بألسنتهم من القول والتصديق خلاف الذي في قلوبهم من الشك والتكذيب، ليتقي بذلك ما يخاف من المؤمنين، فقلوبهم مريضة بما أبطنوا من الكفر، ويرون ما يقومون به من فساد إصلاحاً، وهم قليلوا الذكر لله تعالى، ومن قلة ذلك عدم شهود صلاة العشاء والفجر، إلا نزرا، قال رسول الله ﷺ: « **إن اثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا، ولقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم الحطب، ثم أخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار** »[5]، وكذلك من صفاتهم مداومة تأخير الصلاة عن وقتها من غير عذر، قال رسول الله ﷺ: « **تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس فكانت بين قرني الشيطان أو على قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله ﷻ فيها إلا قليلا** »[6].

---

1) السنن الكبير للبيهقي ١٩٨/٨.
2) الآية (٦٧) من سورة المائدة.
3) الآيات (٩ ــ ١١) من سورة البقرة، وكذلك الآية (١٢) منها.
4) الآيتان (١٤٢، ١٤٣) من سورة النساء .
5) أخرجه البخاري ومسلم.
6) السنن الكبير للبيهقي ٤٤٤/١.

وقد يرد السؤال، لِمَ لم يأمر ﷺ بقتلهم وقد علم أنهم منافقون، والجواب: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يساره فأذن له، فساره في قتل رجل من المنافقين يستأذنه فيه، فجهر رسول الله ﷺ بكلامه فقال: « **أليس يشهد أن لا اله الا الله؟** » قال: بلى، ولا شهادة له « **قال أليس يشهد أن محمدا رسول الله؟** » قال بلى، ولا شهادة له « **قال أليس يصلي؟** » قال: بلى، ولا صلاة له « **قال أولئك الذين نهيت عن قتلهم** »[١]، فعاملهم رسول الله ﷺ بظاهر الحال، حتى لا تقع الأمة في ضلال وحرج، فالله ﷻ أخبره بالمنافقين، ولكن الأمة لن يكون لها إلا ما ظهر من حال الشخص من إقامة أركان الإسلام والإيمان ولو ظاهرا، وإلا وقعت الأمة في ضلال باتهام البريء، وعدم القدرة على تمييز المنافق من غيره، وليس للأمة إلا ما قام عليه الدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

وما أشبه الليلة بالبارحة فقد كان عمر بن الخطاب ؓ شديدا على المنافقين، لا يمنعهم منه إلا رسول الله ﷺ، ولذلك ذهل حينما سمع الناس يقولون: مات رسول الله، فقال ؓ من فرط حبه لرسول الله ﷺ وبغضه للمنافقين، وقابله المغيرة فقال: "مات رسول الله ﷺ يا عمر قال: "كذبت والله ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتى يأمر بقتل المنافقين، بل أنت تحوشك فتنة"[٢]، وهو اليوم شديد على الرافضة فلا يطيقون ذكره بخير، تضامنا مع إخوانهم الأقدمين، وتبقى العداوة من الأشرار لله ولرسوله وعباده الصالحين، ومن أشد العداوة للإسلام اليوم الرافضة فالله ﷻ يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[٣]، والرافضة من الذين أشركوا، وشرك الأئمة المضلين منهم وأتباعهم الغلاة شرك أكبر، وكتبهم مليئة بذلك وأقوالهم الشنيعة على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وذريته ؓ، وأفعالهم تقضي بأنهم مشركون.

---

١) السنن الكبير للبيهقي٣/٣٦٧.

٢) مسند إسحاق بن راهويه٣/٧٢٦، وأصله في البخاري حديث (٣٤٦٧) بلفظ: « وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ».

٣) من الآية (٨٢) من سورة المائدة.

ادعـــــاء الـنـــبـــوة:

لادعاء النبوة سببان في نظري:

الأول: زعمهم أن من ادعى النبوة إنما سلك ذلك تبعا لمن سبق، أو أنه تعلم ذلك من الكهان، أو أنه شعرٌ تلفظ به ليأخذ بألباب السامعين، فجرى المدعي على هذا الزعم.

الثاني: الرغبة في الشهرة والملك والثراء والسيادة على الناس، ولو بالدجل والكذب، وكان أول من ادعى النبوة الأسود العنسي الكاهن؛ ادعى النبوّة في اليمن واستولى على بلادها، تبعه بنو مذجح، وقاموا معه، وقائدهم سهلة بن كعب، وأخرج عمال رسول الله، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ﷺ وسادات اليمن، فأهلكه الله ﷻ على يد فيروز الديلمي بيَّته فقتله، وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل، فسر المسلمون، وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول[1]، فإيمان العنسي بنبوة نبينا محمد ﷺ لم يجاوز السببين المذكورين آنفا، وهو وهو باطل وعكسه تماما إيمان أبي مسلم الخولاني، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟، قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟، قال: نعم!، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله[2].

ولم يكن العنسي آخر من يدعي النبوة في زمن رسول الله ﷺ فمسيلمة الكذاب ادعى النبوة أيضا، وتبعه بنوا حنيفة وقاموا بأمر مسيلمة، وكتب إلى رسول الله كتابا يتضمن السبب الذي دفعه إلى ادعاء النبوة، فقال: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإن الأرض نصفها لك ونصفها لي، فأجاب ﷺ « **من محمد إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد:** ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ

---

١) تفسير الرازي٦/٨٠.

٢) نظم الدرر للبقاعي٥/٣١٣، وإمتاع الأسماع ١٤/٢٢٤.

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾١، وكان مسيلمة يقول: محمد رسول قريش، وأنا رسول بني حنيفة، فأنزل الله ﷻ فيه وفي العنسي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾٢، وقال رسول الله ﷺ: « **بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا علي فأوحي الي أن انفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة** »٣، وتوفي رسول الله ﷺ ومسيلمة لا زال يدعي لنفسه النبوة، وتبعه فئام من قومه، وكذلك طليحة بن خويلد الأسدي أصابه الطمع فزعم أنه نبي، وآمن به قومه، بنو أسد، هذه الأحداث الثلاث كانت رأس الفتنة والحقد على الإسلام، أهلك الله العنسي ومن تبعه في حياة رسول الله ﷺ، وبقيت فتنة مسيلمة، وطليحة قائمة إلى أن ولي أبو بكر ﷺ الخلافة٤.

في عهد أبي بكر ﷺ

وإذا كان عهد رسول الله ﷺ لم يسلم من محاولات الكيد للإسلام، وإثارة الفتنة ضد ما جاء به رسول الله ﷺ، فلا غرو أن يُدلي الأشرار بأفكارهم، وهم أعداء الإسلام وقد تنفسوا الصعداء بانتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد جرحوا الجسد الإسلامي، وربما آلموه أحيانا كثيرة، وأنَّى لهم القضاء عليه، تدور عليهم الدوائر، وكل عمل أتوه فهو خاسر بائر، فالمرتدون بعد وفاة رسول الله ﷺ، لم يكن الإيمان رسخ في قلوبهم، فكان الشك في صدق رسول الله ﷺ لا زال يراودهم، فلما توفي رسول الله ﷺ، خرجت الأفعى من حجرها، جاهدة تبث سمومها لتقتل الجسد

---

١) الآية (١٢٨) من سورة الأعراف، وانظر تفسير اللباب لابن عادل٦/١٢١.

٢) الآية (٩٣) من سورة الأنعام.

٣) البخاري حديث (٤٣٧٥).

٤) بتصرف انظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/١٠٣ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٤٠.

الإسلامي، وقد أدرك ذلك أبو بكر، وأعيان الصحابة من المهاجرين والأنصار ﷺ، قام مالك بن التيهان الأنصاري حتى وقف على قومه، فقال: "يا معشر الأنصار، أنصتوا واسمعوا مقالتي، وتفهموا ما ألقيه إليكم، اعلموا أنه قد شمتت اليهود والنصارى بموت نبينا محمد ﷺ، وقد ظهرت حسيكة أهل الردة، وعُظْم المصائب علينا أن مسيلمة الكذاب خرج بأرض اليمامة يرعد ويبرق، وقد تعلمون أنه كان يدعي النبوة في حياة نبينا ﷺ، والآن قد بلغني أن طليحة بن خويلد الأسدي أيضا قد ادعى النبوة ببلاد نجد، وأنا والله خائف على قبائل العرب أن ترتد عن دين الإسلام، فإن لم يقم بهذا الأمر رجل من بني هاشم، أو رجل من قريش فهو والله الهلاك والبوار"، وقد همت أكثر القبائل بالردة، بل أعلن بعضها عدم دفع الزكاة: الركن الثالث من أركان الإسلام، واجتمعت بنو حنيفة إلى مسيلمة الكذاب بأرض اليمامة، فقلدوه أمرهم وادعى أنه نبيهم، فارتدت بنو أسد ورأسوا على أنفسهم طليحة بن خويلد الأسدي، وهو الذي ادعى النبوة في أرض بني أسد، وارتدت فزارة ورأسوا عليهم عيينة بن حصن الفزاري، وارتدت بنو عامر وغطفان، ورأسوا على أنفسهم قرة بن سلمة القشيري، وارتدت بنو سليم ورأسوا على أنفسهم الفجاءة بن عبد ياليل السلمي، وارتدت طائفة من بني تميم ورأسوا عليهم امرأة يقال لها سجاح.

وبلغ ذلك أبا بكر ﷺ فاغتم، بادر إلى المسجد فنادى في العرب، فقام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إنما أنا رجل منكم أغني ما تغنون، وأحامي كما تحامون، وأنتم شركائي في هذا الأمر"، دارت الشورى بين موافق على القتال ومخالف، ولكن الله سلم وجعل الناس يجتمعون إلى أبي بكر ﷺ، من كل ناحية، ويتقربون إليه، وإلى الله تعالى بقتال أهل الردة، فقد برئ الله منهم لرجوعهم عن دين الإسلام، ومنعهم الزكاة، وعزم أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ على أن يوجه إليهم بخالد بن الوليد في المهاجرين والأنصار، فكانوا سيفه القاطع، ورمحه النافذ، وسهمه الصائب ﷺ.

ضج المسلمون إلى أبي بكر ﷺ، وقالوا: "يا خليفة رسول الله ﷺ، ألا تسمع إلى ما قد انتشر من ذكر هذا الملعون الكذاب بأرض اليمامة؟!، فقال أبو بكر ﷺ: لا

تعجلوا، فإني أرجو أن يكون الله تبارك وتعالى قد أذن بهلاكه، ثم كتب أبو بكر ﷺ إلى خالد بن الوليد، وهو يومئذ مقيم في البطاح: « بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عثمان، خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، أما بعد: يا خالد، فإني قد أمرتك بالجد في أمر الله، والمجاهدة لمن تولى عنه إلى غيره، ورجع عن دين الإسلام والهدى، إلى الضلالة والردى، وعهدي إليك يا خالد أن تتقي الله وحده لا شريك له، وعليك بالرفق والتأني".

هذا في شأن مسيلمة الكذاب مدعي النبوة في عهد رسول الله ﷺ لم يتم القضاء عليه، نعق الغراب فتبعه كل غراب، إلا من تاب بعد ذلك وأناب، لما قام لهم السيف والكتاب، والسنة وفصل الخطاب، جيَّشَ لهم أبو بكر خليفة رسول الله، من خيرة الأصحاب من أذلهم فقُتل من قُتل، وعاد منهم من عاد إلى الحق والصواب.

بعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما، فقتل مسيلمة الكذاب، وقاتل بني حنيفة وأهل الردة وأطاعوه، وكان عامر بن الطفيل الدوسي[1]، من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد [2].

دعا أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما، فعقد له عقدا، وضم إليه الجيش، ثم قال: "يا خالد، سر نحو طليحة بن خويلد الأسدي ومن معه من بني أسد وغطفان وفزارة، وانظر إذا وصلت إلى القوم ونزلت بديارهم وسمعت أذانا، فلا تقاتلن أحدا حتى تعذر إليهم وتنذرهم، ثم دسس إلى أمرائهم وأشرافهم فأعطهم من المال على أقدارهم، وانظر إذا وافيتهم، فلا تنزلن بهم نهارا فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزل بهم ليلا عند وقت نومهم، ثم ارعوا إبلكم وحركوا أسلحتكم، وهولوا عليهم ما قدرتم، وإن أظفركم الله بطليحة بن خويلد وأصحابه، فسر نحو البطاح من أرض تميم، إلى مالك بن نويرة، وأصحابه ولعلي آتيك من ناحية أخرى إن قدرنا على ذلك، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

---

١) بتصرف، انظر: فتوح الشام١/٥، ١٩٩.

٢) هذا في نظري خطأ، إنما هو الطفيل بن عمرو، وقد بينت ذلك في كتابي الجوس في من نسب إلى دوس.

فقال خالد: "يا خليفة رسول الله، فإذا أنا وافيت القوم، فإلى ما أدعوهم؟، قال: ادعهم إلى عشر خصال، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والطاعة، والجماعة"، ثم كتب إليهم أبو بكر رضي الله عنه[١].

ولقي خالد رضي الله عنه القوم ومنهم طليحة وقومه، فانهزم طليحة إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه، أحرم بالحج، فرآه عمر، فقال: "إني لا أحبك بعد قتل الرّجلين الصّالحين: عكّاشة بن محصن، وثابت بن أقرم"، وكانا طليقين لخالد، فلقيهم طليحة وسلمة فقتلاهما، فقال طليحة: "هما رجلان أكرمهما اللّه بيدي ولم يهني بأيديهما"[٢].

فالردة كانت من أعظم ما حدث بعد موت رسول الله ﷺ وكان أمرها عظيما، ووقتها عصيبا، فالمرتدون على أحوال:

منهم من كان حديث عهد بإسلام فكان من السهل أن تجتاحه الفتنة، ويُلم به هاجس الشيطان، فوقعت منه الردة.

ومنهم من منع الزكاة ولم يرتد عن الشهادتين وبقية فرائض الإسلام، وتأول قول الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]، فقال: كنا ندفعها لرسول الله ﷺ، لأن الله أمره أن يأخذ من أموالنا صدقة يطهرنا بها، ويصلي علينا ــ يدعو لهم ــ فصلاته سكن لنا، وليس ذلك لأبي بكر.

ومنهم من ارتد طمعا في السيادة والملك.

وعلى هذا أكثر قبائل العرب إلا من ادعى فيهم النبوة وصدقوه ولو ظاهرا، كقوم سجاح بنت المنذر، وقيل بنت الحارث التميمي[٤]: الكاهنة تنبأت وزوجت نفسها من مسيلمة، في قصة شهيرة، وصح أنها أسلمت بعد وحسن إسلامها.

---

١) بتصرف، انظر: كتاب الردة للواقدي ١/٤٩، ٥٠، ٦٥، ٧١، ٧٠، ١١٢.

٢) بتصرف انظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/١٠٣ والإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٤٠.

٣) الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

٤) وقيل: سجاح بنت الحارث التغلبية، كانت من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة بعد موت الرسول ﷺ، فالتف حولها أناس كثير من قومها ومن غيرهم، وغزت بهم القبائل المجــاورة،

فكان الكتاب والسنة لهم بالمرصاد، أنفذ أبو بكر الصديقﷺ: خليفة رسول الله ﷺ جيشا لمحاربتهم، مع أنه لم يعلم عنهم الامتناع عما سوى الزكاة من فرائض الإسلام، لكن الإخلال بركن واحد من أركان الإسلام إخلال بالكل، ولذلك قال أبو بكرﷺ: "**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه**" فقال عمر: "فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق" وفي رواية "عناقا" وهو أصح١.

فبفضل الله ثم بجهود أبي بكر، والصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان عاد الأمر إلى نصابه، ومع ذلك بقيت لعمر ومن بعده بقية فتن، والله المستعان.

في عهد عمر ﷺ

لم تكن الردة قاصرة على ما سبق بل لعهد أمير المؤمنين عمر الفاروق نصيب من ذلك وإن قلّ، فقد ارتد في عهده ﷺ بنوا غسان قوم جبلة بن الأيهم، قاتل عامر بن الطفيل الدوسي، وابنه جندب٢ في معركة اليرموك، وكان تنصر ولحق بالشام هو وقومه، ومات على ردته، وقيل: إنه أسلم، ويروى أن عمر ﷺ كتب إلى أحبار الشام لما لحق بهم كتاباً فيه: إن جبلة ورد إليَّ في سراة قومه، فأسلم فأكرمته ثم سار إلى مكة فطاف فوطئ إزاره رجل من بني فزارة فلطمه جبلة، فهشم أنفه وكسر ثناياه، وفي رواية قلع عينه فاستعدى الفزاري على جبلة إليّ، فحكمت إما بالعفو وإما بالقصاص، فقال: أتقتص مني وأنا ملك وهو سوقة ؟!، فقلت: شملك

حتى وصلت إلى بني تميم، فاصطلحوا معها، وسارت حتى وصلت اليمامة، والتقت بمسيلمة وصدقته وتزوجها، ولما قتل مسيلمة رجعت إلى بلادها وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت بعد ذلك إلى البصرة وماتت بها، أشراط الساعة١/٦٦.

١) البخاري حديث (٧٢٨٤) ومسلم حديث (٢٢) .

٢) هكذا ورد ذكرهما في فتوح الشام، ولعل اشتباها وقع بالطفيل بن عمرو، وابنه عمرو، أوضحت ذلك في كتاب الجوس في من إلى دوس.

وإياه الإسلام، فما تفضله إلا بالعافية، فسأل جبلة التأخير إلى الغد فلما كان من الليل ركب مع بني عمه ولحق بالشام مرتداً، وروي أنه ندم على ما فعله وأنشد[1]:

تنصرت بعد الحق عارا للطمة * ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر**

فأدركني منها لجاج حمية * فبعت لها العين الصحيحة بالعور**

فياليت أمي لم تلدني وليتني * صبرت على القول الذي قاله عمر**

لم نسمع بمدع للنبوة في عهد الفاروق عمر ﷺ والذي يظهر أن الإسلام بعد حروب الردة وقر في قلوب الناس، ولسطوة عمر وقوته دور في تثبيت الحق، فقد كان سيفا للحق مصلتا على رقاب الزنادقة، وكم كان يقول لرسول الله ﷺ: "**دعني اضرب عنقه فإنه منافق**" وهو الرجل الذي استجاب الله دعوة نبيه فيه حين قال ﷺ: « **اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام** »[2]، فكان عمر ﷺ هو عز الإسلام، وكان أبو جهل عدو الإسلام، وهو ابن عم أم عمر بن الخطاب، وكذلك خالد بن الوليد رضي الله عنهما.

لم يكن عمر جبارا بل باحثا عن العدل، مناصرا للحق، وقافا عنده لا يعدوه إلى غيره، ولما كثر المسلمون في عهد عمر ﷺ ضاق بهم المسجد، فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور، إلا دار العباس بن عبد المطلب ﷺ، وحجر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقال عمر للعباس: "يا أبا الفضل إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل، نوسع به على المسلمين في مسجدهم إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسع بها في مسجدهم، فقال العباس: ما كنت لأفعل، قال فقال له عمر: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، وإما أن أخططك حيث شئت من المدينة وابنيها لك من بيت مال المسلمين، وإما أن تصدق بها على المسلمين فنوسع بها في مسجدهم، فقال: لا ولا واحدة منها، فقال عمر: اجعل بيني وبينك من شئت، فقال: أبي بن كعب"، فانطلقا إلى أبي فقصا عليه القصة فقال أبي: "إن شئتما حدثتكما

---

1) تفسير الألوسي٥/٢١.

2) الطبقات لابن سعد٣/٢٤٢.

بحديث سمعته من النبي، ﷺ، فقالا: حدثنا، فقال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول إن الله أوحى إلى داود أن ابن لي بيتا أذكر فيه، فخط له هذه الخطة بيت المقدس، فإذا تربيعها بيت رجل من بني إسرائيل، فسأله داود أن يبيعه إياه فأبي، فحدث داود نفسه أن يأخذ منه، فأوحى الله إليه أن يا داود أمرتك أن تبني لي بيتا اذكر فيه، فأردت أن تدخل في بيتي الغصب وليس من شأني الغصب، وإن عقوبتك أن لا تبنيه، قال: يا رب فمن ولدي؟، قال: من ولدك"، قال فأخذ عمر بمجامع ثياب أبي بن كعب وقال: "جئتك بشيء فجئت بما هو أشد منه، لتخرجن مما قلت، فجاء يقوده حتى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم أبو ذر فقال: إني نشدت الله رجلا سمع رسول الله ﷺ، يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكره".

فقال أبو ذر: "أنا سمعته من رسول الله ﷺ، قال آخر: أنا سمعته، وقال آخر أنا سمعته، يعني من رسول الله، ﷺ، قال: فأرسل عمر أبيا، قال: وأقبل أبي على عمر فقال: يا عمر أتتهمني على حديث رسول الله، ﷺ؟ فقال عمر: يا أبا المنذر، لا والله ما أتهمتك عليه، ولكني كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهرا، قال: وقال: عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك في دارك، فقال العباس: أما إذ فعلت هذا فإني قد تصدقت بها على المسلمين، أوسع بها عليهم في مسجدهم، فأما وأنت تخاصمني فلا، قال: فخط عمر لهم دارهم التي وبناها من بيت مال المسلمين"[١]، الله أكبر أي عدل هذا، وأي بحث عن الحق، والتزام به عند ظهوره، إن هذا نتاج مدرسة محمد ﷺ.

لكن يبقى الحاقدون على الإسلام يمارسون ما تهوى أنفسهم من الضلال، والانتقام للجاهلية الجهلاء، فيظهر الحقد المجوسي منتقما.

الحقد المجوسي:

علمنا من تأويل رسول الله ﷺ رؤياه، ورؤى الأنبياء حق، قال ﷺ: « **رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف**

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد٤/٢٢.

والله يغفر له ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربا فلم أر عبقريا في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن »[1]، قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما، وحسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبي ﷺ هو صاحب الأمر فقام به أكبر قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأنزل الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[2]، ثم توفي ﷺ فخلفه أبو بكر ﷺ سنتين وأشهرا، وهو المراد بقوله ﷺ ذنوبا أو ذنوبين ـ وهذا شك من الراوي ـ والمراد ذنوبان، كما صرح به في الرواية الأخرى، وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم، واتساع ملك الإسلام، ثم توفي فخلفه عمر ﷺ، فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبَّر بالقليب عن أمر المسلمين، لما فيها من الماء الذي به حياتهم وصلاحهم، وشبَّه أميرهم بالمستقى لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم، وتدبير أمورهم.

وأما قوله ﷺ في أبي بكر ﷺ: وفي نزعه ضعف، فليس فيه حطّ من فضيلة أبي بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال وغيرها، والفتوحات، ومصَّرَ الأمصار، ودوَّنَ الدواوين.

وأما قوله ﷺ: **والله يغفر له،** فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة، وقد سبق في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها: افعل كذا والله يغفر لك.

قال العلماء: وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها، وانتفاع المسلمين بها[3].

---

1) البخاري حديث (٣٦٣٣).

2) من الآية (٣) من سورة المائدة .

3) مسلم حديث (٢٣٩٢) تعليق محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

هذا ما أثار الحقد المجوسي، ولاسيما فتح بلاد فارس، وتطهيرها من عبادة غير الله ﷻ، فحرك المجوس أصابعهم، واستطاعوا بقدر من الله ﷻ أن يصلوا إلى رمز الإسلام عمر بن الخطاب بتحريك ذلك العلج المجوسي ليقضي الله أمرا كان مفعولا، كان أبو لؤلؤة المجوسي أشقى الخلق بما أقدم عليه من قتل عمر بن الخطاب، وكان أبو لؤلؤة المجوسي مملوكا للمغيرة، وكان قتلُه عمر مؤامرة منه مع غيره من المجوس الأسرى، الذين جيء بهم أسرى إلى المدينة[1]، فقال: إن المغيرة قد جعل عليَّ من الخراج ما لا أطيق، قال: كم جعل عليك ؟ قال: كذا وكذا، قال: وما عملك ؟ قال: أجوب الأرجاء[2]، قال: وما ذاك عليك بكثير، ليس بأرضنا أحد يعملها غيرك، ألا تصنع لي رحى؟، قال: "بلى والله، لأجعلن لك رحى يسمع بها أهل الآفاق"، فخرج عمر إلى الحج، فلما صدر اضطجع بالمحصب، وجعل رداءه تحت رأسه، فنظر إلى القمر فأعجبه استواؤه وحسنه، فقال: "بدأ ضعيفا ثم لم يزل الله يزيده وينميه حتى استوى، فكان أحسن ما كان، ثم هو ينقص حتى يرجع كما كان، وكذلك الخلق كله"، ثم رفع يديه فقال: "**اللهم إن رعيتي قد كثرت وانتشرت فاقبضني إليك غير عاجز ولا مضيع**" فصدر إلى المدينة فذُكر له أن امرأة من المسلمين ماتت بالبيداء، مطروحة على الارض يمر بها الناس لا يكفنها أحد، ولا يواريها أحد حتى مر بها كليب بن البكير الليثي، فأقام عليها حتى كفنها وواراها، فذكر ذلك لعمر فقال: "من مر عليها من المسلمين؟"، فقالوا: لقد مر عليها عبد الله بن عمر فيمن مر عليها من المسلمين، فدعاه وقال: "ويحك! مررت على امرأة من المسلمين مطروحة على ظهر الطريق، فلم توارها ولم تكفنها؟، قال: ما شعرت بها ولا ذكرها لي أحد، فقال: لقد خشيت أن لا يكون فيك خير، فقال: من واراها وكفنها ؟ قالوا: كليب بن بكير الليثي، قال: والله لحري أن يصيب كليب خيرا"، فخرج عمر يوقظ الناس بدرته لصلاة الصبح، فلقيه الكافر أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات بين الثنة والسرة، وطعن كليب بن بكير فأجهز عليه، وتصايح الناس، فرمى رجل على رأسه ببرنس ثم اضطبعه إليه، وحمل عمر إلى الدار

---

١) مصنف ابن أبي شيبة٨/٥٧٦.

٢) جمع رحى، فهو يقطعها من الحجارة، ويصنعها.

فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس، وقيل لعمر: الصلاة فصلى وجرحه يثعب، وقال: "لا حظ في الاسلام لمن لا صلاة له" فصلى ودمه يثعب، ثم انصرف الناس عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه ليس بك بأس، وإنا لنرجو أن ينسئ الله في أثرك ويؤخرك إلى حين، أو إلى خير، فدخل عليه ابن عباس وكان يعجب به، فقال: "اخرج فانظر من صاحبي؟" ثم خرج فجاء فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، صاحبك أبو لؤلؤة المجوسي: عبد المغيرة بن شعبة، فكبر حتى خرج صوته من الباب، ثم قال: "الحمد لله الذي لم يجعله رجلا من المسلمين، يحاجني بسجدة سجدها لله يوم القيامة" ثم أقبل على القوم فقال: "أكان هذا عن ملإ منكم؟" فقالوا: معاذ الله، والله لوددنا أنا فديناك بآبائنا، وزدنا في عمرك من أعمارنا، إنه ليس بك بأس، قال: "أي يرفأ، ويحك، اسقني" فجاءه بقدح فيه نبيذ حلو فشربه، فألصق رداءه ببطنه، قال: فلما وقع الشراب في بطنه خرج من الطعنات، قالوا: الحمد لله، هذا دم استكن في جوفك، فأخرجه الله من جوفك، قال: أي يرفأ، ويحك، اسقني لبنا، فجاء بلبن فشربه، فلما وقع في جوفه خرج من الطعنات، فلما رأوا ذلك علموا أنه هالك، قالوا: جزاك الله خيرا، قد كنت تعمل فينا بكتاب الله، وتتبع سنة صاحبيك، لا تعدل عنها إلى غيرها، جزاك الله أحسن الجزاء، قال: "بالإمارة تغبطونني، فو الله لوددت أني أنجو منها كفافا لا علي ولا لي، قوموا فتشاوروا في أمركم، أمروا عليكم رجلا منكم، فمن خالفه فاضربوا رأسه" قال: فقاموا وعبدالله بن عمر مسنده إلى صدره، فقال عبدالله: "أتؤمرون وأمير المؤمنين حي؟"، فقال عمر: "لا، وليصل صهيب ثلاثا، وانتظروا طلحة، وتشاوروا في أمركم،" قال: "اذهب إلى عائشة فاقرأ عليها مني السلام، وقل: إن عمر يقول: إن كان ذلك لا يضر بك ولا يضيق عليك، فإني أحب أن أدفن مع صاحبي، وإن كان يضربك ويضيق عليك، فلعمري لقد دفن في هذا البقيع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين من هو خير من عمر" فجاءها الرسول فقالت: "إن ذلك لا يضر ولا يضيق عليّ" قال: "فادفنوني معهما" قال عبدالله بن عمر: "فجعل الموت يغشاه وأنا أمسكه إلى صدري" قال: "ويحك ضع رأسي بالأرض" قال: "فأخذته غشية فوجدت من ذلك"

فأفاق فقال: "ضع رأسي بالأرض" فوضعت رأسه بالأرض فعفره بالتراب فقال: "ويل عمر وويل أمه إن لم يغفر الله له".
قال محمد بن عمرو: وأهل الشورى: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف ﷺ١.
وأخيرا تحققت الشهادة لعمر ﷺ أخبر بها رسول الله ﷺ وتقدم بيان ذلك.

في عهد عثمان ﷺ:

كانت المؤشرات من رسول الله ﷺ أن عهد عثمان ﷺ منذر بخطر، كما تقدم وقد نبتت في عهده ﷺ الفتنة التي طار شررها شيئا فشيئا حتى عم الأمصار الإسلامية، وافترقت الأمة بسبب ذلك فرقا أصولها ثلاث وسبعون فرقة، وهي اليوم أكثر من ذلك، فأول ما ظهر وميض الفتنة في مجلس سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة، وذلك على أثر كلام دار في مجلسه، كان من الحاضرين فيه الأشتر، وابن ذي الحبكة، وابن الكواء، وغيرهم، وعدتهم بضعة عشر رجلا، تألبوا على عصبية أثاروا بذلك أقوالا على سعيد بن العاص، فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم فكتب: "إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية" ٢.
وكتب عثمان إلى معاوية: "إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة، فارعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشدا فأقبل منهم، وإن أعيوك فارددهم عليهم" ٣.
فلما قدموا على معاوية ﷺ رحب بهم واحتفى بهم، وذكَّرهم فضل قريش في العرب، وقد بلغه أنهم ينقمون من قريش، فذكّرهم بالإسلام ووعظهم، فلم يرق لهم

---

١) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٥٨١ ــ ٥٨٢.
٢) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٦.
٣) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٧.

ما قال معاوية ﷺ في مدح قريش، وقال أحدهم: "أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا" ١.

فقال معاوية: "عرفتكم الآن، علمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا، أُعظِّم عليك أمر الإسلام، وأذكّرك به، وتذكّرني الجاهلية، وقد وعظتك" ٢. ثم قال ﷺ: "إن قريشا لم تُعَز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله ﷻ، لم تكن بأكثر العرب، ولا أشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم أنسابا، وأعظمهم أخطارا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يُستذل من أعز، ولا يوضع من رفع، فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم، هل تعرفون عربا، أو عجما، أو سودا، أو حمرا، إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة، إلا ما كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا، وسوء مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحابا، فكان خيارهم قريشا، ثم بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله، أَفَتراه لا يحطوهم وهم على دينه، وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم! أفٍ لك ولأصحابك!" ٣.

أذن لهم معاوية ﷺ بعد كلام طويل اقتبسنا منه ما تقدم، وقال ﷺ: "اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم" ٤، وهؤلاء هم أول الخوارج.

كتب معاوية ﷺ إلى عثمان ﷺ، مبينا ضلالهم وفساد معتقدهم، وأن الله سيفضحهم، ويكشف أسرارهم، وتمادى القوم في طلب الفتنة، فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: "أيها الناس إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم، وردّ أولي البلاء

١) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٧.
٢) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٧.
٣) نهاية الأرب في فنون الأدب (١٩/ ٤٦٣، والفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٨.
٤) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٣٩.

منكم إلى ألفين، ويزعم أنّ فيكم بستان قريش" فاستخف النّاس، وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يسمعون منهم[١].

وهكذا تدرج طلب الفتنة، ومن طلابها الأشتر ومن سايره، ولاسيما بعد وقوفه على باب المسجد معلنا ذلك الخبر المكذوب، وأخذ شرر الفتنة يتناثر، حتى أسعرها عدو الله ورسوله عبدالله بن سبأ لعنه الله، ولعن من والاه، فإنه يهودي من أهل صنعاء، أمه سوداء أظهر الإسلام زمان عثمان ﷺ، وأبطن الكفر والحقد على الإسلام، وتنقل في بلدان المسلمين ينشر الضلال، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: "لَعجبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويُكذِّب بأن محمدا يرجع وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٢]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى" فقُبل ذلك عنه، رغم أنه استدلال باطل، ووضع لهم عقيدة الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: "إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصى محمد، ثم قال: محمد خاتم الانبياء، وعلي خاتم الأوصياء" ثم قال بعد ذلك: "من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ" وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: "إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، واظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر"[٣].

هكذا سمى ضلاله أمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وما هو إلا أمر بالمنكر، وهو الحقد على الإسلام، وتفكيك جماعة المسلمين، وشرذمتهم لتضعف شوكتهم، ويسهل القضاء عليهم، ونهي عن المعروف، والمنكر عنده الإسلام برمته، واجتماع المسلمين على الكتاب والسنة، نشر ابن السوداء الفتنة بين المسلمين،

---

١) الفتنة ووقعة الجمل ١/ ٤٥.

٢) من الآية (٨٥) من سورة القصص .

٣) الفتنة ووقعة الجمل ١/٤٩.

فتجول في الأمصار، ولم يسلم من شره بادئ ذي بدء إلا المدينة، كان نشاطه في مصر، والبصرة والكوفة، وتجول في الأعراب، وكان الكذب والتزوير مطيته للوصول إلى قلوب الناس، والتأثير عليهم بحب آل البيت، ونصرة علي بن أبي طالب الخليفة الراشد ﷺ، وزعم أن عثمان ﷺ لا حق له في الخلافة، فاجتمع له عدد من الناس، أشعل بهم الفتنة، فاتّهم ولاة عثمان على الأمصار بكتب مزورة يرسلها من مصرٍ إلى مصرٍ، استفسد بها الكثيرين من الناس، وتعاونوا على الإثم والعدوان، حتى استمالوا بعض من بعثه عثمان لمعرفة حقيقة الأمر، ونتج عن جهود ابن السوداء المعروف بعبدالله بن سبأ انشقاق فرقتين من المسلمين، فرقة أخذت برأيه في عثمان ﷺ وهم الخوارج، والفرقة الثانية أخذت برأيه في الرجعة والوصية وهم الرافضة.

فتنة الخلاف

لا نشك في أن أتباع المصطفى ﷺ على درجات متفاوتة في فهم الإسلام وتطبيقه، منذ عهد الصحابة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونعلم أن الأفهام تختلف، ويقبل منها في أحيان، لكنها مقيدة بعدم مصادمة الإسلام، ونريد بالإسلام ما قام البرهان عليه من الكتاب العزيز، وصحيح السنة النبوية، وما أجمع عليه علماء الأمة، وقد تعددت الأفهام من أصحاب رسول الله، فالإنفاق في سبيل الله مثلا: فهم منه أبو بكر ﷺ أنه دفع المال كاملا، وفهم عمر بن الخطاب ﷺ أنه نصف المال، وفهم أبو ذر ﷺ أن ما يزيد عن القوت اليومي يجب إنفاقه، هذا اجتهاد من كل منهم ﷺ، والدافع إليه حب الخير والتنافس في نصرة الإسلام، والمستند في هذا عموم قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، فالمسارعة في العبادات البدنية والمالية، وما هو مشترك بينهما كالحج والعمرة مطلوب بعموم هذه الآية الكريمة، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[2]، وهذا حث على إنفاق ما هو نفيس في طاعة الله، لأن الردي لا ينبغي التقرب به إلى الله مع

---

١) الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

٢) الآية (٩٢) من سورة آل عمران.

وجود الطيب النفيس، وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾١، كل هذا من أجل التنافس في الخير، وإن اختلفت الآراء في نوع المنافسة والتفاوت فيها، فهذا التفاوت لا يشقي أصحابه، ما داموا يدورون في فلك الإسلام، ولم تفرقهم الأفهام في أصول الدين وقواعده الكلية، كالأئمة الأربعة رحمهم الله، ومن نهج نهجهم، في البناء على الأدلة والبراهين، والاستنباط منها، فلا يبعدهم عن الإسلام ما وقع بينهم من الخلاف في الفروع، هذا ما درجت عليه الأمة في القرون المفضلة، مجتمعة على الإسلام، قامعة لكل من يثير الخلافات الهدامة، والتي يقصد منها إثارة الشبه، ولذلك وصفت هذه القرون بأنها خير القرون، يقول رسول الله ﷺ: « **خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ». قال عمران ﷺ: لا أدري، أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، وقال النبي ﷺ: « **إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**)٢، وهذه الخيرية أساسها دعوة رسول الله ﷺ للأنصار، وأبناء الأنصار٣، فإن الخير فيهم وفي عقبهم موجود بدعوة رسول الله ﷺ، وغير معدوم في المهاجرين وأبنائهم وأبناء أبنائهم، ولا في غيرهم من الذين أتوا من بعدهم وهم يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾٤، وعلى هذا تأسست قوة الإسلام، وتماسك بنيانه، وتوحدت أفكار المسلمين.

وعلى هذا الأساس فإن كل خلاف يقع بين المؤمنين لا يعدو البحث عن الحق؛ فإذا ظهر الحق إلتأم الشمل وزال الخلاف، وعلى هذا ما جرى بين المهاجرين والأنصار ﷺ في سقيفة بني ساعدة حسم الأمر لما ظهر الحق، وكذلك خلاف الصحابة ﷺ في قتال أهل الردة لما ظهر الحق إلتأم الشمل وتوحدت الكلمة، في وصية أبي بكر بالخلافة لعمر لما بان الحق رجع من تخوف من شدة عمر، وعلم أن أبا بكر ما أراد إلا العدل، والخير للأمة؛ فإنه عليم بفضل عمر، ولم تكن شدته

---

١) الآية (٢٦١) من سورة البقرة.

٢) أخرجه البخاري، حديث (٢٦٥١) ومسلم حديث (٢٥٣٥).

٣) أنظر : المعجم الكبير للطبراني حديث (٤٩ ، ٧٢).

٤) من الآية (١٠) من سورة الحشر.

إلا في إحقاق الحق، وقمع الباطل، وإذا كان بعض الصحابة شارك في الخلاف على عثمان، فإنه لِما وقع من استغلال من غير الصحابة، قال أبو جعفر القارئ مولى ابن عباس: "كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة، رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والذين قدموا من الكوفة مائتين، رأسهم مالك الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مائة رجل رأسهم حكيم بن جبلة العبدي، وكانوا يدا واحدة في الشر، وكان حثالة من الناس قد ضووا إليهم، قد مزجت عهودهم وأماناتهم، مفتونون، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين خذلوا عثمان كرهوا الفتنة، وظنوا أن الأمر لا يبلغ قتله، فندموا على ما صنعوا في أمره، ولعمري لو قاموا أو قام بعضهم فحثا في وجوههم التراب لانصرفوا خاسرين"[1]، على أن الذين كرهو الفتنة ووقفوا على الحياد هم عدد غير قليل؛ قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين"[2].

قلت: هذه شهادة موثقة بكبار الأئمة، تكتب بماء الذهب لصحتها، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقته[3]، ولكن تقدم أن من حضر للدفاع عن عثمان ﷺ كانوا ستمائة، فلعل الغالب من غير الصحابة، فنلاحظ أن الذين وقفوا مع عثمان ﷺ وكانوا على استعداد للدفاع عنه؛ لأنهم عرفوا أن من قدم من مصر والكوفة والبصرة ما هم إلا خوارج الفتنة من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة، فهم يريدون قتل عثمان أو تسفك دماء دونه، لذلك عزم عثمان عليهم بعدم القتال دفاعا عنه، جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال له: "إن الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصارا لله مرتين" فقال عثمان: "أما القتل فلا" وقال: "أنا

---

١) الطبقات الكبرى ٣/٧١.

٢) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان ١/٧.

٣) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان ١/٧.

أكلهم إلى الله ولا أقاتلهم؛ فإن ذلك أعظم لحجتي عليهم" وقال ﷺ: "أعظمكم عني غناءً رجل كف يده وسلاحه" وقال أبو هريرة ﷺ: "كنت في الدار يوم قتل عثمان فسمعته يقول: عزمت على من رأى لنا عليه سمعا وطاعة أن يلقي سلاحه، فألقى القوم أسلحتهم إلا مروان فإنه قال: وأنا أعزم على نفسي ألا ألقي سلاحي، قال: وكان شجاعا، قال أبو هريرة ﷺ: فألقيت سيفي فلا أدري من أخذه"[1].

وبعض الصحابة الذين لم يقفوا مع عثمان كان هاجسهم الخوف من الفتنة، فكان القادمون من مصر والكوفة والبصرة بغاة لهم مآرب أفسدت ذات البين، وشرذمة الأمة، وتجلى خطر الخوارج بعد التحكيم فيما بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولو طلبوا الحق ولم يكن لهم مآرب غير مشروعة لما قتل عثمان ﷺ.

فتنة الخروج:

لم تكن هذه الفتنة غائبة عن رسول الله ﷺ فقد أُطلع على وقوعها وحذر منها ﷺ، قال مُرة البهزي : بينما نحن مع رسول الله ﷺ ذات يوم في طريق من طرق المدينة فقال: « **كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الارض كأنها صياصي[2] بقر؟** » قالوا: فنصنع ماذا يا نبي الله ؟ قال: « **عليكم بهذا وأصحابه** » قال : فأسرعت حتى عطفت على الرجل، فقلت: هذا يا نبي الله؟، قال: « **هذا** » فإذا هو عثمان[3]، هذه الرواية تشير إلى أن عثمان على الحق، وأنه شهيد بسببها، فقد صعد رسول الله ﷺ أحدا، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان ﷺ، فرجف بهم، فقال رسول الله ﷺ: « **أثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان** »[4]، وكما استشهد عمر ﷺ بطعنة من الحقد المجوسي، فسيكون ذلك لعثمان ﷺ، فإن الخوارج له بالمرصاد وقدر الله نافذ، كما في حديث حذيفة ﷺ قال: « **كان الناس يسألون**

---

١) أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٥٦٣.

٢) يعني قرونها وإنما سميت صياصي لأنها حصونها التي تحصن بها من عدوها. غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/٨٤.

٣) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٥٨٣.

٤) البخاري حديث (٣٦٧٥).

رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟، قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[١]، صحيح أن حديث حذيفة هذا عام في الفتن التي تظهر في كل زمان، لكن تضمن النبأ عن أصول الفتن فتنة الخوارج قتلة عثمان ﷺ وفتنة الروافض الغالين في علي وذريته ﷺ، وقد تقدم الكلام عن الخوارج في خلافة عثمان ﷺ واستشهاده على أيديهم، وسيأتي مزيد بيان عنهم في خلافة علي ﷺ، ولم يكن الرافضة أحسن حالا من الخوارج في محاربة عثمان ﷺ، بل جدوا في ذلك، وأرعدوا وأبرقوا، ولهم مزاعم.

مزاعم الرافضة ضد عثمان

زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن بن المطهر الحلي في كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولّى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية[٢]، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، بأن عليا ﷺ ولى زياد بن أبي سفيان، وولى الأشتر النخعي، وولى محمد بن أبي بكر، وأمثال هؤلاء، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبي سفيان كان خيرا من هؤلاء كلهم.

---

١) البخاري حديث (٦٦٧٣).

٢) العواصم من القواصم ط الأوقاف السعودية ١/٨٧.

٣) منهاج السنة ٣: ١٧٣ – ١٧٦.

قال رحمة الله علينا وعليه: "ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان أنه ولَّى أقاربه من بني أمية، ومعلوم أن عليا ولَّى أقاربه من قبل أبيه وأمه، فولَّى عبيد الله بن عباس على اليمن، وولَّى على مكة والطائف قثم بن العباس، وأما المدينة فقيل: إنه ولَّى عليها سهل بن حنيف وقيل: ثمامة بن العباس، وأما البصرة فولَّى عليها عبد الله بن عباس، وولَّى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره؛ لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبي بكر، وكان محمد صغيرا".

ثم إن الإمامية تدَّعي أن عليا نص على أولاده في الخلافة ــ أو على ولده، وولده على ولده الآخر وهلم جرا ــ ومن المعلوم إن كان تولية الأقربين منكرا، فتولية الخلافة العظمى أولى من إمارة بعض الأعمال. . .، وإذا قال قائل: لعليّ حجة فيما فعله، قيل له: وحجة عثمان فيما فعله أعظم.

وإذا ادَّعى لعلي العصمة ونحوها مما يقطع عنه أَلْسِنة الطاعنين، كان ما يُدَّعى لعثمان من الاجتهاد الذي يقطع أَلْسِنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول. . .، ثم قال رحمة الله علينا وعليه: إن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم: أبو بكر وعمر، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس، لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي ﷺ في عزة الإسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذحج، وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله ﷺ، واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عُرينة، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا، ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء الحضرمي ــ حليف بني أمية ــ حتى توفي النبي ﷺ، فيقول عثمان: أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ، ومن جنسهم ومن قبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده. . .، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بني أمية بالنص الثابت عن النبي ﷺ أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة في واحد معين من بني هاشم بالنص، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل، والذي

يستعرض حياة عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم في الذروة العليا من رجال الدولة، ولا يتردد في أنهم من بناة الأساس الأقوم من مجد الإسلام الإداري والعسكري، ولهم ثواب نتائجه في الفتوح وانتشار دعوة الإسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات ﷺ[1].



1) بتصرف، انظر منهاج السنة ٢٣٦/٣ - ٢٣٧.

القسم الثاني افتراق الأمة الإسلامية

كانت الأمة في حياة نبيها الخاتم صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، كانت أمة واحدة على البيضاء لم يزغ أحد من المسلمين عنها، فلما انتقل النبي الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، تحركت القلوب المريضة، والتي كانت قريبة عهد بالجاهلية فأوجدت ثلما في ذلك المنهج القويم، فكانت سيوف الصحابة بقيادة أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لهم بالمرصاد، ضربت المرتدين بيد من حديد، فقتل منهم من قتل، وتاب من تاب، واستقام أمر الأمة في عهد أبي بكر ﷺ، وصار في عهد أمير المؤمنين عمر ﷺ على أحسن ما يرام، وكان بابا مؤصدا في وجوه الزنادقة، فلما قتل كسر الباب ولن يغلق أبدا [1]، فتولى عثمان ﷺ أمر المسلمين، ولكنه موعود بالبلاء، ولاسيما وقد كسر الباب، فاتسع الخرق على الراقع حتى قتل عثمان، وفي عهده ﷺ نبتت فرقة الخوارج: أول فرقة خرجت عن نهج الأمة الصحيح؛ وذلك أول ما ظهر وميض الفتنة في مجلس سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة، وذلك على أثر كلام دار في مجلسه، كان من الحاضرين فيه الأشتر، وابن ذي الحبكة، وابن الكواء، وغيرهم، وعدتهم بضعة عشر رجلا، تألبوا على عصبية أثاروا بذلك أقوالا على سعيد بن العاص، وقد تقدم ذكر هذا تحت عنوان الحقد على الإسلام في عهد عثمان، ولكن استشرى في عهد علي، وانتشر بتوسع بعد قتله ﷺ.

فُــرقة المسلمين في العهد الأول

قتل عثمان بضربة من نابتة الخوارج، وبايع الصحابة عليا ﷺ ولكن جد البغاة في خلق الفتنة، وشرذمة الأمة فبرزت المطالبة بقتلة عثمان من قبل معاوية ﷺ ومن شايعه من أهل الشام، وهو حق ولكن لم يعط علي ﷺ فرصة الاستقرار ليتم النظر في قتل عثمان ﷺ، ولقد ظُلم علي كما ظُلم عثمان رضي الله عنهما، ولا ريب في أن للأشرار دور في ظلمهما؛ ظهر ذلك جليا في أمر الحكيم، إذ برز الخوارج

---

1) البخاري حديث (٥٢٥) وفي مواضع عدة.

منكرين على علي ﷺ قبول التحكيم، فكفروه ومن معه زاعمين أنه حكّم الرجال في كتاب الله، فقوي بهذا ما بدأه أهل مصر والبصرة والكوفة من الخروج من صف الأمة.

الموقف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

المهم أن نعلم أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على تنصيب إمام غير علي ﷺ، ولا كان معاوية ﷺ يقول: إنه الإمام دون علي رضي الله عنهما، ولا قال ذلك طلحة والزبير رضي الله عنهما، وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء، بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان ﷺ، وهو من باب قتال أهل البغي والعدل، وإن أبا مسلم الخولاني وأناساً معه قالوا لمعاوية: "أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟"، فقال: "لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمته؟، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له". فأتوا عليا فكلموه، فلم يدفعهم إليه [١]، ولم يكن علي ﷺ بمنعه تسليم قتلة عثمان حماية لهم، فقد كان هو وأولاده في جانب عثمان، ولكنه لم يسلم القتلة لأنه ولي الأمر، ولم يستقر له ذلك حتى يتسنى له ملاحقة القتلة ومحاكمتهم، وهم الغوغاء من الناس ونزاع القبائل قادتهم من الخوارج، ولهم شوكة في الأمصار، ولا أشك في أن إصرار معاوية على طلبه نشأ عن حمية ونصرة لعثمان، ولا أستبعد استغلال الموقف من آخرين لمآرب أخرى.

ومنشأ الخلاف أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه، فيما اعتقدوا أنه على الحق، ففعلوا ذلك،

---

١) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان ١/٧.

ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

القسم الثاني: عكس هؤلاء، ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق مع الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

القسم الثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك[١].

وبناءً على ما تقدم يحسن أن نظهر موقف أهل السنة فيما جرى من الأحداث من عهد عثمان إلى مقتل علي رضي الله عنهما، فإن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، وهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، إذن فاعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة، فالعدالة استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه[٢]، فالأحداث حصل في أمرها اجتهاد من الأخيار، واستغلال من الأشرار، ولذلك قال الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "أولئك قوم طهّر الله أيدينا من دمائهم، فيجب أن نطهر ألسنتنا من أعراضهم"[٣].

---

١) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان ٦/١، ومسلم بشرح النووي ١٤٩/١٥، ١١/١٨، والإصابة ٥٠١/٢، فتح الباري ٣٤/١٣.

٢) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان ٨/١.

٣) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ٢٣٠/١.

كل خير لابد أن يقابله شر

استطاعت تلك المحاولات الشريرة في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ أن تبث سمومها في الجسد الإسلامي، الشيء الذي جعل تلك السموم تنغر وتتفجر حينا بعد حين، ولم تكن أحداث الردة في عهد أبي بكر، إلا ومن مسبباتها الحقد على الإسلام، ولم يكن قتل عمر ﷺ، وقتل عثمان ﷺ، والخلاف بين علي ﷺ، ومعاوية ﷺ، وقتل علي ﷺ، إلا من أسبابه الحقد على الإسلام، وبداية معاناة الجسد الإسلامي من تلك السموم، برزت بوضوح تام في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، وما نتج عن الخلاف بينه وبين معاوية ﷺ، من ظهور أول الفرق الخوارج، والشيعة؛ فإنه بظهور هاتين الفرقتين برز في الأمة الإسلامية، التفاوت في الفكر، فأخذت كل فرقة من الفرقتين تصنع فلسفتها للإسلام وفق متطلبات وجودها، دون سواها، وأصبح في ذلك الوقت تجزئة ثلاثية للجسد الإسلامي، مَن نهج نهج الخلفاء الراشدين ﷺ، المهتدين بهدي رسول الله ﷺ، وهم أهل السنة والجماعة، والفرقتان الناشئتان: الخوارج، والشيعة، وفرقة الصوفية وليدة التشيع، هذه الفرق توجهت كل واحدة منها لوضع فلسفة للإسلام تجعلها قادرة على الصدّ والهيمنة على ما سواها ولو فكريا، بغض النظر في كثير من المواقف عن واقعية تلك الفلسفة، وقربها أو بعدها مما جاء به المصطفى ﷺ، وأفلحت في ضرب وحدة الاعتقاد التي ترك النبي ﷺ أصحابه عليها، وتمسك بها الخلفاء الراشدون ﷺ، ومن سوء هذا المسلك ظهرت الانقسامات، داخل كل فرقة، لأن المنطلق لم يكن شرعيا، وإن كان التشيع في بداية أمره لم يكن أكثر من مناصرة أمير المؤمنين علي ﷺ، لكنه نحى به المغرضون بعد ذلك إلى الرفض، والتزوير والغلو في علي وذريته ﷺ، وكانت محبة آل البيت ﷺ سلاحا فتاكا اقتحم به المزورون قلوب العامة البسطاء، والأمر مجرد رغبة في إيجاد فكر جديد، يناوئ ما كان عليه الخلفاء الراشدون ومنهم علي بن أبي طالب ﷺ، ومن هنا استحقوا مقولة أبي عبدالله جعفر الصادق رحمه الله لما زعموا أن أهل السنّة سموهم الرافضة، ليستحلوا دماءهم، فشكوا ذلك إلى أبي عبدالله جعفر الصادق فقال: "**الرافضة؟!**" قالوا: نعم، فقال: "**لا والله ما هم**

سموكم..ولكن الله سماكم به"[1]، لأنهم رفضوا ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الهدي النبوي، ورغبوا في فكر يناوئ ذلك فجاؤوا بفكر سقيم يؤصّل لتلك الرغبة، ويرسم لها مستقبل الإسلام الذي يريدون، ولم تكن فرقة الخوارج أحسن حالا من سابقتها، شذت عن لواء أمير المؤمنين علي ﷺ، زاعمة أنه حكّم غير كتاب الله، فقالوا: لا حكم إلا لله، وقد فطن علي ﷺ للأمر فقال: "**كلمة حق أريد بها باطل**" فكما اتخذ الرافضة الغلو في حب آل البيت ذريعة لنشر الزور في العامة، ونقض وحدة الاعتقاد، اتخذ الخوارج قضية التحكيم لمعاداة علي والخروج عليه وتكفيره، تحت شعار لا حكم إلا لله، فاستحلوا بعد ذلك دماء المسلمين، وأموالهم وأعراضهم، وجاءت الصوفية بفرية الكشف، وتعيين الأقطاب، وزعم التصرف في الكون، وجلب المنافع، ودفع المضار، بعد أن كانت بدايتها مجرد الزهد في الدنيا وشهواتها، فتغاير المسلمون في مجالات فكرية وسياسية مزّقتهم، حتى أصبحوا شيعا وأحزابا، وتحقق ما أخبر به المصطفى ﷺ، من افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة في الجنة، هذا معاوية بن أبي سفيان ﷺ يقول: "إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة** »[2]، وفي نظري والله أعلم أنه لا مفهوم للعدد هنا، وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3]، وإنما أريد به تكثير عدد الفرق في الأمة الإسلامية، وهو كذلك، فلو أجرينا إحصاءً للفرق الإسلامية اليوم لوجدناها بالمئات، إذا راعينا فلسفة كل فرقة، أو جماعة وممارساتها لتلك الفلسفة، وليس الحق إلا مع واحدة، وهي المتمسكة بما كان عليه رسول الله ﷺ، ويؤيد أن تلك الفرق في النار قول رسول الله ﷺ فيما

---

(١) الكافي (٥/٣٤) وهذا من مصادر الشيعة الموثوقة عندهم.

٢) رجاله ثقات، الدرامي حديث (٢٥٨٢) .

٣) الآية (٨٠) من سورة التوبة.

يحكيه عن الله ﷻ: « **يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد** » قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: « **أبشروا، فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا، ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » فكبرنا، فقال: « **أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » فكبرنا، فقال: « **ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود** »[١]، وهذا معني أتباعه ﷺ بحق من الصحابة وغيرهم، ومعلوم أن الأمر كان مستقيما طيلة تلك الفترة، فلما ظهرت الفرقتان: الخوارج، والرافضة، بدأ الخروج عن النهج الصحيح، عند بعض المسلمين، يقول رسول الله ﷺ: « **أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك ورحمة، ثم ملك أعفر، ثم ملك وجبروت، يُستحل فيها الخمر، والحرير** »[٢]، ولست في هذا البحث معنيا بالحكم على الفرق الإسلامية، أو الجماعات الإسلامية، ولا مسئولا عن بيان قرب أو بعد كل فرقة أو جماعة، من الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، فقد حسم الأمر ﷺ، ولا أعتقد أن الحق يخفى على طالبه، إلا من طبع الله على قلبه فأنى لك أن تهديه، لكن سأعمل قدر المستطاع على بيان الفرقة التي هديت إلى العمل بالإسلام، الذي جاء به نبي الهدى والرحمة محمد بن عبدالله ﷺ، الإسلام المبني على الكتاب والسنة، وليس الإسلام المفلسف، أو المنتقى، أو الإسلام الذي بني لتحقيق مطالب لا تجوز هذه الحياة، أو إسلام المنتقم لأسلافه من اليهود والنصارى والمجوس، إسلام منقطع عن الآخرة تماما، وقد سميناه إسلاما مجاراة لأصحابه، ومن المعلوم

---

١) أخرجه البخاري، حديث (٣٣٤٨).

٢) فيه انقطاع بين مكحول الشامي، وأبي ثعلبة، واختلاف على ذكر أبي وهب، وأخرجه أبو داود الطيالسي (المسند رقم ٢٢٨) وأبو يعلى (المسند١/١٧٧، رقم ٨٧٣، ٨٧٤) والبزار (كشف الأستار٢/٢٣٢، رقم ١٥٨٩) والطبراني (المعجم الكبير ٢٠/٥٣، رقم ٩٢،٩١) ومعناه صحيح.

بدهيا، أن كل ما جانب الكتاب والسنّة الصحيحة، فهو هراء والإسلام منه براء، نعلم أن رسول الله ﷺ أخبر عن تلك الفرق أنها في النار، إلا واحدة، وبين ﷺ أن الفرقة الناجية هم الباقون على ما كان عليه ﷺ وأصحابه ﷺ، ومما يؤيد هذا حديث حذيفة ﷺ قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: « **نعم** » قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: « **نعم، وفيه دخن** » قلت: وما دخنه؟، قال: « **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر** » قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: « **نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها** » قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: « **هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا** » قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟، قال: « **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك** »[1]، وعجبا لمن يُخرج الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ﷺ والتابعين لهم بإحسان من جماعة المسلمين، بل هم جماعة المسلمين، وهم الفرقة الناجية، فمن مثل أبي بكر ﷺ من عموم الفرق التي تدعي أنها الناجية، ومن مثل عمر بن الخطاب ﷺ، أحب العمرين إلى الله، إذ تحقق فيه دعاء رسول الله ﷺ: « **اللهم أيد هذا الدين بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو أبي جهل بن هشام** »[2]. فكان أحب الرجلين إليه عمر ﷺ، روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة، منهم: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعائشة، وأبو سعيد الخدري، وابن مسعود، وخباب، وأنس ﷺ، فضيلة تفرد بها عمر، لم يشركه فيها أحد ﷺ.

والمراد بأحب العمرين أفضلهما عند الله، فإن الله لا يحب من كفر به، ولو كان لكل منهما مكانته في الجاهلية، فإن من أسلم أزكى وأفضل من الباقي عليها، قال

---

1) البخاري حديث (٦٦٧٣).

2) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين ١/١٣٩.

رسول الله ﷺ: « **تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا** »١، فقِه عمر بإسلامه فكان الخيار.

عمر فرّق الله به بين الحق والباطل، في مكة والمدينة وغيرهما، وإذا سلك فجا سلك الشيطان فجا آخر، ثم عثمان ذو النورين ﷺ، من تستحي منه الملائكة، وهو مجهز جيش العسرة في سبيل الله، وهو جامع القرآن في مصحف واحد، وحاقن دماء المسلمين في الفتنة الكبرى، وعلي بن أبي طالب ﷺ ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج بنته سيدة نساء العالمين في الجنة، ومن أحبه الله ورسوله، هؤلاء مبشرون بالجنة، من ضمن العشرة ﷺ، وهم صفوة أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ هم صفوة الناس، بعد رسول الله ﷺ، والأمة المحمـــدية هي صفوة الأمم، وقـــد أيد الله ﷻ رسوله ﷺ بالسابقين الأولين، في مكة وفي بيعة العقبة الأولى، والثانية، وقام معه المهاجرون والأنصار، بأمر هذا الدين، فأعزه الله بهم ونصره، فنفذ أمر الله تعالى، وبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاد، فما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه، ولا شرا إلا حذرها منه، وقال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ** »٢، وقال: « **تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك** »٣ وقال ﷺ: « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ...**» الحديث٤.

إنه المعصوم ﷺ، صفوة الخلق أجمعين من الأولين والآخرين، تعلّم منه أصحابه أحب الناس إليه، يقول ﷺ: « **دعوا لي أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد ــ أو مثل الجبال ــ ذهبا، ما بلغتم أعمالهم** »٥ فلا أحد أحق منهم

---

١) البخاري حديث (٣٤٩٣) مسلم حديث (٢٥٢٦) .

٢) السنة للمروزي حديث (٧٢).

٣) المسند حديث (١٧١٤٢).

٤) المسند حديث (١٧١٧٤).

٥) المسند حديث (١٤٨١٢).

بوصف، الإيمان والصدق والإخلاص، ولا أولى منهم بوصف النصرة والجهاد في سبيل الله، فهم أهل السمع والطاعة لله ورسوله، وهم أهل الالتزام بكل ما جاء في الكتاب والسنة، وإن جالت الأفكار، وتبارت المهارات في البلاغة والأسلوب والبيان، فللهداية والإرشاد، في إطار لا يجوز الخروج عنه بحال، إطار التوجيه الإلهي، والهدي النبوي، جعلوا قلوبهم أوعية لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، من قال عنهم رب العزة والجلال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[2]، من وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين** »[3]، فقد حملوا كلام رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وهم العدول الأمناء بشهادة الله، ورسوله، وإجماع المسلمين، بهذا الوصف، وبهذه الشهادة لم ينلها أحد بعدهم، إلا من نهج نهجهم، ونهل من مشربهم العذب النقي، كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، حملوا ميراث النبوة، أمانة في أعناقهم يؤدونها، كما أخذوها من رسول الله ﷺ، فخلف من بعدهم المهتدون بهديهم، المقتفون أثرهم في اتباع رسول الله ﷺ، رغم ما بُلي به الإسلام من ظهور فرق شذّت عن منهج النبوة، وعابت أصحاب رسول الله ﷺ، فتنوعت لديهم المشارب، وبرزت منهم ضد الإسلام الأنياب والمخالب، فكان المتمسكون بالكتاب والسنة لهم بالمرصاد، فكما بلّغهم أصحاب رسول الله ﷺ، عن رسول الله أمر هذا الدين، امتثلوا أمره ﷺ بالتبليغ عنه لمن بعدهم، وأنفذوا في ذلك أعمارهم، واستفرغوا جهدهم وبادروا إلى ما رغّب فيه من ذلك الأمر الجسيم، حيث دعا لهم بالنضْرة والنعيم، وكفاهم هذا الدعاء شرفا، بوأهم الله من الجنة غرفا، ولقّاهم الفوز العظيم، وقد تخير الله تعالى من كل خلف عدوله لفهم كلام رسوله ﷺ على الوجه

---

١) الآية (١٨) من سورة الفتح.

٢) من الآية (٢٩) من سورة الفتح.

٣) الإبانة لابن بطة حديث (٣٣).

الصحيح، واصطفاهم لنقده ونقله، فحفظوه من التبديل والتحريف، وعرّفوا ما يتعلق بشأنه أوضح تعريف، وتصرفوا في أنواع بيانه أحسن تصريف، حتى استبان منه الصحيح والحسن، والمنكر والضعيف، فهم كما وصفهم ﷺ، خير القرون، أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، وأتباع التابعين، ولا ريب في أن يلحق بهم من نهج نهجهم، وتمسك بما تمسكوا به من هدي الكتاب والسنة، وهم الطائفة المنصورة، يقول رسول الله ﷺ: « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق، منصورة حتى يأتي أمر الله** »[1]، ولا تعارض بين هذا وقول الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟، لأن أصحاب رسول الله ﷺ هم نقلة حديث رسول الله ﷺ، ومن عمل عملهم ونهج نهجهم، من التابعين، وأتباعهم، والسائرين على نهجهم إلى يوم الدين هم كذلك منهم، سواء اشتهروا برواية الحديث أو بغير ذلك، مادامت سيرتهم لا تخرج عن نهج الصحابة القويم سيما في أمور الاعتقاد، فلو كانوا فقهاء، أو أدباء، أو أطباء، أو منهدسين، أو تجارا، أو أصحاب حرف مما لا يمكن حصره من أنواع المهن، هم من الطائفة المنصورة، وهم من الفرقة الناجية، إذا كانوا على مثل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وإنما خص الإمام أحمد وغيره أصحاب الحديث، لظهورهم في هذه الصفة، صفة التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يمنع دخول غيرهم ممن اعتقد اعتقادهم وعمل عملهم إلى يوم الدين، وهذه الطائفة هي الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة، لثباتها على ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، أجاب بذلك رسول الله ﷺ من سأله عنها[2].

---

١) مسلم حديث (١٧٠).

٢) المعجم الأوسط حديث (٤٨٨٦).

التحــالف الثــلاثي

إن اليهود والنصارى والذين أشركوا بكل طوائفهم، ضد الإسلام، ومرادنا بالإسلام ما جاء به رسول الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وهو ما قام الدليل على أنه من عند الله ﷻ إما بالكتاب العزيز، أو بالسنة النبوية الصحيحة، أو بهما معا، ولم يكن مرادنا الإسلام الصوري الذي يعيشه أكثر أفراد الأمة اليوم، إسلام فارق أهله الكتاب والسنة في كثير من أمور الاعتقاد، واشتغلوا بالبدع والإحداث في الدين، وصدق الإمام مالك بن أنس قال: "لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئا ثم نجا من هذه الأهواء والبدع والتناول لأصحاب رسول الله ﷺ أرجو أن يكون في أعلا درجة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وذلك أن كل كبيرة فيما بين العبد وبين الله ﷻ فهو منه على رجاء وكل هوى ليس منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم من مات على السنة فليبشر من مات على السنة فليبشر من مات على السنة فليبشر"[1]، معرضين عن قول الله ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2]، وعن قول رسول الله ﷺ: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد** »[3]، وهم يجهلون أو يتجاهلون أنهم بهذا السلوك شايعوا التحالف الثلاثي، باتخاذهم علم الكلام منارا يسيرون عليه في تقرير كل ما يتعلق بالاعتقاد، وبنوا عليه أمورا ذات خطر عظيم في التوحيد، وجعلوا من طرق التصوف منهجا في السلوك يسيرون عليه في كثير من ممارساتهم التعبدية، فأحدثوا في الدين ما ليس منه، وأبدعوا في الابتداع، حتى خرج بعضهم من دين الله ﷻ، وأصبح زنديقا ملحدا، وقال بألوهية نفسه[4]، وكم يَسعد التحالف الثلاثي بوجود مثل هؤلاء، ينتسبون إلى الإسلام، ويعبثون به، لأنهم في حقيقة الأمر ليسوا من أهله.

---

١) ذم الكلام وأهله ٥/٧٦.
٢) من الآية (٧) من سورة الحشر.
٣) البخاري حديث (٢٠) .
٤) خذ مثلا: ابن عربي، وابن الفارض، والعفيف، وأمثالهم كثير.

عهد عمر رضي الله عنه

لم يكن عهد عمر بن الخطاب أقل خيرا وبركة على الإسلام والمسلمين من عهد أبي بكر الصديق، فهما رضي الله عنهما وزيرا رسول الله ﷺ، فكثيرا ما كان يقول: أنا وأبو بكر وعمر، قال علي ﷺ مخاطبا عمر حين دفنه في بيت عائشة: "كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك محمد ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه لأنى أسمع رسول الله يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ورجعت أنا وأبو بكر وعمر"١، نالا من تربيته وتعليمه ما لم ينله غيرهما رضي الله عنهما.

إن ما ورد في حديث حذيفة ﷺ، أمر عام لا يخص زمان دون زمان، إنه عام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يجوز تطبيق ما ورد من أخبار الفتن على فتنة معينة، ولا تحديدها بزمن، إنها إخبار عن كثرة الفتن والعداء لهذا الدين، فإذا ما وقع شيء منها علم أهل السنة والجماعة، أنها مما حذر منه رسول الله ﷺ، فتعاملوا معها وفق ما وجه به ﷺ، فهي عندهم من صدق نبوته ﷺ، ونعلم يقينا مما تقدم أن الفرقة الناجية هي من تقدم وصفهم بالتزام منهج الكتاب والسنة، في كل زمان ومكان، وإن حصل لهم ما حصل من البلاء، وأن من عداهم أهل زيغ وضلال، وإن كانوا من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، كل من خرج عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب ما جاء به رسول الله، وجانب نهج الخلفاء الراشدين، ومن تبعهم بإحسان، لا شك أنه من أهل الزيغ والضلال، ولا ينضوي تحت مسمى الفرقة الناجية، وإن زعم أنه من المسلمين، وإن زعم أن الحق معه والباطل عند غيره، وإن أكثر من الفلسفة والتحوير والتطور، فذلك كله منه لا يعدو أن يكون إيغالا منه في الضلال، ولا نجاة لأحد منهم إلا بتوبة صادقة، وعمل دؤوب بكتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، وفق المنهج الذي لزمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن المعارضين لدين الله لم يسلم منهم عهد النبوة، وكانوا ينشطون من حين لآخر، ويتحينون الفرص للانقضاض على الإسلام، لكنهم مخذولون من الله ورسوله

---

١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ١٥٩/١.

والمؤمنين، كم خسئوا وانقلبوا صاغرين، ومع ذلك لم يسلم عهد عمـر بن الخطاب ﷺ من محاولاتهم وكانوا في ضعف، فقد مكن الله أمر الإسلام بخلافة أبي بكر ﷺ، وكسر شوكة أهل الشك والعناد، وكان عهد عمر ﷺ قوة أخرى أعز الله بها الإسلام، إنه الفاروق يهرب منه كل شيطان من الجن والإنس، وكان حريصا كل الحرص على حماية الإسلام، ولاسيما جانب التوحيد، فقد أمر بقطع الشجرة التي بايع الأصحاب رسول الله ﷺ تحتها، وسميت البيعة فيما بعد بيعة الرضوان، وكذلك لما رأى كثرة الذكر لخالد بن الوليد سيف الله، وما يحكى من مهاراته في الجهاد، وحسن قيادته، ودقة تدبيره وتخطيطه لأمور الجيش المعارك، خشي أن يفتن الناس به، فيظنون به ما ليس فيه، فالتوحيد شأنه أعظم من قيادة خالد ﷺ، وقد تقبل خالد ذلك الإجراء بصدر رحب، فهو من مدرسة محمد ﷺ، ولم يظن بعمر إلا الخير، قال أحد القساوسة لخالد ﷺ: "أيها السيد إني قد تفرست فيك الشجاعة فبالله من أنت من أصحاب محمد" فقال: أنا خالد بن الوليد المخزومي فقال: "أنت وحق ديني الذي فتحت بلاد الشام، وأذللت ملوكها وبطارقها، وإن صفتك عندي" ثم إنه دخل الدير وأتى ومعه سفط ففتحه، وإذا فيه بين أوراقه ورقة وفيها صفة عمر بن الخطاب ﷺ وزيه وصورته، وصورة أبي عبيدة ﷺ، وصورة خالد بن الوليد ﷺ والسيف في يده مشهور.

قال: "ما زلت أسمع أخبارك كلها، فلم عزلك عمر بن الخطاب وولى غيرك؟!".

فقال خالد: "اعلم أن عمر هو الإمام وهو الخليفة، ومهما أمرنا فلا نخالفه، فإن الله أمرنا بذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1]، فطاعته فرض علينا، لأنه يحكم بالعدل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإنا قد وجهنا إليه خمس الغنائم من الفتوح كلها من الأموال، فما ازداد في الدنيا إلا زهدا، ولا آثر الدنيا على الآخرة، بل مجلسه على التراب، ولباسه المرقعة، ويمشي في سوق المدينة متواضعا راجلا، فالتواضع لباسه، والتقوى أساسه، والذكر شعاره، والعدل في الرعية دثاره، وما زال يعطف على اليتيم،

١) من الآية (٥٩) من سورة النساء.

ويرفق بالأرملة والمسكين، ويرفد أبناء السبيل، فظ في دين الله، غليظ على أعداء الله، قائم بشعائر الله، لا يستحي من الحق، ولا يداهن الخلق".

فقال القس: أكانت له الهيبة على عهد نبيكم؟.

قال خالد ﷺ: نعم سمعت سعد بن أبي وقاص ﷺ يقول: استأذن يوما عمر ﷺ فأُذن له، فدخل ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر ﷺ: أضحك الله سنك يا رسول الله ١.

قال: « **عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب** » فقال عمر أنت أحق أن يهبنك، وقال لهن: يا عدوات أنفسكن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟!؛ فقلن: نعم، أنت فظ غليظ دون رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غيره** »٢.

قال: فلما سمع القس ذلك قال: "بركة نبيكم عادت على إمامكم وعليكم".

فقال خالد ﷺ: وما يمنعك من الدخول في ديننا؟! فقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء ٣.

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: كان عمر رجلا جسيما أصلع وكان يشبه خالد بن الوليد، وأنه خرج سحرا فلقيه شيخ فقال مرحبا بك يا أبا الوليد يعني خالد فرد عليه عمر فقال عزلك ابن الخطاب قال له عمر: نعم، قال لا يشبع لا أشبع الله بطنه فماذا عندك؟، قال ما عندي إلا سمع وطاعة قال فلما أصبح بعث إلى خالد بن الوليد فقال أي شيء قال لك الرجل قال ما قال لي شيئا، قال فقال الرجل قد كان بعض ذلك فاعف عفا الله عنك فضحك عمر وأخبرهم الخبر، وقال لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحب إلي من كذا وكذا٤.

وفي رواية: قدم علقمة بن علاثة على عمر من الشام فسأله أن ينقل ديوان ابن أخيه إليه، وسأله راعيا لإبله فلم يجبه إلى شيء من ذلك، فلما كان الليل التقى هو وعمر فظن علقمة أن عمر خالد بن الوليد؛ وكان يُشبّه به فقال: ما حمل أمير

---

١) فتوح الشام ٥٩/٢.
٢) البخاري حديث (٣٢٩٤) وفي مواضع عدة.
٣) فتوح الشام ٩١/١.
٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٢/٤١.

المؤمنين على عزلك بعد عنائك وبلائك؟!، فقال عمر: زعم أني جواد أنفق المال في غير حقه، قال علقمة: والله لقد جئت من الشام أسأله أن ينقل ديوان ابن أخي إلي، وراعيا لإبلي، فآيسني من كل خير هو عنده، قال عمر: قد كان ذلك منه في أمري فماذا عندك؟، فقال علقمة وماذا يكون عندي، هم قوم ولاهم الله أمرا ولهم علينا حق؛ فأما حقهم فيؤدى، وأما حقنا فنطلبه إلى الله، فافترقا فلما كان من الغد اجتمع علقمة وخالد عند عمر، فقال عمر: هيه يا خالد لقيت علقمة البارحة فقلت كيت وكيت، فقال خالد والله ما فعلت، فجعل علقمة يعجب من جحده، ثم قال عمر يا علقمة قلت هم قوم ولّاهم الله أمرا، ثم أقتص كلام علقمة الذي كلمه، وخالد ينكر ما سمع، وعلقمة يقول: خل أبا سليمان قد كان ذلك، ثم قال عمر: نعم يا علقمة أنا الذي لقيتك وكلمتك؛ ولأن يكون ما قلت وتكلمت به في قلب كل أسود وأحمر من هذه الأمة أحب إلي من حمر النعم[١].

هذا حال المخلصين لولي الأمر، وليت عثمان ﷺ وجد من أهل مصر والكوفة والبصرة مثل قول علقمة، كذلك علي ﷺ لم يلق من الخوارج والرافضة إلا التكفير والغلو الخذلان، فنشأت ثلاث فرق هي أمهات الفرق الضالة، فجميع الفرق الضالة على كثرتها ترجع إلى ثلاث: الخوارج، والرافضة، والصوفية الغالية.

الخـــــــــوارج

بدأ انشطار الوحدة الإسلامية بفتنة عثمان ﷺ، وتحقق بالفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وذلك بخروج المطالبين بدم عثمان، الأمر الذي نتج عنه تعميق الخلاف بين المسلمين باستحداث أمورا لم تكن في عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا أقرها الخليفتان عثمان وعلي رضي الله عنهما، ولاسيما عليا وآل بيته ﷺ، وظهر الابتداع في الدين في صور شتى منها القريب والبعيد والموغل في البعد والمارق، وتطور ذلك باستخدام الفلسفة من علم الكلام، وتحكيم العقل فيما جاء به الكتاب والسنة، إما بالتأويل،

---

١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥٣/٤١.

وصرف الأمور عن ظواهرها، وإما بالقدح في نقلة السنة العدول، ونبزهم بالكذب على رسول الله واختلاق ما يناقض الكتاب والسنة الصحيحة، كما سيأتي عن الرافضة، فكان أول من شذ عن الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين الخوارج؛ فهم نابتة سوء برزت في عهد عثمان ﷺ، واشتهر أمرهم في الخروج على علي الخليفة الراشد ﷺ، وشهدوا بالضلال على من هو خير منهم أصحاب رسول الله ﷺ بل بالكفر فكفروا عليا من معه من الأصحاب ﷺ، بل أبطلوا شهادة الله لهم بالإيمان، فإذا فعلو هذا مع زكاهم الله، وشهد لهم بالخيرية والإيمان، فهم مع عامة المؤمنين أشد عداوة فلا يرون لهم حقًا لمن عداهم ليس لهم إلا السيف واستباحة المال والعرض، ولم تجتمع كلمة المسلمين على الخوارج، بل هم أنفسهم على كثرة فرقهم لم يجتمعوا، وكفّر بعضهم بعضا والتاريخ شاهد بذلك، وذلك رحمة من الله بالمسلمين فلو اجتمعت كلمتهم لعادت الجاهلية على أشدها، وانتشر الفساد في الأرض، وتعطلت شعائر الإسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة وغير ذلك، فالحمد لله الذي لم يظهر الخوارج على كثرة فرقهم على عباده الصالحين، فكا هذا نصرا منه تعالى لعباده المؤمنين قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ١، وهذا من أوضح الأدلة على فساد منهج الخوارج؛ لأن الله لم يجمع كلمتهم بل كان يقتل بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا، وقد جمع الله كلمة أهل السنة والجماعة، وأقام لهم من الحكام من حكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله، وإن وقعت من بعضهم هنات، ولكنهم إلى الخير أنزع، ولإقامة العدل والحدود أقرب، أما الخوارج فقد وصفهم رسول الله ﷺ لأمته، وبين الحكم عليهم، حين أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: « **ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل** » فقال عمر: " يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ " فقال: « **دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر**

---

١) الآية (٥١) من سورة غافر.

إلى نصله [1] فلا يوجد فيه شيء [2]، ثم ينظر إلى رصافه [3] فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه [4]، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه [5] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر [6]، ويخرجون على حين فرقة من الناس » [7].

قال أبو سعيد: "فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي ابن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته " [8] هذا وصفهم والحكم عليهم، فسماهم الناس خوارج لخروجهم على عثمان الخليفة الراشد، واستباحتهم دمه، في الأشهر الحرم، في ذي الحجة، واقتحام داره وقتله وهو يتلوا كتاب الله ﷻ لتقع أول قطرة من دمه على قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [9].

وبقتله وقعت الفتنة العظيمة التي أخبر بها رسول الله ﷺ، والناس في بقايا من شرها إلى اليوم، فظهرت أول فرقة شقّت الوحدة الإسلامية، مع الاحتراز عن التعميم فما كل فرد منهم كان يريد قتل عثمان ﷺ، ولا كل فرد رضي بقتله ﷺ، ومنهم من قصد وترصد وانتهز الفرصة فتولى كبر تلك الفتنة، ولا أستبعد أنهم نواة الخوارج المنشقين على علي ﷺ، فارقوا معاوية إلى صف علي رضي الله عنهما، ثم واصلوا كسر الوحدة الإسلامية بإعلانهم تكفير علي ﷺ، وكذلك ليس كل من خرج على علي كان مكفرا له، بدليل رجوع عدد كبير منهم لما ناظرهم

---

١) نصل السهم حدية مسننة تركب في رأسه.

٢) لا يوجد أثر للدم من سرعة الاختراق والمرور، شبه به سرعة مروق الخوارج من الدين.

٣) عقبة السهم "مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢٩٣/١".

٤) نضي الرمح ما فوق المقبض من صدره "العين ٥٩/٧".

٥) ريش السهم؛ واحدتها قذة " مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢/ ١٧٥".

٦) تضطرب وتتحرك "غريب الحديث للخطابي ٣٧٩/١" .

٧) البخاري حديث (٣٦١٠) وفي مواضع عدة، ومسلم حديث (١٠٦٤).

٨) البخاري حديث (٣٦١٠).

٩) من اللآية (١٣٧) من سورة البقرة.

ابن عباس رضي الله عنهما، قدروا بأربعة آلاف[1]، وبقي من كتبت عليهم الشقوة على ضلالهم.

ولو كانوا طلاب حق لما خفي عليهم الأمر سواء في عهد عثمان ﷺ أو عهد علي ﷺ، فالصحابة كثر وكتاب الله محكَّم، وسنة رسول الله ناطقة بالحق، ولكن لهم غاية أبعد من الحق وهو الباطل، الذي اتخذوه شرعة ومنهاجا لتكفير عثمان ثم علي رضي الله عنهما، وتكفير من كان معهما على الحق، ولم يخف أمرهم على رسول الله ﷺ، ولذلك عُدّ قتلهم من قبل علي ﷺ فتحا من أجل الفتوح، لأنهم كانوا لا يرون طاعة خليفة، ولا يرونها في قرشي، وكان ضررهم معلوما[2]، وكانت علامتهم ما أخبر به رسول الله ﷺ فيما روى أبو سعيد الخدري ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما[3]، فأتاه رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة فقال: يا رسول الله! اعدل، فقال ﷺ: « **هاك لقد خبت وخسرت إن لم أعدل** » فقال عمرﷺ: دعني يا رسول الله أقتله، فقال: « **لا، إن لهذا أصحابا يخرجون عند اختلاف من الناس** .... » الحديث تقدم ذكره[4].

وذو الثُّدية هو: حرقوس بن زهير، أحد الخوارج يوم النهروان، قاتلهم علي ﷺ، وتفقد قتلاهم، فاستخرج من بينهم ذا الثُّدية، فرآه ناقص اليد، ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل الثدي، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معققة، ثم نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة[5]، حينها سجد علي شكرا لله ﷻ لما رأى ذا الثُّدية في القتلى، لأن ذلك كان علامة على أنه ﷺ على الحق[6].

يتلخص من هذا أن نابتة الخوارج أولهم ذو الخويصرة التميمي، وأن شوكتهم تقوى عند اختلاف الناس، وحصل الاختلاف على عثمان ﷺ فبرز ناب الخوارج ليكسر الوحدة الإسلامية، وتبلور في عهد علي ﷺ، وامتد شرهم بعد ذلك.

---

١) البداية والنهاية ٣١٢/٧.
٢) جوامع السيرة ٣٤٠/١.
٣) قيل: يوم خيبر، وقيل يزم حنين.
٤) أخرجه البخاري ومسلم.
٥) مروج الذهب ٤١٦/٤.
٦) انظر: زاد المعاد ٥١١/٣.

الرافضة

إن أخطر ما دخل على الإسلام الطعن في الصحابة، والقول بردتهم، ليتمكن أصحاب هذا النهج الفاحش من هدم الإسلام من أصله، وتجفيف منبعه الأصيل الصافي، وإحلال الزور والهتان محله، وقد تقبل أمة من الناس هذا المبدأ لإقناعهم بظلم آل البيت وردة الصحابة، فمن أين يأتيهم الهدى وقد أبعدوا عن منبعه؛ نهج النبي المصطفى ﷺ، ونهج صحابته الصادقين الأمناء، شهد الله لهم بأنهم السابقون الأولون، ومات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم ﷺ، ثم يأتي الزنادقة لتدمير الإسلام بدعوى ردة الصحابة وتكفيرهم بذلك، والزنادقة يرون المتمسكين بنهج النبوة والخلافة الراشدة كفارا كذلك، وكفرهم أشد من كفر اليهود والنصارى، لأن كفر هؤلاء بعد إيمان، وكفر أولئك بادئ ذي بدء، كبرت كلمة تخرج من أفوههم إن يقولون إلا كذبا، والرافضة عبارة عن جماعات متفرقة في العالم الإسلامي وغيره، ولاء بعضها لولاية الفقيه دولة الرافضة في إيران التي لا تملك غير الكيد والدس للعالم الإسلامي، ولا تعيش إلا على الكذب والنفاق، منهجها العقائدي تكفير من لا يكفر الصحابة، ولا يقول بولاية علي وذريته وبعصمتهم وعلمهم الغيب، والسياسة عندها ترمي إلى استعادة المجد الفارسي، وإحياء الحقد الصفوي الذي يستبيح دماء العرب وأعراضهم وأموالهم، ولو كانوا على مذهبهم في التشيع، وزعمهم حب آل البيت إنما هو استقواء لاسترداد الملك الفارسي، والفكرة في أصلها يهودية أسسها عبدالله بن سبأ بدعوى حب آل البيت، وتقبلها الأتباع وهم قسمان:

الأول: من كان مؤمنا بدعوة ابن سبأ على أصلها والهدف منها الانتقام من الإسلام وأهله.

والثاني: من تقبلها على ظاهرها ولم يعلم أنها دعوة باطنية، غلفت بدعوى حب آل البيت، على طريقة دس السم في العسل، وهؤلاء نقول لهم: إن الشيعة هم ممن شايعوا عليا ﷺ، على أن الحق في جانبه دون معاوية ﷺ، وهذا حق، ولم يكفروا

أصحاب رسول الله ﷺ، وإن نازعوا في ولاية أبي بكر ﷺ، ولم يزعموا أن أحدا من هذه الأمة معصوما سوى رسول الله ﷺ، ولم يزعموا أن بقعة على وجه الأرض أشرف من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومكة أشرف من المدينة بوجود بيت الله فيها، والمدينة أشرف من مكة بجسد رسول الله ﷺ فبينهما عموم وخصوص من وجه، ثم المسجد الأقصى لقول رسول الله ﷺ: « **لا تُشَدُّ الرِّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصَى** » ١، والمراد عدم جواز شد الرحال للعبادة والتقرب إلى الله تعالى، إلى أي مسجد، على وجه الأرض بهذا القصد إلا للثلاثة المذكورة، وهذا تشريع رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، لعموم الأمة المحمدية، وقد تضمن هذا التشريع هدفا عظيما وهو وحدة الأمة المحمدية في شد الرحال للعبادة، وعلى هذا الأساس فكلنا شيعة محمد ﷺ، وعلي ﷺ وآل البيت عموما؛ لأن هذا منهجهم، ومن زعم أنه من شيعة علي ﷺ، وكان على غير هذه المقاصد، فهو إما تابع لابن سبأ، وإما جاهل بهذه المقاصد مُغرّر به، فإن كان تابعا لابن سبأ فلا شك في مجوسيته ويهوديته، وأنه حرب على الإسلام والمسلمين، وإن لبس عباءة حب آل البيت، فإنما هي شكل لا مضمون، وإن كان جاهلا مُغرّرا به، فندعوه إلى نبع الإسلام الصافي: الكتاب والسنة، ونحذره من البقاء في وحل الباطنية، والتبعية لأئمتها المضلين، وقد قال رسول الله ﷺ: « **إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، ولن تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي المشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، وسيخرج في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي، و لكن لا تزال في أمتي طائفة يقاتلون على الحق، ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله** » ٢، فمن عرف الحق واهتدى فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن اختار مزاعم ابن سبأ فتلك مجوسية معلومة، ومن بقي جامدا على جهله فلا يصح أن يكون من شيعة علي بل هو من الرافضة وهم الذين ناصبوا أصحاب رسول الله

---

١) أخرجه مسلم، حديث (٢٢٩٥).
٢) الحاكم، حديث (٨٣٩٠).

العداء الشديد، ولم يستثنوا من تكفيرهم، إلا عليا وآل البيت ﷺ، ونفرا قليلا: خمسة أو سبعة أو تسعة، ولم يصل إلى العشرين من توغل في الاستثناء، وزعموا أن الصحابة ارتدوا وحبط عملهم، وأعجبهم قول رسول الله ﷺ: « **إني لكم فرط على الحوض. فإياي! لا يأتينّ أحدكم فيُذب عني كما يُذب البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقا** »[1]، ليستشهدوا به على ردة الصحابة ﷺ، لقول: « **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا** » واستدلالهم باطل؛ لأن الصحابة ﷺ وردت تزكيتهم في الكتاب والسنة، وبإجماع المسلمين أن الصحابة ومنهم الخلفاء لم يرتدوا، ولم يكن فيها إلا نفر قليل، منهم بعض الأعراب الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، فلما توفي رسول الله ﷺ، ارتدوا ومنعوا الزكاة، فقاتلهم على ذلك أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، وعاد أكثرهم إلى الإسلام، وأبلوا في الفتوح بلاء حسنا.

أما الحديث فهو عند عامة المسلمين من العام الذي يراد به الخاص، وما أكثر ذلك في الشريعة الإسلامية، وليس المراد به كل فرد من الناس: الصحابة أو غيرهم، وهم يستدلون بحديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال له: « **فإني مسر إليك سرا لا تحدثن به أحدا أبدا، إني نهيت أن أصلي على فلان وفلان** »، رهطٌ ذوي عدد من المنافقين، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف عمر ﷺ، كان إذا مات الرجل من صحابة النبي ﷺ ممن يظن عمر أنه من أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة فقاده، فإن مشى معه صلى عليه، وإن انتزع من يده لم يصل عليه، وأمر من يصلي عليه[2]، واستدلال الرافضة بهذا على تكفير الصحابة باطل لأمرين:

أولا: أن الله ﷻ أخبر نبيه ﷺ في كتابه العزيز بصفات المنافقين، فهو يعرفهم بصفاتهم، وإن كانوا يصحبونه في ظاهر الحال، لكنه يعلم مآلهم فمنهم من تدركه رحمة الله ويتوب ويحسن إسلامه، ومنهم يبقى على نفاقه حتى يدركه الموت على الكفر بالله كما أخبره الله ﷻ بذلك: فقال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

---

1) البخاري، ومسلم، وهذا لفظ مسلم حديث (٣٤٥٠).
2) أخرجه البيهقي وغير مرسلا وموصولا.

عَظِيمٍ ﴾[1]، ثم إن المنافقين الذين عدهم رسول الله ﷺ نفر قليل بالنسبة لمجموع الصحابة ﷺ، وفي نهيه ﷺ عن الصلاة عليهم، وأخباره ﷺ حذيفة ﷺ بذلك إشارة إلى أنهم يموتون على الكفر.

ثانيا: إن المنافقين الذين أخبر بهم حذيفة عرفهم بأعيانهم، فقد ورد من طريق جبير بن مطعم أنهم اثنى عشر رجلا، لم يبق منه غير رجل واحد[2]، وقد قال حذيفة ﷺ: ما بقي من المنافقين إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لا يجد برد الماء من الكبر، فقال له رجل: فمن هؤلاء الذين ينقبون بيوتنا ويسرقون علائقنا، قال: ويحك! أولئك الفساق[3]، وهو كذلك فما كل فاسق منافق، فقد يقع المؤمن في المعصية وهو بريء من النفاق، ألم تسمع أنه ﷺ أتي بابن النعيمان وقد شرب الخمر فجلده، ثم أتي به فجلده، أتي به مرارا أربعا أو خمسا، فقال رجل: "اللهم العنه ما أكثر ما يشرب، وما أكثر ما يجلد"، فقال النبي ﷺ: « **لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله** »[4]، فتعميم الرافضة ذلك على جمع أصحاب رسول الله ﷺ أوقعهم في مصائب كبيرة وعظيمة وهي:

١ــ إن قولهم هذا طعن في الشريعة الإسلامية كلها، لأن الصحابة هم نقلتها عن رسول الله، ولا تقوم للرافضة الحجة بما يروون عن آل لبيت؛ لأن ما هو صحيح من الرواية عن آل البيت هو مروي عن صحابة غيرهم، وثابت عند أهل السنة، ولم ينفرد الرافضة إلا برواية الكذب والزور على آل البيت، ووضع الكثير منها تدعيما لعقيدتهم الباطلة في الصحابة وغيرهم، وقد طهر الله قلوب وألسنة وكتب أهل السنة من ذلك الدنس العظيم الذي وقع فيه الرافضة.

٢ــ إنه طعن في رسول الله؛ لأننا نقول: إن الصحابة اختارهم الله لرسوله أعوانا، قال عبدالله بن مسعود ﷺ: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون

---

١) الآية (١٠١) من سورة التوبة.
٢) فتح الباري (٣٣٧/٨).
٣) أخرجه ابن أبي شيبة المصنف (٣٧/٨).
٤) أخرجه عبد الرزاق المصنف (٢٤٦/٩).

على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيّء"[1]، والمراد بالمسلمين هنا الصحابة ﷺ، فالشريعة الإسلامية أفضل الشرائع وأكملها، ومحمد خير البشر، وأصحابه خير الناس، فهم المقارنون له ﷺ، والقرين بالقرين يقتدي، والرافضة لا يرون هذا في الصحابة، ويلزمهم الطعن في رسول الله ﷺ، ولا غرابة فيمن كان قرينه عبدالله بن سبأ، وابو لؤلؤة المجوسي.

٣ــ الطعن في الرب سبحانه وتعالى، وذلك على مراد الرافضة: لأن الله ﷻ أختار من الناس محمدا نبيا ورسولا، واختار من الناس أصحابا له وقرناء، وقد رماهم الرافضة بالردة، وجعلهم الله نقلة الشريعة، فكيف يسوغ هذا مع ما تعتقد الرافضة؟!!، هل يرضى الله لنبيه عبده ورسوله وخليله ﷺ يرضى له أصحابا أشقيا، ويزيغ قلوبهم بعد جهادهم مع رسوله، وشهادته لهم في كتابه العزيز، وشهادة رسوله لهم فيما صح وثبت عنه، اللهم لا، وسبحانك هذا بهتان عظيم، تبوء به الرافضة بين يديك، أنت تحكم بين عبادك، وأنت أحكم الحاكمين.

٤ــ إنه طعن في القرآن الموصوف من رب العزة والجلال بقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]، امتدح أصحاب رسول الله، وأنالهم من الفضل في الدنيا ولآخرة ما لم يحصل لأحد سواهم بعد الأنبياء والرسل، ولا ينكر هذا ويتأوله بالباطل والزور والبهتان على الله ورسوله إلا الرافضة.

٥ــ إنه طعن في آل البيت جميعا؛ لأنهم أتباع رسول الله وصحابته دون استثناء، وبناء عليه إما أن يكونوا على خير كما يعتقد أهل السنة، وهو الموافق لما جاء في الكتاب والسنة، وإما على شر كما هو لازم اعتقاد الرافضة، وهو مذهب ابن سبأ وأتباعه.

---

١) هو من الموقوف الذي له حكم الرفع، وسنده حسن كما في المقاصد الحسنة: ٣٦٧.

٢) الآية (٤٢) من سورة فصلت.

ما الحكم في قوم هذا شأنهم؟

الرافضة أحدثوا في الإسلام ما لم يأذن به الله، تبعوا عدو الله ابن السوداء اليهودي في عقيدة الرجعة، وبذلك فسروا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] فهم زنادقة، الصواب في أمرهم إعلان الجهاد عليهم من قبل أهل السنة والجماعة، ومحوهم من الأرض، فإن نفرا من أهل الشام شربوا الخمر وعليهم يزيد بن أبي سفيان، فقالوا: هي لنا حلال، وتأولوا هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، فكتب يزيد فيهم إلى عمر، فكتب عمر إليه: أن ابعث بهم إليَّ قبل أن يفسدوا مَن قِبَلك، فلما قدموا إلى عمر استشار فيهم الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين! نرى أنهم قد كذبوا على الله، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به فاضرب أعناقهم، وعلي ﷺ ساكت، قال: فما تقول يا أبا الحسن؟، فقال: أرى أن تستتيبهم فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشربهم الخمر، وإن لم يتوبوا ضربت أعناقهم، فإنهم قد كذبوا على الله، وشرعوا في دين الله ما لم يأذن به.

صدق أبو الحسن ﷺ ولكن الرافضة الزنادقة لا يستتابون، لأخذهم بالتقية، فتسقط عنهم الاستتابة، ويقع عليهم ضرب الأعناق.

فإذا كان هذا حكم علي ﷺ في نفر استحلوا بالتأويل ما حرم الله، فكيف بمن كذب على الله، وزور دينا للقضاء على دين الله[3]، وتبعوا ابن السوداء في القول بالوصية، وكما أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، فعلي ﷺ خاتم الأوصياء، وهذا افتراء على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، وبنوا على ذلك أن موالاة علي ﷺ ركن من أركان الإسلام، ومن لم يقل بها فهو كافر، حلال الدم والمال والعرض، وقالوا بحل المتعة، رغم رواية علي ﷺ تحريمها، ورد على ابن عباس فقال: « **إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة يوم خيبر، ولحوم الحمر الإنسية** »[4]، ولم

---

١) من الآية (٨٥) من سورة القصص .

٢) الآية (٩٣) من سورة المائدة .

٣) بتصرف، انظر: الاعتصام للشاطبي ٥٢٧/١.

٤) مستخرج أبي عوانة حديث (٧٦٤٨) .

يكتفوا باستحلال ما حرم رسول الله، بل وضعوا الأحاديث في ثواب المتمتع، من الرجال والنساء، وقد طفحت كتبهم بذلك، وهي ظاهرة الكذب والتزوير، لا يقبلها إلا زنديق، ومعلوم أن أول من نشر الكذب على رسول الله ﷺ الرافضة، لأنهم كفَّروا أصحاب رسول الله ﷺ، وزعموا أن الطريق الصحيح لأخذ الرواية هو ما كان عن آل البيت فقط، فاندفعوا لتأييد زعمهم إلى خلق أحاديث منسوبة إلى آل البيت ﷺ، مستغلين حب الناس لآل البيت ﷺ، مصرحين بردة الصحابة وكفرهم، حتى يتم لهم ما يريدون من هدم الإسلام الصحيح، وقد زعموا العصمة لعلي والأئمة من ذريته ﷺ، بل زعموا لهم القدرة على تسيير الكون نيابة عن الله ﷻ، وزعموا أن حساب الخلق في الآخرة موكّل به علي، وغير ذلك كثير دوِّن في كتبهم، وعلى رأي أبي الحسن علي رضي الله عنهما، فقد شرَّعوا في دين الله ما لم يأذن به، والحكم فيهم القتل.

مسلمــــــون ولــــــكن

المسلمون اليوم زادوا على مليار مسلم، ومع هذا العدد الهائل، فإنهم متخاذلون، أذلاء، فرطوا في أسباب العزة والمنعة، وسلبتهم ملذات الدنيا وشهواتها، فنسوا الله ﷻ في عظائم الأمور من دينهم، فأنساهم الله ﷻ أنفسهم، فتحقق فيهم قول رسول الله ﷺ: « **إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** »[١] وقوله: « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها** » قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟، قال: « **أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن** » قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: « **حب الحياة وكراهية الموت** »[٢] والمشكلة في أن الكثيرين من المسلمين اليوم ما عرفوا الإسلام الصحيح، وانتشر فيهم العمل بالبدع والمحدثات في الدين، وما لم يكن في عهد النبوة، والخلافة الراشدة، فلم يتمسكوا

١) أبو داود حديث (٣٤٦٢).
٢) أحمد حديث (٢٢٣٩٧).

بالنهج ذاته بل حادوا عنه، وتأثروا بأحداث الفتنة بين عثمان وظالميه، وبين علي وظالميه، ويزنوا الأمور بما كان نهجا نبويا، فعدم فهم الكثيرين من المسلين اليوم لهذا الجانب بدقة وعمق وتجرد، جعلهم يقعون فيما نسب إلى الإسلام وليس منه، ومن ذلك التعصب المذهبي مع وجود الدليل الشرعي، والتعصب العقدي، مع قيام أدلة الحق وقرائنه، والتعصب السلوكي، وتربية النفس على بدع ما أنزل الله بها من سلطان، وكل يدعي وصلا ليلى وليلى لا تقر له بذاكا، كل يقول: إنه مسلم وأن الحق معه، وهم في طامة عظمى يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، وما كان هذا والله بين المسلمين في عهد النبوة ولا الخلافة الراشدة، لكن الحاقدين على الإسلام دبروا المكائد للإسلام وأهله، ورسموا خطط التدمير فأجادوا وتقبل السذج من المسلمين الفكرة، حتى أو صلتهم إلى الدمار في الدنيا، والهلاك في الآخرة، والأمثلة حية ملموسة اليوم: دعوى تحرير المرأة، والأمر أن حرية المرأة معلومة في الإسلام، لا مطعن فيها ولا اعتراض عليها من المسلمين، فخالقها العالم بما يصلحها وما يفسدها حدد واجباتها، وبين حقوقها، في إطار يكرمها ويجعلها عزيزة مصونة إلى أن تلقى الله ﷻ، والذين يعترضون على حقوق المرأة وغيرها من الأمور المشروعة في الإسلام واحد من ثلاثة:

١ـ إما كافر بمحمد ﷺ، وبما نزل عليه من الحق، كاليهود والنصارى والذين أشركوا، فهذا لا غرابة في طعنه على حقوق المرأة وغيرها من القرارات الشرعية في الإسلام، لأنه عدو للإسلام ونبيه جملة وتفصيلا، فمن الطبيعي جدا أن يمكر ويدبر ويخطط لكسر ما عند عدوه من قيم وفضائل، ترتقي بها عن مرابض الدواب وسلوكياتها كما هو الحال في بلاد الغرب ومن شايعها، ومن تدبير عدو الإسلام اصطياد المغرورين بما لديه من تفوق علمي واقتصادي، وانفلات في القيم والفضائل، باسم الحرية، وقد نجح الأعداء في هذا الجانب من خطط تدمير الإسلام وأهله إلى حد كبير، فكان لهم قطعان من البشر يسومونها في أوطان المسلمين لتنفيذ مشروع التدمير، بألفاظ معسولة، وأفكار مغسولة من القيم والفضائل، تذليلا لإنشاء مراتع الشهوات والقضاء على الإسلام وأهله؛ لأن الإسلام قيم وفضائل، وللأسف نجحت تلك القطعان في القيام بخدمة العدو، بسبب ما هيئ

لهم من التلميع الإعلامي، والوصول بهم إلى مراكز مؤثرة في الفكر والسلوك الاجتماعي، فاستجالوا الكثيرين من البسطاء من أبناء المسلمين، لانبهارهم بما حصل عليه دعاتهم من شهرة، وتسويق واسع لأفكارهم المسمومة، ولبعدهم عن نهج العهد النبوي والخلافة الراشدة، وما تلا ذلك من الخير، ولذلك وقعوا في حبائل الأعداء وأذنابهم.

٢ــ ثلة من أبناء المسلمين أوفدوا إلى بلاد الأعداء وهم غير محصنين بالقيم والفضائل الدينية، نعم أخذوا جرعات محدودة، سرعان ما تبددت من أذهانهم إما لأنهم أخذوا لغرض دنيوي، فانتهى استذكارها والعمل بها بعد الحصول على الشهادة ومنحة السفر إلى بلاد الأعداء، أو أنها لضعف التحصيل فيها تبددت أمام ما رأى من حضارة في بلاد الغرب، وأمام ما قدم له من أفكار أسهمت في القضاء إلى حد كبير على ما لديه من قيم وفضائل إسلامية، بعد أن أقنعوه بأن السبب في عدم وجود تلك الحضارة في بلاد الإسلام بالصورة ذاتها في بلاد الغرب إنما هو الإسلام الذي يحرم كل شيء في نظرهم، هذه الثلة من أبناء المسلمين عادت إلى الوطن الإسلامي سهاما مسمومة وموجهة إلى الجسد الإسلامي بحقد شديد، وهم من القطعان الذين تقدمت الإشارة إليهم، لكنهم دونهم في اتخاذ القرار، جندوا لهدم الإسلام بدعاوى التحرير، والتقدم والتحضر، ورموا الإسلام زورا وبهتانا بأنه سبب في التخلف والتحجر، وكبت الحريات، وهذه الثلة مهمتها تهيئة الناس للمشروع المعادي للإسلام، ليتم اتخاذ القرار من مالكيه في الوقت المناسب، ولا يخلو حال هذه الثلة من إحدى ثلاث:

أ ــ إما أن تكون لهم بقية من قيم ومرجعية دينية، لكنهم يرون حصرها في العبادة، ولا علاقة لها بشؤون الحياة على مبدأ فصل الدين عن الدولة، وهؤلاء خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، والعمل السيئ كبير جدا وأثره على الإسلام وأهله كبير، وهو ما أوصل المسلمين اليوم إلى الذل والإذعان للغرب في كل المجالات، وتحجيم الدور الإسلامي في حياة المسلمين إلى حد بدأ الأعداء يفكرون في تنفيذ أسباب اقتلاعه من جذوره، ليعود المسلمون في جاهلية جديدة تفوق الجاهلية الأولى، فلا هم بالمسلمين، حقا ولا هم كفار من الدرجة الأولى عند الغرب، وإن

رضي الغرب بالنتيجة فسوف يكونون كفارا من الدرجة الثالثة وربما أبعد، على غرار معاملة إسرائيل لليهود فليسوا كلهم في طبقة واحدة عندهم.

ب ـ وإما أن تكون مرجعية القيم لديهم غربية بحته ولا علاقة لها بالإسلام ففي هذه الحال أصبحوا أعداء خلّص للإسلام وأهله شأنهم شأن الغرب تماما، والواقع أن العالم الإسلامي لا يخلوا من أصحاب الأمرين وهم كما قال الرسول ﷺ: « **دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا** »[1]، وكم من أبناء المسلمين من خرج ضالا مضلا يدعي النبوة، وكم منهم من ينادي باستبعاد العمل بالسنة النبوية الصحيحة، والعجب العجاب أن زعيما كان لشعب مسلم يصلي بالناس العصر ثلاث ركعات، ويسلم عامدا لا ساهيا فيذكّر، فيقول: هات دليلا من القرآن على تحديد الركعات في الصلاة، فيقال: إنه مبين بالسنة النبوية، فيقول محمد رجل وأنا رجل، ويمزق صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ويضع كتابا يضاهي به القرآن، ويلقب نفسه رسول الصحراء، وزعيم آخر لشعب مسلم يمنع تعدد الزوجات، ويبيح للعمال الفطر في رمضان، حتى لا يتدنى إنتاج المصانع في بلده، وأي مصانع يا ترى!!، ويقول للعمال: افطروا ولن أدخل الجنة إلا وأنتم معي، وله طامات لقي ربه بها، وزعيم آخر يغزو بلدا آمنا مجاورا مد له يد العون في الرخاء والشدة، يتخذ قرار الغزو تحت تأثير تعاطي المخدرات كما قيل، وزعيم شعب مسلم يعلن كفانا مساجد، ويصدر أمرا بمنع بناء المساجد في بلاده التي يدين أهلها بالإسلام، هؤلاء يخشون الإسلام، ويخافون من الملتزمين به على الوجه الصحيح، فإذا ما سنحت لهم فرصة لضربه تذرعوا بأي خطأ يقع من شاذ، أو جاهل مراهق غُرّر به، أو جماعة لم تسلك المنهج النبوي الصحيح، وعمموا ذلك على المسلمين، وأجروا التنكيل بكل أحد، دون وازع ولا ضمير، وما أكثر ما تغيب حقوق الإنسان في السجون والمعتقلات، ولا يطالبون بها إلا في حاله مناقضة الإسلام، وتدمير ما جاء به من الحق، فماذا يقول أبناء جلدتنا، والذين يتكلمون بألسنتنا؟!، إذا ما لقوا ربهم، أم أنهم لا يؤمنون بالبعث؟ ولا مفر لهم من

---

١) البخاري حديث (٧٠٨٤) ومسلم حديث (١٦٤٧).

لقاء الله تعالى، إنهم صنائع الغرب لضرب الإسلام في عقر داره، وبأيدي أبنائه العاقين المارقين من القيم، هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وهذا غيض من فيض، والأمثلة كثيرة ولا حصر لها، وتُبارك القطعان الموجهة من أعداء الإسلام هذه التصرفات، ويطبل لها الإعلام الخائن المأجور، وتتقبل الشعوب الإمعة الساذجة هذه الترهات، ويكمم دعاة الحق والفضيلة، ويقتل منهم من يقتل، ويوضع في غياهب السجون الآلاف المؤلفة منهم يسامون سوء العذاب، كل هذا يتم بواسطة صنائع الغرب من أبناء المسلين، هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وتمر بهم الأحداث إلى أن يكشف التاريخ للشعوب، ما أخفاه الغرب وقطعانه المسرّحة لهدم الإسلام وأهله، وحينئذ يقولون: هؤلاء الذين أضلونا.

ج ـ وإما أن يكونوا رعاعا، يتبعون كل نـاعق بحق وباطل، كما قال رسـول الله ﷺ: « **لا تكونوا إمعة تقُولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا** »[1]، وقد قابلنا الكثيرين منهم وناقشونا فيما يخص بلادنا مهد الإسلام ومنبع الفضيلة، زادها الله شرفا وحماية وحرسها من كل عدو ولاسيّما الأعداء اللذين هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ناقشنا السذج فلما أوضحنا لهم الحق مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة، والبيان وفق الواقع والشواهد من الأحداث، قالوا: ما عرفنا هذا، ظنناهم يريدون الخير لنا ولبلادنا، فكأني بهم لسذاجتهم إمعات إن أحسن الناس أحسنوا، وإن ظلموا ظلموا، وكأني بهم عند ظهور الحق يقولون: ﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾[2] هذا واقع المسلمين اليوم، بعدٌ عن نهج النبوة والخلافة الراشدة، وشتاتٌ وفرقةٌ، وهوى متبعٌ، وشهواتٌ لا حصر لها، تدميرٌ للقيم والفضيلة، وظلم واستبداد، واتباع لفكر الغرب ومخرجاته المنتنة، فتحقق في الأمة الإسلامية أنها غثاء كغثاء السيل.

أما النساء المستغربات فلسن صنائع مباشـرة للغـرب، بـل صـنائع الصـنائع، فأولياؤهن من الصنائع، دعَوهن إلى الفكر الغربي، وسمحوا لهن بالتبرج، وتلقـي الفكر الغربي، ومنهم من أوفد موليته إلى الغرب لتتلقى ما تلَقى هو من السـموم،

---

١) الترمذي حديث (٢٠٧٥).

٢) من الآية (١٦٧) من سورة البقرة.

من منابعها الدنسة، ومنهم من ساير الآخرين من الأتباع السذج، فخرج على الإسلام نساء يطعنن على ما جاء به في شأن المرأة: فالحجاب يطلبن بدلا عنه تبرج الجاهلية الأولى، وإلعدّة في الطلاق أو الوفاة ينادين بإلغائها والاكتفاء بالكشف المخبري، والأجانب عندهن لا فرق بينهم وبين المحارم، تكلم من تريد، وتجلس مع من تريد، وتسافر مع من تريد، في وقت نسيت أو تناست المرأة المغرورة، أن ربها وخالقها تعبّدها بهذه الأمور فالحكمة منها قبل كل شيء التعبد لله لأنه تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ١، ولا تخرج المرأة من التكليف بأنواع العبادة إلا إذا لم تكن من الجن والإنس، فالعبادة ليست قاصرة على الصلاة والصيام، ولا على الزكاة والحج، هي كذلك قائمة في الاعتقاد وفي الأقوال والأفعال، ومن ثمار التعبد ظهور القيم والفضائل والعزة والكرامة في أكمل صورها، فالله تعالى خلق الإنسان وجعله يعيش حياة دنيوية قصيرة، لابتلائه بما جاءت به الرسل، فيظهر المحسن والمسيء، وينال كل منهما جزاءه في الحياة الآخرة الأبدية، قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٢، ومقتضى ما أقدم عليه المستغربون رجالا ونساء من هذا السلوك وتلك الدعوة القذرة، أن الله وهو خالق المرأة جاهل بما يصلحها، وأن ما نزل على محمد ﷺ من الكتاب والسنة لم يعد صالحا لحال المرأة اليوم، ولا عادلا في شأنها، وأصبحت قوانين الغرب وسلوكياته هي ما يصلح به شأن المرأة، فالمستغربون اليوم أحسن منهم الجاهليون الأولون حين قالوا: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ ٣، وقد كان آباؤهم على الضلال، فلم يبغوا بما كان عليه آباؤهم بديلا، والمستغربون اليوم وجدوا آباءهم على الحق والهدى، نهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فبرزوا لهدم ما عليه آباؤهم من الهدى، وتباروا لإرساء الزندقة والكفر على أنقاض الفضيلة والقيم الإسلامية، كل هذا من أجل مشاركة الغرب حياتهم البهيمية، ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

---

١) الآية (٥٦) من سورة الذاريات.
٢) الآية (١) من سورة الملك.
٣) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

﴿أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ١، حتى تداعت الأمم اليوم على المسلمين من كل حدب وصوب، بعد أن دمروا الأخلاق والقيم، ينهبون الثروات، ويسومون المسلمين سوء العذاب، والمسلمون يصدق عليهم أنهم غثاء، وليسوا في نظري أحسن حالا من قبيلة إياد في الجاهلية التي استعدى عليها أعداؤها من كل مكان، ولم يسمعوا نداء المصلح من عقلائها أحد شعرائها وهو لقيط بن يعمر الإيادي إذ قال لهم:

بل أيها الركب المزجى على عجل ** نحو الجزيرة مرتادا ومنتجعا

أبلغ إيادا وخلل في سراتهم ** إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

يا لهف نفسي أن كانت أموركم ** وأحكم أمر الناس فاجتمعا

ألا تخافون قوما لا أبا لكم ** أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

فهم سراع إليكم بين ملتقط ** شوكا وآخر يجني الصاب والسلعا

لو أن جمعهم راموا بهدته ** شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا

في كل يوم يسنون الحراب لكم ** لا يهجعون إذا ما غامل هجعا

خرزا عيونهم كأن لحظهم ** حريق نار ترى من السنا قطعا

لا الحرث يشغلهم بل لايرون لهم ** من دون بيضتكم ريا ولا شيعا

وأنتم تحرثون الأرض عن سفه ** في كل معتمل تبغون مزدرعا

وتلبسون ثياب الأمن ضاحية ** لا تجمعوم وهذا الليث قد جمعا

وقد أظلم من شطر ثغركم ** هول له ظلم تغشاكم قطعا

ما أراكم نياما في بلهنية ** وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

فاشفوا غليلي برأي منكم حسن ** يضحي فؤادي له ريان قد نقعا

قومو قياما على أمشاط أرجلكم ** ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا

يا قوم إني لكم من عز أولكم ** إرثا أحاذر أن يودي فينقطعا

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ** على نسائكم كسرى وما جمعا

هو الجلاء الذي يجتث أصلكم ** فشمروا واستعدوا للحروب معا

---

١) الآية (٤٤) من سورة الفرقان.

هذا كتابي إليكم والنذير معـــــا ** فمن رأى مثـــل ذا رأيا ومن سمعـــا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخـــل ** فاستيقضـــوا إن خير العلم ما نفعـــا

هذا والله حال المسلمين اليوم مع العالم الآخر، ولا يأس من روح الله، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وتبقى طائفة من المسلمين المؤمنين قائمة بالإسلام الصحيح، أتباع عهد النبوة والخلافة الراشدة، وينتصر الإسلام، ويقوى المسلمون، ويختم لهم بخير، خبر من لا ينطق عن الهوى ﷺ، قال ﷺ « **لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** »[١].

الطـــريـق إلـى وحــدة المسلمــين

يحسن بنا في هذا العصر الذي تفجرت فيه المعلومات، وكثر فيه القُرَّاء والعلماء والباحثون، وتحررت فيه عقول من قيود التبعية لغير الله ورسوله، وبما أن الأساس الذي لا يختلف عليه المسلمون هو الإيمان بالله ربا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا وبالإسلام دينا، ولم تخدش وحدة المسلمين إلا بموت رسول الله وما تلا ذلك من أمر الخلافة، خلاف حدث بين أصحاب رسول الله في الاستحقاق وليس في الجواز، فإننا ندعو العقلاء اليوم على اختلاف مذاهبهم، ندعوهم إلى التجرد، ودراسة الحال بينهم بتجرد كامل، ونية صادقة للوصول إلى الحق وقبوله والعمل به، طاعة لله ورسوله، وعودة بالمسلمين إلى وحدة الاعتقاد والإتباع والمنهج، متخذين قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]، شعارا للتجرد والإنصاف، وإذا كان الإصلاح بين المؤمنين مطلوباً في الحقوق الخاصة والعامة، فإنه في العقيدة أوجب الوجبات، إن رسول الله يقـــول: « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة** »[٣]، وما دام الأمر كذلك نتساءل ما أسباب هذا الافتراق؟، والجواب لم نقف

---

١) البخاري حديث (٣٦٤٠) وفي مواضع عدة، ومسلم حديث (١٥٦) وفي مواضع عدة.

٢) الآية (١٠) من سورة الحجرات.

٣) رجاله ثقات، الدرامي حديث (٢٥٨٢).

على سبب فرّق الأمم السابقة سوى الاعتقاد، وما بعث الله رسولا إلا قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ١، قالها نوح، وإبراهيم، وهود، وصالح، وشعيب، وموسى، وعيسى، عليهم السلام، كانت دعوتهم متفقة على عبادة الله وحده لا شريك له؛ لأنها محور الوحدة بين العباد، وهي سبيل الله الذي لا يضيع سالكه أبدا؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ ٢، ونهى تعالى عن سلوك أي سبيل آخر لأنها طرق ضلال نهايتها إبعاد سالكها عن الصواب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ٣، أكد تعالى هذا الشأن بأن جعله وصيته لعباده، لأن الوصية زيادة حرص على الموصى به، والعمل بها مضمون العاقبة؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ٤، وأكثر مما ذكرت أن الله تعالى طالب كل أمة بعبادته وحده لا شريك له، وأمرهم باجتناب كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ٥، ومع ذلك لم يُرزق بعضهم الهداية إلى عبادة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ ٦.

ويكفي دليلا على كثرة الفرق الضالة استعراض فرق الخوارج، والرافضة، ومن تسموا بالشيعة، وفرق الصوفية فإنه يُرى العجب العجاب من كثرة الفرق واختلافها في العقيدة والمنهج، وما بينها من العداوة والبغضاء؛ يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، ومن كان له عقل نظيف يجزم بأنهم ليسوا من الناجين،

---

١) أنظر الآيات (٧٢) من سورة المائدة، والآيات (٥٩، ٦٥، ٧٣) من سورة الأعراف، والآية (٥٠، ٦١، ٨٤، ١٣٨) من سورة هود، والآية (١٦) من سورة العنكبوت، والآية (١٥) من سورة الشورى، والآية (٦٤) من سورة الزخرف، والآيات في هذا الصدد كثيرة في كتاب الله ﷻ.

٢) من الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

٣) من الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

٤) من الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.

٥) من الآية (٣٦) من سورة النحل.

٦) من الآية (٣٦) من سورة النحل.

فالنجاة لا تكون إلا بالعمل بالكتاب والسنة، والتركيز على وحدة المعبود والمتبوع والمنهج.

إذًا من هي الفرقة الناجية؟ دعونا نحصر الأمر بين الفرقتين: السنة والشيعة، فيا ترى أهي السنة، أم هي الشيعة بفرقها، وبزعم أن الرافضة من فرق الشيعة، إن الحُكم الفصل لا يكون إلا بدراسة ما كان عليه الناس في عهد النبوة، وعهد الخلافة الراشدة، لكن يجب أن تكون الدراسة بصدق وأمانة وتجرد، فلا غش ولا كذب، ولا تأويل ولا تحريف، بل دراسة خالصة بغية الوصول إلى الحق، واعتماده بوضوح وجلاء، بغير هذا المنهج، ستكون محاولات التقريب المتناثرة هنا وهناك إضافة لآلاف الكتب المؤلفة في الخلاف بين السنة والشيعة، فلن تغير من الأمر شيئا لأنها لم تُرزق الإخلاص والتجرد، بل تزيد الطين بلة، فهلموا إلى كلمة سواء، نبحث عن الحق وحتما سنجده، ولنجعل الحَكَم بيننا عهد النبوة، والخلافة الراشدة، ونستوعب النصوص من الكتاب والسنة، بما تدل عليه بشفافية، وروح إسلامية، من غير غلو ولا تأويل ولا تحريف، فإذا لم يتم هذا فإن بقاء الصراع بين الفرقتين سيبقى حتى يحكم الله بين عباده، وهو أحكم الحاكمين.

السنة والشيعة

لم يعرف المسلمون هذه التسمية في عهد النبوة ولا عهد الخلافة الراشدة، وإن كان وجد شيء من الميل لعلي ﷺ عند بعض المسلمين بعد موت رسول الله ﷺ، فإنه ميل فطري وله ما يبرره، فإن محبة رسول الله ﷺ لعلي معلومة أسبابها فهو ابن عم رسول الله ﷺ، وكانت لأبي طالب مناصرة لنبينا محمد ﷺ[1]، وعلي ﷺ هو

---

[1]) يكفي دليلا عليها قول أبي طالب في لاميته:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ** فهم في نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله يبزى محمد ** ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ** ونذهل عن أبنائنا والحلائل

"الاستذكار ٢/٤٣٣".

ربيب رسول الله ﷺ، وأول من آمن به من الصبيان، وهو البائت في فراش رسول الله ﷺ عندما أمر بالهجرة، ولهذا العمل العظيم أثره في مقام علي ﷺ ليس عند رسول الله وحده، بل عند الأمة بأسرها، فقد عرّض نفسه للهلاك فداء لرسول الله ﷺ، وهو زوج ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة؛ أو نساء المؤمنين[1]، رضي الله عنها، وهو أبو الحسنين رضي الله عنهما سيدي شباب الجنة[2]، وهو المشهود له بمحبة الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: « **لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله** »[3]، وهو المشهود له بالجنة، فكان من الطبعي أن يتطلع لولاية أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ للأسباب ذاتها، ولغيرها من الفضائل، ولم يدر بخلده سوى أن المسلمين لن يختلفوا عليه لما يُرى من مكانته من رسول الله، ولمحبة المسلمين له ﷺ، مع اعترافه بفضل أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ؛ وكان أمر تجهيز النبي ﷺ أهم من ذلك فبدأ به ولم يحضر إلى سقيفة بني ساعدة، هذا كل ما عُرف من أمر علي ﷺ في شأن الخلافة، لكن لفراغ موقع القيادة النبوية للمسلمين ولأهمية ملء ذلك الفراغ، بادر بعض الصحابة ﷺ وهم عدد قليل من خيار الصحابة وفضلائهم، وعلي نفسه ﷺ لا يشك في ذلك، بل أكده فيما بعد، وكان سعد بن عبادة ﷺ ممن بادر في جمع من الأنصار إلى السقيفة دون علم المهاجرين متطلعا إلى ولاية أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، وهذا أمر طبعي أيضا وله مبرراته، فإنه شيخ الخزرج، وهو أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، وأحد النقباء الاثني عشر[4]، وكان سيداً في الأنصار، مقدماً وجيهاً له رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها[5]، وكان من مستشاري رسول الله ﷺ هو وسعد بن معاذ، دون سائر الأنصار ﷺ، لأنهما سيدي قومهما، أشار عليه في غزوة بدر، ويوم الخندق، وكانت راية رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة ﷺ[6]، فرأى أن من حقه وحق قومه أن يلي أمر

---

١) البخاري حديث (٣٦٢٤) وفي مواضع عدة، ومسلم حديث (٢٤٥٠).
٢) ابن حبان حديث (٦٩٦٠).
٣) البخاري حديث (٣٠٠٩) وفي مواضع عدة، مسلم حديث (٢٤٠٤) وفي مواضع.
٤) الإكمال ١/٢٥٣.
٥) الاستيعاب ١/١٧٨.
٦) الاستيعاب ١/١٧٩.

المسلمين، وحضر من المهاجرين أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ﷺ لما علموا باجتماع الأنصار على رأس سيدهم، فتكلم أبو بكر ﷺ؛ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا معشر الأنصار، إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب، ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام، ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ـ قال عمر: لي، ولأبي عبيدة بن الجراح ـ فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة"، قال: عمرﷺ "فو الله ما بقي شيء كنت أحب أن أقوله إلا وقد قاله يومئذ، غير هذه الكلمة ـ يعني ترشيحه ـ فو الله لأن أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا في غير معصية، أحب إلي من أن أكون أميرا على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قلت: يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار: أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار، فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتتابع الناس"[1]، فصدق قول رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: « **ادعي لي أباك وأخاك، حتى اكتب لأبي بكر كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[2]، ولم يكتب ﷺ شيئا، وأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ﷺ، واجتمعت عليه الكلمة، ولم ينازع في ذلك بقول ولا فعل، لا من الأنصار وسيدهم سعد بن عبادة ﷺ، ولا من علي وبني هاشم ﷺ، وعلموا أن ذلك اختيار من الله ﷻ لأمة محمد ﷺ، وقد تخلف سعد بن عبادة ﷺ عن بيعة أبي بكر ﷺ، وخرج من المدينة ولم ينصرف إليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام[3] قد يكون في نفسه شيء، لكنه ﷺ لم ينازع في الأمر، ولم يغمز أبا بكر ولا أحدا من المهاجرين؛ فهو يعلم مكانة أبي بكر في الإسلام وعند رسول الله ﷺ، ولكي يحمي نفسه من حب السيادة على الأمة خرج من

---

١) أخرجه ابن أبي شيبة، المصنف (٥٧١/٨).
٢) أخرجه مسلم حديث (٢٣٨٧).
٣) الاستيعاب ١٧٩/١.

المدينة إلى الشام، وطابت نفس علي ﷺ وبايع أبا بكر، وسارت الأمور على خير ما يرام، حتى وفاة عثمان ﷺ والوحدة الإسلامية في أوج كمالها بحماية الله ثم حماية أبي بكر والمسلمين لها، لم يسع الناس إلا بمسمى واحدا للمسلمين: فيرددون: فتح المسلمون، خرج المسلمون، انتصر المسلمون، عاد المسلمون، لا خوارج ولا شيعة ولا صوفية، ولا أي بلية أخرى.

فكانت البلوى بعد البلية الأولى قتل عثمان ﷺ المشهود له بالجنة عليها، فقد قال رسول الله ﷺ لما استأذن عثمان بعد استئذان أبي بكر وعمر ﷺ: « **ائذن له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه** »[١]، صدق رسول الله ﷺ إنها بلوى ليست على عثمان المأجور عليها، بل على الأمة التي أصابها الصدع الأول في الوحدة الإسلامية، فكان قتل عثمان من قبل قوم تعدوا وظلموا ثلما مؤثرا في جسد الأمة، وهو الباب الذي كسر على قولٍ، وقيل الباب عمر، وهو ما أخبر به حذيفة بن اليمان ﷺ أمين سر رسول الله ﷺ، حين قال عمر ﷺ لأصحاب رسول الله ﷺ: "أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟"، فقال حذيفة: أنا سمعته يقول: « **فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، يكفر ذلك الصوم والصلاة والصدقة** » فقال عمر: "ليس هذا أريد ولكن قوله في الفتنة التي تموج كموج البحر، يتبع بعضها بعضا" قال: "فلا تخفها يا أمير المؤمنين فإن بينك وبينها بابا مغلقا" فقال: "كيف بالباب أيفتح، أو يكسر؟"، قال: "بل يكسر، ثم لا يغلق إلى يوم القيامة"[٢]، والمراد بكسر الباب قتل عثمان ﷺ، أو قتل عمر، وفعلا هو الباب الذي كسر بعد موت رسول الله ﷺ، وعبر بالكسر إشارة إلى عدم إمكان إصلاحه ليغلق مرة أخرى أمام الفتن، فلا غلق إلى قيام الساعة، وتتوالى الفتن من ذلك الحدث إلى أن تقوم الساعة، ولذلك كثر التحذير من الفتن؛ لأنها ابتلاء واختبار من الله ﷻ لهذه الأمة، وقل من يجوز ذلك بنجاح، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾[٣]، وهي تمحيص للإيمان، ولكن المبعوث رحمة

---

١) البخاري حديث (٣٦٧٤).
٢) الفتن لنعيم بن حماد ٢٣/١.
٣) الآية (١٥٥) من سورة البقرة.

للعالمين ﷺ، أشار لما هو واقع منها لا محالة، نصحا بلزوم منهج الكتاب والسنة للنجاة منها؛ لأن الفتنة محنة شديدة في الدين، ولذلك عمم رسول الله ﷺ وخصص، وكل ما جاء عن الصحابة في أمر الفتن فهو منقول عن رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي أطلع الله عليه نبينا محمدا ﷺ ليعلم حال أمته من بعد، ويحذرها من أهوال الفتن لينجو منها من كتب الله له النجاة، ومن ذلك قول أنس بن أبي مرثد الأنصاري ﷺ: إن رسول الله ﷺ قال: « **ستكون فتنة بكماء صماء عمياء، المضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن أبى فليمدد عنقه** »[١]، ولا أظنها والله إلا فتنة قتل عثمان ﷺ، ومن بعد ذلك ما حدث بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

فالفتن كثيرة وردت فيها أحاديث كثيرة مذكورة في مظانها من كتب السنة، وفيها كتب خاصة، فليكن المؤمن العاقل محتاطا لدينه، فإن الفتن على وجوه كثيرة، قد مضى منها فتن عظيمة نجا منها أقوام، وهلك فيها أقوام، باتباعهم الهوى وإيثارهم للدنيا، فمن أراد الله تعالى به خيرا فتح له باب الدعاء والتجأ إلى مولاه الكريم، وخاف على دينه، وحفظ لسانه وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة والسواد الأعظم، ولم يتلوّن في دينه، وعبد ربه ﷻ فترك الخوض في الفتنة، فإن الفتنة يفتضح عندها خلق كثير، وقد أخبر النبي ﷺ وهو يحذر أمته الفتن؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « **يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا** »[٢]، ومن أعظم الفتن في هذا الزمان فتنة المال والنساء، وفتنة الأفكار الهدامة، لأنها تنشر بدعوى التحرير والتجديد والتطوير، بل هناك من تجرأ وقال: سبب تأخر المسلمين الإسلام، بل منهم من قال: القرآن كان وراء تخلف المسلمين، فصدق على المتمسكين بمنهج الكتاب والسنة قول النبي ﷺ: « **يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر** »[٣].

---

١) الشريعة١/٥٠.
٢) انظر: الشريعة١/٥٠.
٣) الترمذي حديث (٢٢٦٠).

حدث أول خلاف في الإسلام لم يجبر، كان عثمان ﷺ الباب الذي كسر لتتدلع الفتن في الأمة، الفتنة تلو الفتنة لأسباب وأغراض شتى، فلعن الصحابة من قتل عثمان ﷺ، ولعنت عائشة، وأمَّن الناس، فسمع ذلك على ﷺ فقال: "اللهم العن قتله عثمان، اللهم العن قتله عثمان[1]، وقام خطيباً فحمد الله، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله، ﷺ، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث، الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، وحسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره"[2]، وصدق علي ﷺ فيما قال، ولكن الضلال أخذ من قتلة عثمان مأخذه، وطالب الناس عليا بقتل قتلة عثمان، حتى إن الزبير ابن عمة على ﷺ خرج لقتال علي ومعه طلحة وأم المؤمنين عائشة، فالتقى عليا رضي الله عنهما، وتحاورا حول ذلك الأمر إلى أن قال علي للزبير رضي الله عنهما: "تذكر يوم مررت مع رسول الله، ﷺ في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت إليه، فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ: « **ليس به زهو، لتقاتلنه وأنت ظالم له** » قال الزبير: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً"، فانصرف علي إلى أصحابه فقال: "أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم"، ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: "ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا"، قالت: "فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب"[3]، لكنها فتنة هاج الناس فيها وماجوا، وصاروا مختلفين في الرأي والغاية، منهم المنتصر لعثمان ﷺ، ومنهم المنتصر لعلي ﷺ، ومنهم الطامع فيما وراء ذلك من حظ الدنيا.

---

١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء٤/٣٩٠.
٢) الكامل٢/٤١.
٣) الكامل٢/٤٤.

الفـــرق بـــين الشـيـعـة والتـشـيـــع

المراد بالشيعة الأنصار والأعوان، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾[1] وقال حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾[2] أي من أنصاره في الدين والتوحيد إبراهيم عليه السلام، فاتضح أن للفظ "الشيعة" مسارين: ما يراد به القوم والعشيرة؛ فالذي من شيعة موسى هو من قومه بني إسرائيل، وما يراد به النصرة في الدين والاعتقاد كما حكى الله عن نوح وإبراهيم عليهما السلام.

فالشيعة قد يكونون أنصارا للحق، وقد يكونون أنصارا للباطل.

وكذلك التشيع: له مساران:

الأول: في الحق: وهو حب آل البيت على منهج الكتاب والسنة، وأن لهم الفضل والمكانة العالية لقربهم من رسول الله ﷺ، وهذا لا ينكره مؤمن بالله ورسوله، وعليه أهل السنة والجماعة، من غير إفراط ولا تفريط، وهو ما كان عليه المؤمنون في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين الثلاثة، لم يزد فيه عند البعض على أن عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة لما قدمنا من الأوصاف.

الثاني: في الباطل؛ فإنه لما حدث قتل عثمان رضي الله عنه استغل أصحاب الفتنة الموقف، في توسعة الفتنة بما حدث بين على ومعاوية رضي الله عنهما، ونحن لا نشك في أن الحق مع على رضي الله عنه، فانقسم الناس إلى موالين لعلي رضي الله عنه، وموالين لمعاوية رضي الله عنه، ثم انقسم الموالون لعلي بعد التحكيم، إلى موالين لعلي رضي الله عنه، ومفارقين له مكفرين للطرفين: علي وأصحابه، معاوية وأصحابه، فتحصل ثلاث فرق:

علي ومن شايعه، ومعاوية ومن معه، والخوارج ضدهما.

فسمي من شايع عليا رضي الله عنه شيعة علي رضي الله عنه، لأنهم يرون أحقية علي بالخلافة، لما تقدم ذكره في شأن علي رضي الله عنه ولم يجاوز الخلاف بينهم وبين من يرى أحقية الخلفاء الثلاثة بالخلافة حسب ترتيب الفضل، فأهل السنة يرون الخلافة صحيحة على

---

١) من الآية (١٥) القصص.
٢) من الآية (٨٣) من سورة الصافات.

الولاء: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ، والشيعة يرون عليا ﷺ الأحق أولاً، من غير سب للثلاثة ﷺ؛ هكذا كان الخلاف بين السنة والشيعة، ولكن التشيع لم يقف عند هذا الحد، ولو وقف عند هذا لهان الخطب كثيرا، لأنه خلاف لا يفقد للود قضية، ولم يخرج معتقدوه عن المعتقد العام لأهل السنة والجماعة، لكن تطور التشيع حتى خرج عن هذا تماما، وابتدع منهجا للتشيع بعيدا كل البعد عن المعتقد العام للرعيل الأول، وكان التطور مبنيا على خطة متدرجة في البعد عن منهج الكتاب والسنة، أحكم نسجها عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل، المتستر بالإسلام ظاهرا.

إن الله ﷻ أنزل كتابه العزيز على نبينا محمد ﷺ بلغة العرب، فالقرآن عربي، والرسول عربي، وقد امتدح الله ﷻ لغة العرب فقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]، ولذلك لم يعسر على العرب فهم دلالاته، من أول ما سمعوا رسول الله ﷺ يدعوهم إلى قول: "لا إله إلا الله"، فهموا معناها مباشرة دون تفكير ولا عناء، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2]، ولم يقل أحد من العرب: إن لهذا الكلام باطنا لا نعلمه، بل فهموه بدلالة الظاهر من غير تأويل ولا تحريف، ولم ينقل عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن لهذا القرآن باطنا لا يعلمه إلا الخواص، نعم ورد في التأويل قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]، والمراد أن القرآن الكريم فيه المحكم؛ وهو بين واضح لا لبس فيه، وفيه المتشابه؛ الذي يحتاج إلى الفهم الدقيق، ويحتمل التأويل وهو قليل، ولا يختلف عليه الراسخون في العلم، بل يؤمنون بالمتشابه؛ كإيمانهم بالمحكم؛ لأن كلاً من عند الله ﷻ، وعلى هذا درج العهد النبوي والخلافة الراشدة، فلما ظهرت الرافضة باسم الشيعة رفضت ذلك المنهج السوي، وشرعت في مناقضته جملة وتفصيلا، وجعلت للقرآن ظاهرا يعلمه

---

١) الآية (١٩٥) من سورة الشعراء.

٢) الآية (٥) من سورة: ص.

٣) الآية (٥) من سورة آل عمران.

العامة، وباطنا لا يعلمه إلا الأئمة والأولياء، ليتم لهم التحريف والتشويه، ومنه صنعوا أفكارهم في العبادة والاعتقاد، وأوغلوا في الاعتقاد في آل البيت، كل حسب رغبته وميوله، وما يريد الوصول إليه، فتحصل من ذلك زيغ في شـــأن علي ﷺ، وآخر في شأن الحسين ﷺ، وآخر في شأن فاطمة رضي الله عنها، وأفرغوا عليهم من أوصاف الألوهية ما لا يقره المجانين فضلا عن العقلاء، وجعلوا لمسمى الشيعة ظاهرا وباطنا؛ فظاهره ما يظن العامة أن المراد الانتصار لعلي بن أبي طالب: الخليفة الراشد ﷺ وذريته، والباطن وهو الحق أنهم شيعة عبد الله بن سبأ، وقد اجتمع في هذا التشيع الحقد المجوسي، والحقد اليهودي، لأن ابن السوداء المعروف بعبد الله بن سبأ، من يهود اليمن، دخل في الإسلام ظاهرا، وهو يهودي حاقد منتقم، كانت فكرة حب آل البيت مجالا لدعوته الناس إلى الكفر والزندقة؛ لأن ذلك يحقق له أنصارا لهم تأثير على الإسلام والمسلمين، وأتباعا من الرعاع، الذين يتبعون كل ناعق، ولحصرهم في مجال الفكر السبئي، جرى استخدام حب آل البيت مظلة، لذلك الفكر الذي لم يأل جهدا في تصوير كل ما جاء في الكتاب والسنة بطريقة مغايرة تماما لما كان عليه المسلمون قبل الفتنة، فكان منهج التشيع جملة الأفكار التي نشرها عبد الله بن سبأ، بناء على الدلائل التالية:

أولا: قام بتحريف مفهوم التشيع من مجرد المفاضلة بين علي بن أبي طالب الخليفة الراشد، والخلاف على أحقيته بالخلافة دون من سبقه، إلى أن القول بإمامته أمرا واجبا، وأن من لم يعتقد ذلك فليس بمسلم.

ثانيا: أوجد القول بالوصية لعلي بن أبي طالب الخليفة الراشد ﷺ، فهو أول من قال بالنص في الإمامة[١]، ولم يسبق إلى ذلك البتة، فأظهر الغلو في إمامة علي وذريته، مبتدعا النص عليها[٢]، ومن هنا دوَّن أفكاره الأئمة المضلون من شيعته، يقول الكليني: "ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً

---

١) رجال الشيعة للكشي: ص٧١، وفرق الشيعة للنوبختي: ص٢٢، وأنظر: الفصل في الملل والنحل ٩١/٢، ١٣٨/٤، ١٤٢.

٢) انظر: الفتاوى لابن تيمية ٤٣٥/٤.

إلا بنبوة محمد، ووصية علي عليه السلام"١، وزعم أنه كان ألف نبي لكل نبي وصي، وعلي وصي محمد، ومحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، فاستوعب القوم التشيع السبئ.

ثالثا: ادَّعى العصمة لعلي بن أبي طالب الخليفة الراشد ﷺ، وللأئمة من أبنائه وأحفاده. وهذا تشيع سبئي٢.

رابعا: ابن سبأ أول من قال بالرجعة، فزعم أن علي بن أبي طالب الخليفة الراشد ﷺ سيرجع، وأنه يملأ الأرض عدلا، وقد قصد من هذا التغرير بالتابع، فزعم أيضاً أن نبينا محمد ﷺ سيرجع إلى الدنيا، مستدلا بالإقرار برجعة عيسى عليه السلام، وبقول الله لنبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾٣، فابن سبأ اليهودي نقل معتقد الرجعة من قومه إلى الرافضة الذين ألَّفوا الكتب الكثيرة لإثبات هذا المعتقد الدخيل٤، ولما بلغه نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: "كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض"٥، لماذا هذا الإصرار، إذا لم يكن لتثبيت التشيع السبئي.

خامسا: شرع البراءة من مخالفة الشيعة في أي من هذه الدعاوى، لتكون دينا ومعتقدا لا يسع أحدا إلا الالتزام به، فيقضى على منهج الكتاب والسنة.

سادسا: شرع الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم٦، ليبطل الأساس الذي قام عليه الإسلام.

سابعا: حرَّف القرآن عن دلالته الظاهر، فكل عمل لدى الرعيل الأول، فمنهج التشيع السبئي خلافه تماما، حتى دلالة القرآن.

---

١) مذكور في الكافي في الأصول، والحجة من الكافي.

٢) انظر: مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل ١/٦٠.

٣) من الآية (٨٥) من سورة القصص.

٤) انظر: أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق ١/٦٨.

٥) ابن سبأ حقيقة لا خيال ١/١٥٨.

٦) ابن سبأ حقيقة لا خيال ١/١٥٠.

ثامنا: أبطل العمل بالسنة النبوية، وقرر سب الخلفاء والصحابة ﷺ.

تاسعا: سن التزوير والكذب فيما يخدم التشيع السبئي، ووضع النصوص لذلك كذبا من طريق آل البيت.

بعد أن تمكن ابن السوداء من تحديد مسار التشيع السبئي، جاء دور الأتباع من الأئمة المضلين، وأتباعهم الغلاة، كل ذلك باسم التشيع الظاهر منه أنه لعلي وذريته، والباطن منه مناوأة الإسلام جملة وتفصيلا؛ فقد تفرقت بهم الأهواء، واستطار بهم الضلال، وعظم فيهم الفساد، واجتهدوا في نشره بين العباد، فصاروا شيعا وأحزابا، كل حزب بما لديهم من هدم الإسلام فرحون، ولنبدأ بأخطر الفرق على المسلمين، الفرقة الإمامية.

فرقة الرافضة الإمامية المعْوَل الأكثر هدما للوحدة، التي بني عليها الإسلام، فهي تخالف أهل البيت في عامة أصولهم، فليس أحد من أئمة أهل البيت: مثل علي بن الحسين، وأبي جعفر الباقر، وابنه جعفر بن محمد، ينكر الرؤية، ويقول بخلق القرآن، وينكر القدر، ويقول بالنص على علي، وبعصمة الأئمة الاثني عشر، ويسب أبا بكر وعمر وعثمان، والمنقولات الثابتة المتواترة معروفة موجودة عن هؤلاء رحمهم الله؛ وهي خلاف معتقد الإمامية، المنكرين للرؤية، والقائلين بخلق القرآن، وبسب أبي بكر وعمر وعثما، وتكفير الصحابة[1]، وهذا خلاف منهج أهل السنة، فلم يوافقوا أهل البيت في العقيدة، كما وافقهم أهل السنة، وشيوخ الرافضة معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، كما يقول ذلك المعتزلة، وإنما يزعمون أنهم تلقوا عن الأئمة الشرائع، ولذلك يتفقون مع أهل السنة في غالب الأحكام الشرعية، ولهم مفردات شنيعة لم يوافقهم عليها أحد، ولهم مفردات عن المذاهب الأربعة، قد قال بها غيرهم من السلف، وأهل الظاهر، وفقهاء المعتزلة، وغير هؤلاء، فهذه ونحوها من مسائل الاجتهاد التي يهون الأمر فيها، بخلاف الشاذ الذي يعرف أنه لا أصل له، لا في كتاب الله، ولا سنة رسوله،

---

١) جامع الرسائل ١/٢٠٩، بتصرف.

ولا سبقهم إليه أحد١، ومن أسباب زيغهم في الاعتقاد زعمهم أن التنصيص على الولاية واجب، وزعموا أن النبي ﷺ نص على ولاية علي ﷺ، وليس الأمر كما زعموا، فلو كان ذلك صحيحا لما خفي على عامة الصحابة، ولما جاز لهم مبايعة أبي بكر ومن بعده عمر، ومن بعده عثمان، ومن بعده علي ﷺ، كل واحد منهم تمت له البيعة بالتفويض، ولم يحصل الخلاف على بيعة أحد منهم، حتى معاوية ﷺ لم يحصل منه خلاف على بيعة علي ﷺ، وإنما كان الخلاف على قتلة عثمان ﷺ.

وزعم الرافضة عصمة الإمام، فكما أن النبي ﷺ معصوم، وجب عندهم أن يكون خليفته معصوما، فقالوا: علي أولى بالخلافة لأمور، ومنها كما زعموا أنه معصوم، وزعموا انسحاب العصمة فيه وفي أبنائه إلى اثني عشر إماما كلهم معصومون، آخرهم صاحب السرداب كما يزعمون، وهم يرجون خروجه رغم مرور أكثر من (١٢٠٠) سنة، واجتهدوا بكل فكر يخدم هذا المشروع، حتى أعدوا خطة محكمة قبلها الرعاع منهم، وتم بها نشر المذهب البعيد كل البعد عن وحدة المنهج، فبدؤوا بتجريح الخلفاء الراشدين الثلاثة، حتى وصفوهم بالكفر والزندقة، وحشدوا من السب والشتم واللعن ما يستحي منه الفجار فضلا عن الأبرار، وطفحت كتبهم بذلك بدون خوف من الله ولا حياء من الناس، وهكذا حولت الرافضة الإمامية مسار التشيع بادئ ذي بدء، واتخذوا الخلفاء الراشدين الثلاثة غرضا لكل قول قبيح، وغلو في ذلك أشد الغلو حتى جرحوا من حيث لا يشعرون عليا ﷺ فزعموا أنه معصوم وأحق بالولاية، كل ذلك الخلط من أجل الإثبات للرعاع أتباعهم أن الولاية بعد رسول الله ﷺ لعلي ﷺ، ومن بعده أبناؤه وأحفاده إلى اثني عشر منهم، وحاولوا تقديم بعض النصوص تدعيما للموقف، أبرزها قصة غدير خم التي لم تصح البتة، وزعموا أن البيعة عقدت لعلي بهذا القول: " **من كنت مولاه فعلي مولاه** " بتأويل باطل، وقطعوا النظر في سبب هذا القول، والسبب أن عليا ﷺ شكاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إن عليا فعل كذا وكذا، كانوا أربعة كلهم

---

١) جامع الرسائل ١/٢٠٩.

قال ذلك، فأقبل رسول الله ﷺ على الرابع وقد تغير وجهه فقال: «**دعوا عليا، دعوا عليا، إن عليا مني، وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي** »[1].

كان ذلك لما عاد من اليمن وكان بعثه رسول الله ﷺ أميرا على سرية نقم بعض الجيش أشياء تعاطاها هناك من أخذه جارية من الخمس، ومن نزعه الحلل من اللباس، فتكلموا فيه وهم قادمون إلى حجة الوداع، فلم يفرغ رسول الله ﷺ أيام الحج لإزاحة ذلك من أذهانهم، فلما قفل راجعاً إلى المدينة ومر بهذا الموضع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ورآه مناسباً لذلك خطب الناس هنالك، وبرأ ساحة علي مما نسبوه إليه، ونحن نبرؤه من ذلك ﷺ، فلو وافقنا الرافضة على أن المراد الولاية العامة نكون خالفنا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، لأنه لم يفهم ما فهمه الرافضة زورا وبهتانا، فهم منه الخليفة الراشد علي ﷺ المعنى اللغوي الصحيح وهو: النصرة والمحبة وهذا حاصل له عند أهل السنة قاطبة، فلو لم يكن الخلاف بين علي والصحابة الذين ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ شكوا عليا إلى رسول الله ﷺ ما تغير وجه رسول الله لذلك، ولا قام خطيبا ينبه على فضل علي ﷺ، وكان تغير وجهه ﷺ كرها أن يذكر علي ﷺ بسوء، ومحبة لعلي ﷺ ونصرة، فأراد أن يؤكد تلك المحبة وذلك الولاء على ملأ من الناس ليحفظوا رسول الله في قرابته، وهذا القول في علي ﷺ، كقوله ﷺ في شـــأن أبي بكر ﷺ لما شكا إليه عمر ﷺ قال أبو بكر لرسول الله ﷺ: "إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك" فقال ﷺ: « **يغفر الله لك يا أبا بكر، ثلاثا** » ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: "يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين"، فقال النبي ﷺ: « **إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين، فما أوذي بعدها** »[2]، فهل يترك الرافضة لرسول الله ﷺ صاحبه؟ هذا ما لن يحدث.

---

١) فضائل الصحابة لأحمد حديث (١٠٣٥).

٢) البخاري حديث (٣٦٦١).

وبعد حديث الغدير ثبت عند الجميع أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر يصلي بالناس[١] فلماذا لم يأمر عليا بإمامة الناس ليكون تعضيدا على الأقل لما ورد في حديث الغدير؟!، ولِمَ قال النبي ﷺ « **اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر** »[٢]، ولِمَ قال عمر ﷺ: "إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ــ يعني أبا بكر ــ وألا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني ــ يعني رسول الله ﷺ ــ قال عبد الله بن عمر: " فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف.

وما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف؟. والظاهر أن المراد أنه لم يستخلف بعهدٍ مكتوب، ولو كتب عهدا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »[٣]، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، ولِمَ لم يقل أحد من الصحابة قط: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، ولِمَ يجيب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بما يوافق أهل السنة والجماعة لما سئل: "ألم يقل رسول الله ﷺ: « **من كنت مولاه فعلي مولاه** »؟ قال: بلى، ولكن والله لم يعن رسول الله ﷺ بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح به، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين، ولو كان الأمر كما قيل لقال: يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا. والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله، لكان علي أول من ترك أمر الله ورسوله"[٤]، أجاب الحسن رحمه الله بهذا لأنه من أهل السنة، وهذا قولهم.

وكذلك علي نفسه ﷺ لم يستخلف وقد قيل له: ألا تستخلف علينا؟ قال: "ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلِفْ، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على

---

١) البخاري حديث (٦٧٩) وسلم حديث (٤١٨).

٢) جامع بيان العلم وفضله حديث (٢٣٠٢).

٣) المستدرك حديث (٦٠١٦).

٤) رواه البيهقي من طرق متعددة في بعضها زيادة وفي بعضها نقصان والمعنى واحد.

خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم" ١ ، فما هو خيرهم الذي جمعهم الله عليه بعد نبيهم، أليس هو أبو بكر ﷺ.

ونحن أهل السنة نقول: إن الولاية بعد رسول الله ﷺ لم يرد فيها نص صريح، لا من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسول الله ﷺ، ونتحدى الرافضة أن يحضروا نصا صحيحا في ذلك، بل ونباهلهم على عدم وجود النص، علما بأن من علمائهم من اعترف أنهم بحثوا في جميع المصادر السنية والشيعية ليجدوا نصا واحدا من الكتاب أو السنة صحيحا صريحا في الولاية وخرجوا من بحثهم بخفي حنين، وأبقوا على كتمان الأمر لمصالح شخصية، وخوفا من طغيان الغلاة.

ولو أخذنا بقول الرافضة: إن حديث الغدير نص في الولاية للزمنا أمران:

الأول: تفسير "المولى بالوالي" وهو هنا المراد به النصير والمحب الموالي، وإلا يناقض ما ورد في كتاب الله تعالى في شأن الولاية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ٢، هذه الآية الكريمة يسمونها آية الولاية، ويقولون: إنها تدل على أن إمام المسلمين بعد النبي ﷺ بلا فصل هو علي بن أبي طالب، لأن لفظة "إنما" تفيد الحصر و"وليكم" تفيد من هو أولى بتدبير الأمور ووجوب طاعته، ويزعمون أن الآية الكريمة نزلت في علي بلا خلاف عندما تصدق بخاتمه وهو راكع.

وهذا باطل؛ لأن الروايات التي تشير إلى هذا، لا يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها، وهذا معلوم عند أهل العلم بالأسانيد والجرح والتعديل، والصحيح الذي لا شك فيه أن معنى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقامة الصلاة التي هي بعد الشهادتين أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين.

---

١) البداية والنهاية ٩٥/٨، وسنده قوي

٢) الآية (٥٥) من سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فقد توهم البعض أن هذه الجملة في موضع الحال في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي في حال ركوعهم، وهذا فهم باطل؛ لأنه لو صح لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء، وما ذكر في شأن علي ﷺ أسانيده واهية فلا يصح.

والثاني: القول بمخالفة علي ﷺ للنص الوارد في ولايته، وقد يكون كافرا على رأي الرافضة أن الولاية وهي الإمامة عندهم شرط في الدين، وهذا لا يقول به عاقل فضلا عن مؤمن يحب الله ورسوله وآل البيت.

من أدلة عدم تخصيص الولاية لعلي: حديث العرباض ﷺ قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ " فقال: « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » سبحان الله لِمَ لم يذكر الوصية لعلي بالخلافة، ويؤكد عليها لأهميتها في حياة الأمة ومعادها، بل جعلها عامة وأشار وذكر وجوب طاعة من يتولى أمر المسلمين كائنا من كان ولو عبدا حبشيا، ولِمَ أقر علي ﷺ بأن أمر الخلافة شورى؛ لأن هذا نهج أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم علي ﷺ، وسار عليه الثلاثة قبله.

أما الإشارة إلى الولاية بعد الرسول ﷺ فلا يوجد منها شيء أقوى مما كان في جانب أبي بكر ﷺ، وهو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، ولكن الغلاة من الشيعة أظهروا الانتصار لعلي ﷺ بالباطل لا حبا في علي ولكن لأنه الوسيلة التي تجر الرعاع من الشيعة إلى ذلك الانتصار ظاهرا، والباطن تحقيق مرام الغالين بمفارقة أهل السنة، وإبطال نصوص السنة النبوية الصحيحة، ليحل محلها اجتهادات الغلاة في وضع الأحاديث زورا على آل البيت، ومنها يكون بناء عقيدة يختص بها الرافضة دون سواهم من المسلمين، وأعدوا من أساليب إقناع العامة

بذلك أشدها تأثيرا في العاطفة، مستغلين مكانة آل البيت في قلوب الناس، فغلوا في تقديس علي وذريته ولاسيما ذريته من فاطمة رضي الله عنها، وأوجدوا من صفات الخزي والعار زورا وبهتانا ألصقوها بالخليفتين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وانتحلوا كل مسلك خبيث حتى أنهم جعلوا أبا لؤلؤة المجوسي من خيار الصحابة، لأنه قتل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وزيادة في الزور وتضليل أتباعهم أقاموا له ضريحا في بلاد فارس يزار ويقدس غاية التقديس، والمعروف تاريخيا أن أبا لؤلؤة المجوسي قتل في المدينة، فمن نقله إلى بلاد فارس ليقيم عليه ضريحا يعبد من دون الله؟!، وقد اعترف بعض الشيعة بذلك وقال: "ليس لأبي لؤلؤة المجوسي جثة في ضريحه المقام في إيران، ولكن لا نستطيع أن نصرح بذلك للأتباع، لأمرين:

الأول: أن لنا عليهم رياسة وزعامة، فلو صرحنا بذلك انفضوا عنا ولم يعد لنا عليهم سلطة.

الثاني: أن من يصرح بذلك قد يقتل من قبل الغلاة أنفسهم لأنه سيكون منه عملا على هدم ما قام التشيع من أجله".

قلت: ومثل هذا ضريح علي، وضريح ابنه الحسين ليسا حقيقيين، وإنما أنشئا لهدفين:

الأول: التلبيس على الأتباع، وخداعهم بالزيارة والتقديس، وتقديس كربلاء مضاهاة للحرمين الشريفين في مكة والمدينة، مع أن الحسين ﷺ تشاءم من كربلاء حين قدمها وسأل ما اسم هذا المكان؟! قالوا كربلاء، قال: " صدق الله ورسوله: كرب وبلاء ". وفي رواية: " صدق رسول الله ﷺ: أرض كرب وبلاء "[١].

ومناواة لفقه الأئمة الأربعة اجتهد الشيعة في تأسيس المذهب الشيعي في الفقه، حصروه في فقه آل البيت، وجعلوا مرتكز ذلك ما نقلوا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رحمه الله، وسموه المدرسة الفقهية الجعفرية.

---

١) المعجم الكبير حديث (٦٣٧).

إنك حينما تتعرف على تلك الفرق الهدامة، التي نشأت كأشد ما تكون مِعْول الهدم، والتي تنوعت مناهجها في الإضلال والزندقة تعرف تماما أن الأمر لا يتعلق بحب آل البيت، ولا بعبادة تقربهم من الله، ولكنها لمقاصد وغايات تجتمع كلها على قلب الإسلام رأسا على عقب، إما لمطلب رياسي، وإما لانتقام قومي، أو انتصار لوثنيات وأديان محاها الإسلام.

فتجد دعاوى يستميت أصحابها لنشرها وهي كما يلي:

أولاً: دعوى أن الله ﷻ على صورة الإنسان، وأنه يهلك كله إلا وجهه، وصاحب هذه الفرية العظيمة: هو بيان بن سمعان التميمي، ولكي يقرر هذه الفرية في أذهان الأتباع زعم أنه بالاسم الأعظم يدعو الزهرة فتجيبه، فاغتر به السذج من الأتباع فأثبتوا لهذا الكذاب النبوة[1].

وهذا فيه من الضلال:

١ــ تشبيه الله ﷻ بالمخلوق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فهو القائل سبحانه: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

٢ــ حكمه بفناء الله ﷻ، واستثنى الوجه حتى لا يرد قوله الباطل، والله ﷻ هو الحي القيوم، الذي لا يفنى.

٣ــ دعواه النبوة، ورسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده.

٤ــ صرف الناس عن منهج الكتاب والسنة إلى مزاعم وأباطيل تنافست الفرق الضالة في ابتداعها.

ولكن هذا الكذاب قيض الله له خالد القسري فقتله، لقاء ما أحدث من ضلال، وخالد القسري من قبيلة بجيلة من بني مالك، ولاه هشام بن عبد الملك على العراق سنة (١٠٥هـ) له مواقف مع الزنادقة، فقد ضحى بالجعد بن درهم القائل بخلق القرآن.

---

١) مقالات الإسلاميين ١/ ٢.

٢) الآية (١١) من سورة الشورى.

ثانيا: دعوى تناسخ الأرواح، فحلت روح الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ في آدم، ثم تناسخت حتى حلت في عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فصار ربا عند بعضهم فعبدوه من دون الله، وعند بعضهم صار نبيا، وشيعة هذا الرجل لا يؤمنون بالقيامة، ويزعمون أن الدنيا لا تفنى، واستحلوا ما حرم الله كالميتة، والخمر وغير ذلك[1].

وهذا فيه من الضلال:

١ـ القول بالحلول والاتحاد، عقيدة باطلة، مقتضاها أن الخالق سبحانه يحل في المخلوق، فيصير المخلوق إلاها، تعالى الله عن ذلك علو كبيرا.

٢ـ مناقضة معنى لا إله إلا الله، ومعناها لا معبود بحق إلا الله.

٣ـ دعوى النبوة بعد نبينا محمد ﷺ، فهو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده.

٤ـ مناقضة قول الله تعالى في تحريم الميتة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾[2] وقوله تعالى في تحريم الخمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] ومن استحل شيئا حرمه الله فإنه يكفر، ولا يصح التذرع بتأول قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾[4] لأنه تأول باطل في مقابل نصوص قرآنية حرمت الخمر وغيرها، علما بأن الآية هنا نصت على تحريم الميتة.

٥ـ صرف الناس عن منهج الكتاب والسنة إلى مزاعم وأباطيل تنافست الفرق الضالة في ابتداعها.

ثالثا: خرج من الفرقة السابقة فرقة تبنت القول بالحلولية، فزعموا أن عبد الله بن عمرو بن حرب تحولت فيه روح حفيد علي: عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، وزعموا أن عبد الله بن محمد بن علي المعروف بابن الحنفية نص على إمامة عبد الله بن عمرو بن حرب، فسمى أتباعه أنفسهم الحربية.

---

١) مصدر المعلومات في هذا البحث مقالات الإسلاميين ٢٦/١ ـ ٦٠، بتصرف .

٢) من الآية (٣) من سورة المائدة.

٣) الآية (٩٠) من سورة المائدة.

٤) من الآية (١٤٥) من سورة الأنعام.

وهذا فيه من الضلال:

١ــ القول بالتناسخ عقيدة الحلول والاتحاد، لكن الذي حل هنا ليس الخالق بل المخلوق حل في المخلوق.

٢ــ طلب الدنيا بفساد الاعتقاد، فصاحبُ هذه الفرية ما أراد بها سوى حظ نفسه من الشهرة، وسيادة الأتباع، ولو على ضلال وفساد في الاعتقاد.

رابعا: القول بألوهية غير الله، قال بذلك فرقة تسمى المغيرية نسبة إلى المغيرة بن سعيد، زعموا أنه كان يزعم أنه نبي، وأنه يعلم اسم الله الأعظم، وأنه يحيي الموتى بهذا الاسم، وأنهم يعبدون رجلا من نور له تاج، خلْقه كالرجل وله مثل أعضاء الرجل، تنبع الحكمة من قلبه، وأن عدد أعضائه على عدد حروف أبجد، فالألف قدمه لاعوجاجها، وقال عن حرف الهاء معرضا بالعورة: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمرا عظيما، وزعم أنه رأى ذلك المعبود، وجاء بأباطيل في حق الله وخلْق الكفار والمؤمنين، وزعم أنه عرض على السماوات والأرض منع علي ﷺ فأبين، فعرض على الناس فقام عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فأمره أن يتحمل منعه والغدر به، ففعل أبو بكر، واستدل هذا الكذاب، بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١] وزعم أن عمر قال لأبي بكر: أنا أعينك على علي لتجعل لي الخلافة بعدك، ويستدل هذا الكذاب بقول الله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، يعني بذلك عمر وأبا بكر، لأن عمر قاده إلى الكفر بإمامة علي، وقال هذا الكذاب بالرجعة، فزعم أن الناس كلهم يرجعون إلى الدنيا، وأن القبور تنشق عنهم، ولذلك كان هذا الكذاب يأمر أتباعه بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وذكر لهم أن جبريل وميكائيل عليهما السلام يبايعانه بين الركن والمقام، ويحيي له سبعة عشر رجلاً يعطى كل رجل منهم كذا وكذا حرفاً من الاسم الأعظم،

---

١) الآية (٧٢) من سورة الأحزاب.

٢) الآية (١٦) من سورة الحشر.

فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض، فلما خرج محمد وقتل قال بعض أصحاب المغيرة: لم يكن الخارج محمد بن عبد الله، وإنما كان شيطاناً تمثل في صورته، وأن محمداً سيخرج ويملك، وبرئ بعضهم من المغيرة.

وكانت نهاية هذا الكذاب على يد مبيد الزنادقة خالد القسري البجلي رحمه الله.

وهذا فيه من الضلال:

١ــ القول بألوهية غير الله تعالى.

٢ــ الافتراء على الله في ذاته وصفاته، وفي تصرفه فيما خلق.

٣ــ الاستدلال بالقرآن على ما يروج من كذب وبهتان.

٤ــ الكذب على الله في أمر علي، وأبي بكر، وعمر ﷺ.

٥ــ صرف الناس عن منهج الكتاب والسنة إلى مزاعم وأباطيل تنافست الفرق الضالة في ابتداعها.

خامسا: القول بحل ما حرم الله ﷻ، وأن الله لم يحرم شيئا تقوى به النفوس، قال بهذا المنصورية فرقة تنتسب إلى أبي منصور الكذاب: رجل من بني عجل، زعم أن آل محمد ﷺ السماء، وهو الأرض، وزعم أنه عرج به إلى السماء، فمسح معبوده رأسه بيده، ثم قال له: أي بني اذهب فبلغ عني، ثم نزل به إلى الأرض، وزعم أنه الكِسَف الساقط من بني هاشم، وكان أتباعه إذا حلفوا أن يقولوا: ألا والكلمة، وزعم أن عيسى أول من خلق الله من خلقه، ثم علي، وأن رسل الله سبحانه لا تنقطع أبداً، وكفر بالجنة والنار، وزعم أن الجنة رجل، وأن النار رجل، واستحل النساء والمحارم، وأحل ذلك لأصحابه، وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك من المحرمات حلال، وقال: لم يحرم الله ذلك علينا ولا حرم شيئاً تقوى به أنفسنا وإنما هذه الأشياء أسماء رجال حرم الله سبحانه ولايتهم، وأسقط الفرائض، وقال: هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم، وكانت نهاية هذا الكذاب على يد يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام بني أمية أخذه فقتله.

وهذا فيه الضلال كله: وهو محو الإسلام جملة وتفصيلا.

سادسا: القول بأن الأئمة أنبياء محدَّثون، ورسل الله وحججه على خلقه، لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد ﷺ، والصامت علي بن أبي طالب ﷺ، فهم في الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق، يعلمون ما كان وما هو كائن.

وهذه الفرقة تسمى الخطابية نسبة إلى أبي الخطاب بن أبي زينب، زعم أتباعه أنه نبي، وأن ألرسل فرضوا عليهم طاعته، بل زعموا أنه إلهٌ، وعبدوه، وزعموا أن الأئمة آلهة، وزعموا أن أولاد الحسين ﷺ أبناء الله وأحباؤه، ثم زعموا ذلك لأنفسهم، واستدلوا على كذبهم بتأول قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1] فقالوا: المراد نحن، ونحن ولد الحسين، وزعموا أن جعفر بن محمد إلههم، ولكن أبا الخطاب أعظم منه، وأعظم من علي ﷺ، ومن الدين عند هؤلاء شهادة الزور لموافقيهم.

قُتل أبو الخطاب الكذاب حينما خرج على أبي جعفر المنصور، قتله عيسى بن موسى، فواعجبا لإله لا يمنع نفسه من الناس.

وهذا فيه من الضلال:

١ــ القول بعدم ختم النبوة والرسالة.

٢ــ القول بألوهية غير الله.

٣ــ القول بتعدد الآلهة، خلافا لقول الله ﷻ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

سابعا: تولدت من هذه الفرقة الضالة فرق هي:

١ــ أتباع معمر من الخطابية، ويسمون المعمرية، أو العمومية، قالوا بعدم الموت، ولكن يرفعون بأبدانهم، وقالوا بأن الدنيا لا تفنى، وافقوا أتباع عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، في هذا القول وفي التناسخ، وزعموا أن

١) من الآية (٢٩) من سورة الحجر، ومن الآية (٧٢) من سورة: ص.
٢) الآية (٢٢) من سورة الأنبياء.

الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وأن النار ما يصيب الناس من الشر، واستحلوا المحرمات، من خمر وزنا وغير ذلك.

وفي هذا من الضلال ما تقدم ذكره.

ثامنا: الفرقة الثالثة من الخطابية: زعموا أن كل ما يحدث في قلوبهم وحي وأن كل مؤمن يوحى إليه، مستدلين على باطلهم بقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ** ﴾ ١ ولم يعتبر الاستثناء في الآية، وهم الفرقة البزيغية من الخطابية، أتباع بزيغ بن موسى، زعموا أن الله هو جعفر بن محمد، وأنه ليس الذي يرون، وزعموا أن منهم من هو خير من جبريل عليه السلام، وخير من نبينا محمد ﷺ، وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشية، وأنهم لا يموتون بل يرفعون إلى الملأ الأعلى.

تاسعا: الفرقة الرابعة من الخطابية: القول بعبادة جعفر بزعم أنه ربهم، والقائلون بهذا هم الفرقة العُميرية، نسبة إلى عمير بن بيان العجلي، أقروا بالموت، ولكن زعموا أنه لا يزال خلف منهم في الأرض أئمة وأنبياء، عبدوا جعفر في خيمة بنوها فوق كناسة بالكوفة، فأخذهم يزيد بن عمر بن هبيرة الوالي على العراق، فقتل عمر بن بيان الكذاب، وحبس بعض الأتباع.

وهذا فيه من الضلال: بعض ما تقدم بيانه.

عاشرا: الفرقة الخامسة من الخطابية، القول بألوهية جعفر بن محمد كما قالت به الفرق الثلاث، السابقة في سابعا، وثامنا، وتاسعا، وخالفوا في أنهم تبرؤا من أبي الخطاب، لأن جعفر بن محمد تبرأ منه، خلط عجيب إله تبرأ من إله.

تحصل مما تقدم أن ستة من الإمامية أخرجوا الأمر من بني هاشم، وادعوه لأنفسهم، مع أنهم يقولون بالنص على ولاية علي رضي الله عنه، والستة هم:

عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وبيان بن سمعان التميمي، والمغيرة بن سعيد، وأبو منصور، والحسن بن أبي منصور، وأبو الخطاب الأسدي، وزعم أبو الخطاب أنه أفضل من بني هاشم.

---

١) من الآية (١٤٥) من سورة آل عمران، ومن الآية (١٠٠) من سورة يونس.

فتبين أن هذه المزاعم كلها مناوأة للإسلام جملة وتفصيلا، وسواء كان الدافع إليها حب الشهرة والسيادة على الناس، وما يتبع ذلك من شهوات الدنيا ومتاعها، أو التكذيب لما جاء به نبينا محمد جملة وتفصيلا، فالنتيجة واحدة ضرب لوحدة الأمة المحمدية التي نسجها العمل بالكتاب والسنة.

الحادي عشر: القول أن روح القدس هو الله ﷻ، فكانت هذه الروح في النبي ﷺ، ثم في علي، ثم في الحسن، ثم في الحسين، ثم في علي بن الحسين، ثم في محمد بن علي، ثم في جعفر بن محمد بن علي، ثم في موسى بن جعفر، ثم في علي بن موسى بن جعفر، ثم في محمد بن علي بن موسى، ثم في علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم في الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم في محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي، وهؤلاء آلهة عندهم، كل واحد منهم إله على التناسخ، والإله عندهم يدخل في الهياكل.

الثاني عشر: القول بأن عليا ﷺ هو الله ﷻ، ويُكذّبون نبينا محمدا ﷺ، ويشتمونه، ويقولون ادعى الأمر لنفسه، وإنما هو لعلي ﷺ.

الثالث عشر: القول بأن الله حل في خمسة أشخاص: في النبي ﷺ، وفي علي، وفي الحسن، وفي الحسين، وفي فاطمة ﷺ، فهؤلاء آلهة عندهم، والقائلون بهذا هم أتباع الشريعي، وقد حكي أن الشريعي كان يزعم أن البارئ ﷻ يحل فيه، وخالفوا القائلين بتكذيب نبينا محمد ﷺ.

وسموا هؤلاء الأشخاص الخمسة، الذين حل فيها الإله حسب زعمهم، خمسة أضداد، فالأضداد أبو بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ومن هنا افترقوا في الأضداد على مقالتين:

زعم بعضهم أن الأضداد محمودة؛ لأنه لا يعرف فضل الأشخاص الخمسة إلا بأضدادها، فهي محمودة من هذا الوجه.

وزعم آخرون أن الأضداد مذمومة، وأنها لا تحمد بحال من الأحوال.

وحكي أن فرقة من الرافضة يقال لهم: النّميرية أصحاب النميري، يقولون: إن البارئ ﷻ كان حالاً في النميري.

الرابع عشر: القول بألوهية علي ﷺ، وبرجعته إلى الدنيا، قبل يوم القيامة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والقائلون بهذا هم أتباع عبد الله بن سبأ، وذكروا عنه أنه قال لعلي ﷺ: أنت أنت، يعني الإله.

الخامس عشر: القول بأن الله ﷻ وكَلَ الأمور إلى محمد ﷺ، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها، وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئاً، وزعم ذلك كثير منهم في علي ﷺ، ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع، وتهبط عليهم الملائكة، وتظهر عليهم المعجزات ويوحى إليهم.

ومنهم من يسلم على السحاب ويقول إذا مرت سحابة به: إن علياً ﷺ بها.

وفيهم يقول بعض الشعراء:

برئت من الخوارج لست منهم ** من الغزال منهم وابن بـــاب

ومن قـــوم إذا ذكـــروا عليـــاً ** يردون السلام على السحاب

وفي النُساك من الصوفية من يقول بالحلول وأن البارئ يحل في الأشخاص وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص، وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه، ومالوا إلى اطراح الشرائع، وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده.

الصنف الثاني من الأصناف الثلاثة التي ذكرنا بأن الشيعة يجمعها ثلاثة أصناف؛ هم الرافضة وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن علياً رضوان الله عليه كان مصيباً في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين، إلا الكاملية أصحاب أبي كامل فإنهم كفروا الناس بترك الاقتداء به، وكفروا علياً بترك الطلب، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته، وهم

سوى الكاملية أربع وعشرون فرقة يُدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب.

فالفرقة الأولى: القطعية وإنما سموا قطعية لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر بن محمد بن علي وهم جمهور الشيعة يزعمون أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بن أبي طالب واستخلفه بعده بعينه واسمه، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن بن علي، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي، وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي، وأن محمد بن علي نص على إمامة ابنه جعفر بن محمد، وأن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر، وأن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه علي بن موسى، وأن علي بن موسى نص على إمامة ابنه محمد بن علي بن موسى، وأن محمد بن علي نص على إمامة ابنه علي بن محمد بن علي بن موسى، وأن علي بن محمد بن علي بن موسى نص على إمامة ابنه الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى؛ وهو الذي كان بسامرا، وأن الحسن بن علي نص على إمامة ابنه محمد بن الحسن بن علي؛ وهو الغائب المنتظر عندهم الذي يدَّعون أنه يظهر فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وهم يتعلقون به وهو أوهى من خيط العنكبوت، قال ياقوت رحمه الله: قرأت في كتاب ألفه أبو العباس أحمد بن علي بن بابة القاشي[1]، وكان رجلا أديبا، قدم مرو وأقام بها إلى أن مات بعد الخمسمائة، ذكر في كتاب ألّفه في فرق الشيعة إلى أن انتهى إلى ذكر المنتظر فقال: ومن عجائب ما يذكر مما شاهدته في بلادنا قوم من العلوية، من أصحاب التنايات[2] يعتقدون هذا المذهب، فينتظرون صباح كلّ يوم طلوع القائم عليهم، ولا يرضون بالانتظار، حتى إن جلّهم يركبون متوشّحين بالسيوف شاكّين في السلاح، فيبرزون من قراهم مستقبلين لإمامهم،

---

١) نسبة إلى قاشان؛ مدينة قرب أصبهان، تذكر مع قم.

٢) لم أقف على معناها.

ويرجعون متأسفين لما يفوتهم، قال: هذا وأشباهه منامات من فسد دماغه، واحترقت أخلاطه ١.

والفرقة الثانية منهم وهم الكيسانية: وهي إحدى عشرة فرقة؛ وإنما سموا كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي، ودعا إلى محمد بن الحنفية، كان يقال له: كيسان، ويقال: إنه مولى لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

الفرقة الأولى من الكيسانية: هي الثانية من الرافضة يزعمون أن علي بن أبي طالب ﷺ نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية، لأنه دفع إليه الراية بالبصرة.

الفرقة الثالثة من الرافضة: هي الثانية من الكيسانية يزعمون أن علي بن أبي طالب ﷺ نص على إمامة ابنه الحسن بن علي ﷺ، وأن الحسن بن علي ﷺ نص على إمامة أخيه الحسين بن علي ﷺ، وأن الحسين بن علي ﷺ نص على إمامة أخيه محمد بن علي ﷺ وهو محمد بن الحنفية.

الفرقة الرابعة من الرافضة: هي الثالثة من الكيسانية، وهي الكربية: أصحاب أبي كرب الضرير، يزعمون أن محمد بن الحنفية حي بجبال رضوى، أسد عن يمينه، ونمر عن شماله يحفظانه، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه، وزعموا أن السبب الذي من أجله صبر على هذا الحال أن يكون مغيباً عن الخلق أن لله تعالى فيه تدبيراً لا يعلمه غيره، ومن القائلين بهذا القول كُثير الشاعر وفي ذلك يقول:

ألا إن الأئمة من قريش ** ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ** هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ** وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ** يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زماناً ** برضوى عنده عسل وماء

الفرقة الخامسة من الرافضة: هي الرابعة من الكيسانية يزعمون أن محمد بن الحنفية إنما جعل بجبال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان، وبيعته إياه، ولك أن تتعجب من هذه السخافة، ومن حقد الرافضة على الأمويين.

---

١) معجم البلدان ٤/ ٢٩٦.

الفرقة السادسة من الرافضة: هي الخامسة من الكيسانية يزعمون أن محمد بن الحنفية مات، وأن الإمام بعده ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

الفرقة السابعة من الرافضة: هي السادسة من الكيسانية يزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ابن أخيه الحسن بن محمد بن الحنفية، وأن أبا هاشم أوصى إليه، ثم أوصى الحسن إلى ابنه علي بن الحسن، وهلك علي ولم يعقب، فهم ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية، ويقولون: إنه يرجع ويملك، فهم اليوم في التيه لا إمام لهم، إلى أن يرجع إليهم محمد بن الحنفية في زعمهم.

الفرقة الثامنة من الرافضة: هي السابعة من الكيسانية يزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قالوا: وذلك أن أبا هاشم مات بأرض الشراة منصرفه من الشام، فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول وزعموا أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب ﷺ ونصبه إماماً، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور، وهؤلاء هم الراوندية، وافترقت هذه الفرقة في أمر أبي مسلم الخراساني على مقالتين: فزعمت فرقة منهم تدعى الرزامية أصحاب رجل يقال له: رزام، زعمت أن أبا مسلم قتل، وقالت فرقة أخرى يقال لها: أبو مسلمية إن أبا مسلم حي لم يمت، ويحكى عنهم استحلال لما لم يحِل لهم أسلافهم.

الفرقة التاسعة من الرافضة: هي الحربية أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب، وهي الثامنة من الكيسانية يزعمون أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نصب عبد الله بن عمرو بن حرب إماماً، وتحولت روح أبي هاشم فيه، ثم وقفوا على كذب عبد الله بن عمرو بن حرب فصاروا إلى المدينة يلتمسون إماماً، فلقوا عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فدعاهم إلى أن يأتموا به، فاستجابوا له ودانوا بإمامته، وادعوا له الوصية، وافترقوا في أمر عبد الله بن معاوية ثلاث فرق:

زعمت فرقة منهم أنه قد مات، وزعمت فرقة أخرى أنه بجبال أصبهان وأنه لم يمت، ولا يموت حتى يقود بنواصي الخيل إلى رجال من بني هاشم، وزعمت فرقة ثالثة أنه حي بجبال أصبهان لم يمت ولا يموت حتى يلي أمور الناس وهو المهدي الذي بشر به النبي ﷺ.

الفرقة العاشرة من الرافضة: هم البيانية أصحاب بيان بن سمعان التميمي، وهي الفرقة التاسعة من الكيسانية: يزعمون أن أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمي، وأنه لم يكن له أن يوصي بها إلى عقبه.

الفرقة الحادية عشرة من الرافضة: هي العاشرة من الكيسانية يزعمون أن الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

الفرقة الثانية عشرة من الرافضة: هم الذين يسوقون النص من النبي ﷺ على إمامة علي وينتهون بها إلى علي بن الحسين، وهم المغيرية: أصحاب المغيرة بن سعيد، يزعمون أن الإمام بعد علي بن الحسين ابنه محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر، وأن أبا جعفر أوصى إلى المغيرة بن سعيد، فهم يأتمون به إلى أن يخرج المهدي، والمهدي فيما زعموا هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، وزعموا أنه حي مقيم بجبال ناحية الحاجر، وأنه لا يزال مقيماً هناك إلى أوان خروجه، وإذا قلنا عن صنف أنهم يسوقون الإمامة إلى علي بن الحسين فإنما نعني الذين يقولون: إن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأن علياً نص على إمامة الحسن، وأن الحسن نص على إمامة الحسين، وأن الحسين نص على إمامة علي بن الحسين.

الفرقة الثالثة عشرة من الرافضة: يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب وينتهون بها إلى علي بن الحسين ثم يزعمون أن الإمام بعد علي بن الحسين أبو جعفر محمد بن علي، وأن الإمام بعد أبي جعفر محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة، وزعموا أنه المهدي وأنكروا إمامة المغيرة بن سعيد.

الفرقة الرابعة عشرة من الرافضة: يسوقون الإمامة من علي وينتهون بها إلى علي بن الحسين، ويزعمون أن علي بن الحسين نص على إمامة أبي جعفر محمد

بن علي، وأن أبا جعفر محمد بن علي أوصى إلى أبي منصور، ثم اختلفوا فرقتين:

فرقة يقال لها: الحسينية يزعمون أن أبا منصور أوصى إلى ابنه الحسين بن أبي منصور وهو الإمام بعده.

وفرقة أخرى يقال لها: المحمدية مالت إلى تثبيت أمر محمد بن عبد الله بن الحسن، وإلى القول بإمامته وقالوا: إنما أوصى أبو جعفر إلى أبي منصور دون بني هاشم، كما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، دون ولده ودون ولد هارون، ثم إن الأمر بعد أبي منصور راجع إلى ولد علي، كما رجع الأمر بعد يوشع بن نون إلى ولد هارون، قالوا: وإنما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون دون ولده، ودون ولد هارون لئلا يكون بين البطنين اختلاف، فيكون يوشع هو الذي يدل على صاحب الأمر، فكذلك أبو جعفر أوصى إلى أبي منصور وزعموا أن أبا منصور قال: إنما أنا مستودع وليس لي أن أضعها في غيري، ولكن القائم هو محمد بن عبد الله.

الفرقة الخامسة عشرة من الرافضة: يسوقون الإمامة إلى أبي جعفر محمد بن علي، وأن أبا جعفر نص على إمامة جعفر بن محمد، وأن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدي، وهذه الفرقة تسمى الناوسية: لقبوا برئيس لهم يقال له عجلان بن ناوس من أهل البصرة.

الفرقة السادسة عشرة من الرافضة: يزعمون أن جعفر بن محمد مات وأن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وأنكروا أن يكون إسماعيل مات في حياة أبيه وقالوا: لا يموت حتى يملك لأن أباه قد كان يخبر أنه وصيه والإمام بعده.

الفرقة السابعة عشرة من الرافضة: هم القرامطة يزعمون أن النبي عليه السلام نص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن رضي الله عنه، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي رضي الله عنه، وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على إمامة ابن ابنه محمد بن إسماعيل، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم

يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم.

الفرقة الثامنة عشرة من الرافضة: يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب على سبيل ما حكينا عن القرامطة وينتهون بها إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أن جعفر بن محمد جعلها لإسماعيل ابنه دون سائر ولده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت في ابنه محمد بن إسماعيل، وهذا الصنف يدعون المباركية: نسبوا إلى رئيس لهم يقال له المبارك، وزعموا أن محمد بن إسماعيل قد مات، وأنها في ولده من بعده.

الفرقة التاسعة عشرة من الرافضة: يسوقون الإمامة من على ما حكينا عمن تقدمهم وينتهون بها إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر محمد بن جعفر، ثم هي في ولده من بعده، وهم السميطية نسبوا إلى رئيس لهم يقال له: يحيى بن أبي سميط.

الفرقة العشرون من الرافضة: يسوقون الإمامة من علي إلى جعفر بن محمد على ما حكينا عمن تقدم، ويزعمون أن الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله بن جعفر، وكان أكبر من خلف من ولده، وهي في ولده، وأصحاب هذه المقالة يدعون العمارية: نسبوا إلى رئيس لهم يعرف بعمار، ويدعون الفطحية: لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين، وأهل هذه المقالة يرجعون إلى عدد كثير.

فأما زرارة فإن جماعة من العمارية تدعي أنه كان على مقالتها وأنه لم يرجع عنها، وزعم بعضهم أنه رجع عن ذلك حين سأل عبد الله بن جعفر عن مسائل لم يجد عنده جوابها، وصار إلى الائتمام بموسى بن جعفر بن محمد، وأصحاب زرارة يدعون الزرارية ويدعون التميمية.

الفرقة الحادية والعشرون من الرافضة: يسوقون الإمامة وينتهون بها إلى جعفر بن محمد ويزعمون أن جعفر بن محمد نص على إمامة ابنه موسى بن جعفر وأن موسى بن جعفر حي لم يمت ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا الصنف يدعون الواقفة لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفي هذه الفرقة

يدعونهم الممطورة وذلك أن رجلاً منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن ويونس من القطعية الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر فقال له يونس: أنتم أهون عليّ من الكلاب الممطورة فلزمهم هذا النبز.

والقائلون بإمامة موسى بن جعفر يدعون الموسوية لقولهم بإمامة موسى بن جعفر ويدعون المفضلية لأنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له المفضل بن عمر وكان ذا قدر فيهم، وفرقة من الموسوية وقفوا في أمر موسى بن جعفر فقالوا: لا ندري أمات أم لم يمت إلا أنا مقيمون على إمامته حتى يتضح لنا أمر غيره وإن وضحت لنا إمامة غيره كما وضحت لنا إمامته قلنا بذلك وأنقدنا له.

الفرقة الثانية والعشرون من الرافضة: يسوقون الإمامة من علي إلى موسى بن جعفر كما حكينا من قول المتقدمين غير أنهم يقولون أن موسى بن جعفر نص على إمامة ابنه أحمد بن موسى بن جعفر.

الفرقة الثالثة والعشرون من الرافضة: يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي وأن علياً نص على الحسن بن علي ثم انتهت الإمامة إلى محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر كما حكينا عن أول فرقة من الرافضة، ويزعمون أن محمد بن الحسن بعده إمام هو القائم الذي يظهر فيملأ الدنيا عدلاً ويقمع الظلم والأولون قالوا: إن محمد بن الحسن هو القائم الذي يظهر فيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

واختلفت الروافض القائلون بإمامة محمد بن علي بن موسى بن جعفر لتقارب سنه؛ وذلك أن أباه توفي وهو ابن ثماني سنين ــ وقال بعضهم: بل توفي وله أربع سنين ــ هل كان في تلك الحال إماماً واجب الطاعة على مقالتين:

زعم بعضهم أنه كان في تلك الحال إماماً واجب الطاعة عالماً بما يعلمه الأئمة من الأحكام وجميع أمور الدنيا يجب الائتمام والاقتداء به كما وجب الائتمام والاقتداء بسائر الأئمة من قبله.

وزعم بعضهم أنه كان في تلك الحال إماماً على معنى أن الأمر كان فيه وله دون الناس وعلى أنه لا يصلح لذلك الموضع في ذلك الوقت أحد غيره وأما أن يكون اجتمع فيه في تلك الحال ما اجتمع في غيره من الأئمة المتقدمين فلا، وزعموا أنه

لم يكن يجوز في تلك الحال أن يؤمهم، ولكن الذي يتولى الصلاة لهم وينفذ أحكامهم في ذلك الوقت غيره من أهل الفقه والدين والصلاح إلى أن يبلغ المبلغ الذي يصلح هذا فيه.

تم الكلام في الغلاة والإمامية.

واختلفت الروافض أصحاب الإمامة في التجسيم وهم فرق:

منها الهشامية: أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه على بعض ولم يعينوا طولاً غير الطويل، وإنما قالوا: طوله مثل عرضه على المجاز دون التحقيق، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هي مجسته وهو نفسه لون ولم يعينوا لوناً ولا طعماً هو غيره وزعموا أنه هو اللون وهو الطعم وأنه قد كان لا في مكان ثم حدث المكان بأن تحرك البارئ فحدث المكان بحركته فكان فيه وزعم أن المكان هو العرش، وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أن هشام بن الحكم قال له: إن ربه جسم ذاهب جاءٍ فيتحرك تارة ويسكن أخرى ويقعد مرة ويقوم أخرى وأنه طويل عريض عميق لأن ما لم يكن كذلك دخل في حد التلاشي قال فقلت له: فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت إلى أبي قبيس قال: فقال: هذا الجبل يوفي عليه أي هو أعظم منه، وذكر أيضاً ابن الراوندي أن هشام بن الحكم كان يقول: إن بين إلهه وبين الأجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لولا ذلك ما دلت عليه، وحكي عنه خلاف هذا أنه كان يقول: إنه جسم ذو أبعاض لا يشبهها ولا تشبهه، وحكى الجاحظ عن هشام بن الحكم في بعض كتبه أنه كان يزعم أن الله ﷻ إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه الذاهب في عمق الأرض ولولا ملابسته لما وراء ما هناك لما درى ما هناك، وزعم أن بعضه يشوب وهو شعاعه وأن الشوب محال على بعضه، ولو زعم هشام أن الله تعالى يعلم ما تحت الثرى بغير اتصال ولا خبر ولا قياس كان قد ترك تعلقه بالمشاهدة وقال بالحق.

وذكر عن هشام أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل: زعم مرة أنه كالبلورة، وزعم مرة أنه كالسبيكة، وزعم مرة أنه بشبر نفسه سبعة أشبار، ثم رجع عن ذلك وقال: هو جسم لا كالأجسام، وزعم الوراق أن بعض أصحاب هشام أجابه مرة إلى أن الله ﷻ على العرش مماس له وأنه لا ينفصل عن العرش ولا ينفصل العرش عنه.

الفرقة الثانية: يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم أنه جسم إلى أنه موجود ولا يثبتون البارئ ذا أجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة ويزعمون أن الله ﷻ على العرش مستو بلا مماسة ولا كيف.

والفرقة الثالثة: من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي ـ وهو غير هشام بن الحكم ـ يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحماً ودماً ويقولون: هو نور ساطع يتلألأ بياضاً، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر به، وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم، وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة سوداء وأن ذلك نور أسود.

الفرقة الخامسة: يزعمون أن رب العالمين ضياء خالص ونور بحت وهو كالمصباح الذي من حيث ما جئته يلقاك بأمر واحد وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في الأجزاء وأنكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة شيء من الحيوان.

والفرقة السادسة: يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه.

واختلفت الروافض في القرآن وهم فرقتان:

الفرقة الأولى: هشام بن الحكم وأصحابه يزعمون أن القرآن لا خالق ولا مخلوق، وزاد بعض من يخبر على المقالات في الحكاية عن هشام فزعم أنه كان يقول: لا خالق ولا مخلوق، ولا يقال أيضاً غير مخلوق؛ لأنه صفة والصفة لا توصف، وحكى زرقان عن هشام بن الحكم أنه قال: القرآن على ضربين:

إن كنت تريد المسموع فقد خلق الله ﷻ الصوت المقطع وهو رسم القرآن.

فأما القرآن فهو فعل الله مثل العلم والحركة لا هو هو ولا غيره.

الفرقة الثانية: يزعمون أنه مخلوق محْدث لم يكن ثم كان كما، تزعم المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من المتأخرين منهم.

ومنهم أهل الغلو: ينكرون القيامة والآخرة ويقولون: ليس قيامة ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور، فمن كان محسناً جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئاً جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا.

واختلفت الروافض في القرآن هل زيد فيه أو نقص منه: وهم فرق:

منها من يزعم: أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه، والإمام يحيط علماً به، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[١].

ومنهم القائلون بالاعتزال والإمامة: يزعمون أن القرآن ما نقص منه ولا زيد فيه وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل ولا زال عما كان عليه.

واختلفت الروافض في الأئمة هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء:

منهم من يزعم أن الأئمة لا يكونون أفضل من الأنبياء، بل الأنبياء أفضل منهم، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

ومنهم من يزعم: أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة، وهذا قول طوائف منهم.

واختلفت الروافض في الرسول ﷺ هل يجوز عليه أن يعصي:

---

١) الآية (٩) من سورة الحجر.

فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصي الله وأن النبي قد عصى الله في أخذ الفداء يوم بدر، فأما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم؛ لأن الرسول إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله، والأئمة لا يوحى إليهم ولا تهبط الملائكة عليهم، وهم معصومون فلا يجوز عليهم أن يسهوا، ولا يغلطوا، وإن جاز على الرسول العصيان، والقائل بهذا القول هشام بن الحكم.

ومنهم من يزعم: أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يعصي الله ﷻ، ولا يجوز ذلك على الأئمة؛ لأنهم جميعاً حجج الله وهم معصومون من الزلل، ولو جاز عليهم السهو واعتماد المعاصي وركوبها لكانوا قد ساووا المأمومين في جواز ذلك عليهم، كما جاز على المأمومين، ولم يكن المأمومون أحوج إلى الأئمة من الأئمة لو كان ذلك جائزاً عليهم جميعاً.

واختلفت الروافض في الإمام هل يعلم كل شيء:

فمنهم يزعم أن الإمام يعلم كل ما كان وكل ما يكون، ولا يخرج شيء عن علمه من أمر الدين ولا من أمر الدنيا، وزعم هؤلاء أن الرسول كان كاتباً ويعرف الكتابة وسائر اللغات، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾[1] فقد بين الله ﷻ أنه أمي، والأمي هو من لا يقرأ ولا يكتب.

واختلفت الروافض في الأئمة هل يجوز أن تظهر عليهم المعجزات:

فمنهم من يزعم: أن الأعلام تظهر عليهم، وتهبط الملائكة بالوحي عليهم، ولا يجوز أن ينسخوا الشرائع، ولا يبدلوها ولا يغيروها.

ومنهم من قال: ويجوز أن ينسخوا الشرائع ويبدلوها ويغيروها.

واختلفت الروافض في الإيمان:

فالجمهور منهم يزعمون: أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام، وبجميع ما جاء من عندهم، فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم؛ فإذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم، وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن.

---

١) من الآيتين (١٥٧، ١٥٨) من سورة الأعراف.

هذه بعض طامات الرافضة، وبعض ضلالات فرقها، وهو غيض من فيض، لم نتوسع في ذلك؛ لأن المقصود التحذير منهم إجمالا، فضلالهم بين لكل ذي عقل.

والحمد لله أن ثبتنا على منهج الكتاب والسنة وأبعدنا عن الزيغ والضلال.

تم العمل في هذا الكتاب في يوم الاثنين١٧/٦/١٤٣٦هـ بالمدينة النبوية، سائلا الله ﷻ أن يُعْظم الثواب لمن كتب، ومن نشر، ومن قرأ، والحمد لله المنعم المتفضل، اللهم صلِ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين له، وعلينا معهم عدد خلقك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ورضى نفسك.



الفهرس

الفهرس

صـــــدر للمؤلف :

١- تحقيق كتاب الفوائد العوالي عن الشيوخ الثقات المعروف بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي (جزءان) .

٢- تحقيق كتاب التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة لصلاح الدين العلائي .

٣- تحقيق القسم الاول من كتاب تصحيحات العمدة للزركشي (منشور في مجلة الجامعة الإسلامية) .

٤- تأليف أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر .

٥- تأليف النظرات الماتعة في سورة الفاتحة (طبع طبعتين)

٦- تأليف جهود الملك عبد العزيز في خدمة الكتاب والسنه (طبع طبعتين) .

٧- تأليف إمتاع المقلة في تحمل الحديث ونقله .

٨- شرح منظومة ابن فرح الإشبيلي المعروفة بالغرامية في مصطلح الحديث .

٩- تحقيق كتاب إثارة الفوائد المجموعة في إشارة الى الفرائد المسموعة للعلائي (طبع في جزئين) .

١٠- تأليف الأمن التربوي .

١١- تأليف الدين وأحكامه في ضوء الكتاب والسنة .

١٢- تأليف ثقافة المرأة المسلمة .

١٣- تأليف جهد المحتفي في أمر العالم المختفي في ضوء الكتاب والسنة .

١٤- شرح المنظومة التبريزية في العقيدة الصحيحة السنية

١٥- تأليف معجم شيوخ العلائي (طبع في جزئين) .

١٦- تأليف القطوف الدانية في ما انفرد به الدارمي عن الثمانية .

١٧- تأليف كتاب حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة النبوية .

١٨- تأليف (ظروف وحروف) .

١٩- العين والعائن والمعيون .

٢٠- راعي الغنم .

٢١- بناتنا أعراضنا عمارنا منهن ومنهن دمارنا .

٢٢- النظرات الوقادة في خروج الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة واستشهاده .

٢٣- رياض الأذهان في فهم القرآن .

٢٤- تأليف الجوس في المنسوب إلى دوس .

٢٥- نسبة ومنسوب .

٢٦- مسند الإمام الدارمي .

٢٧ - كتابنا هذا .